

# مختصر المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم

المفاهيم المفتاحية  
لنظرية المعرفة في  
القرآن الكريم

عبد الكريم يليل

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

**مختصر كتاب  
المفاهيم المفتاحية لنظرية  
المعرفة في القرآن الكريم**



# مختصر كتاب المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم

عبد الكريم بليل



المعهد العالمي للفتاوى الإسلامية



© المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٦ م

مختصر كتاب المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم

تأليف: عبد الكريم بليل

موضوع الكتاب: ١- نظرية المعرفة ٢- مصادر المعرفة

٣- أدوات المعرفة ٤- مصطلحات ومفاهيم القرآن الكريم

٥- دراسات قرآنية ٦- دراسات إسلامية

ردمك (ISBN): ٩٧٨-١-٥٦٥٦٤-٦٤١-٤

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٦/٤٠٣٣)

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطى مسبق من المعهد.

### المعهد العالمي للفكر الإسلامي

The International Institute of Islamic Thought

P.O.Box: 669, Herndon, VA 20172 - USA

Tel: (1-703)471 1133, Fax: (1-703)471 3922

[www.iiit.org](http://www.iiit.org) [iiit@iiit.org](mailto:iiit@iiit.org)

### مكتب الأردن - عمان

ص.ب. ٩٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩١

هاتف: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢١ فاكس: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢٠

[www.iiitjordan.org](http://www.iiitjordan.org)

### النشر والتوزيع

مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع

عمان - الأردن



الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد لا تعتبر

بالضرورة عن رأيه وإنما عن آراء واجهادات مؤلفها

هاتف: +٩٦٢٧٩٧٠٠٠٧٠٩ فاكس: +٩٦٢٦٤٦٣٩٠٠٠

Email: [majed\\_fawzi@hotmail.com](mailto:majed_fawzi@hotmail.com)

بسم الله الرحمن الرحيم



# المحتويات

٩	تصدير .....
١١	المقدمة .....
<b>الباب الأول</b>	
<b>الألفاظ والمفاهيم المعرفية في القرآن الكريم</b>	
١٥	الفصل الأول: دراسة المفاهيم من منظور معرفي .....
١٥	أولاًً: الضرورة المعرفية للمفاهيم
١٨	ثانياً: تحليل بنية المفاهيم
١٩	ثالثاً: المفاهيم ومشكلة المعنى
٢٢	رابعاً: تغيير المفاهيم
٢٣	خامساً: منظومة المفاهيم المفتاحية في القرآن الكريم
٢٤	سادساً: منهجية تصنيف الألفاظ المعرفية من القرآن الكريم
٢٧	الفصل الثاني: مفاهيم المضامين المعرفية: المعرفة والعلم والوحى .....
٢٧	أولاًً: مفاهيم المعرفة
٦٧	ثانياً: مفاهيم العلم
٩٦	ثالثاً: مفاهيم الوحى
١٠٥	الفصل الثالث: مفاهيم الطرق المعرفية: العقل والحس .....
١٠٥	أولاًً: مفاهيم العقل
١٢٤	ثانياً: مفاهيم الحس
<b>الباب الثاني</b>	
<b>المعرفة والعلم في القرآن الكريم</b>	
١٤١	الفصل الأول: المعرفة في القرآن الكريم .....

١٤١	أولاً: تعريف المعرفة
١٤٣	ثانياً: طبيعة المعرفة
١٥٢	ثالثاً: ميدان المعرفة
١٦١	رابعاً: ضوابط المعرفة في القرآن الكريم
١٧٧	<b>الفصل الثاني: العلم في القرآن الكريم</b>
١٧٧	أولاً: تعريف العلم وأقسامه
١٨٠	ثانياً: مراتب العلم وضوابطه
١٨٦	ثالثاً: النظرة الشاملة للعلم في القرآن
١٩١	<b>الفصل الثالث: المقارنة بين المعرفة والعلم</b>
١٩١	أولاً: الفروق اللغوية والاصطلاحية
١٩٤	ثانياً: المصطلحات المرادفة للعلم والمعرفة في القرآن الكريم
	<b>الباب الثالث</b>
	<b>اكتساب المعرفة وطرائقها ومصادرها في القرآن الكريم</b>
١٩٩	<b>الفصل الأول: أدوات المعرفة في القرآن الكريم</b>
١٩٩	أولاً: وظيفة الحواس وأهميتها وقدرتها المعرفية
٢٠١	ثانياً: السمع والبصر في القرآن الكريم
٢٠٧	ثالثاً: القلب في القرآن الكريم
٢٢١	<b>الفصل الثاني: طرائق اكتساب المعرفة في القرآن الكريم</b>
٢٢١	أولاً: الإحساس
٢٢٧	ثانياً: الإدراك
٢٦١	<b>الفصل الثالث: مصادر المعرفة</b>
٢٦١	أولاً: مفهوم المصدر المعرفي
٢٦٧	ثانياً: الكون (المخلوقات) مصدر للمعرفة في القرآن الكريم
٢٧٥	ثالثاً: الله تعالى (الخالق) مصدر للمعرفة في القرآن الكريم

## تصدير

يعكف المعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ مدة على اختصار بعض الكتب التي أنتجهما؛ إذ لاحظ أن من أهم سمات هذا القرن، أنه عصر متسرع في الإنتاج والوقت وطريقة الحياة. وليس حركة التأليف والإنتاج والتسويق بعيدة عن هذا التسارع المحموم؛ إذ ثمة تدفق كبير في الإنتاج المعرفي والعلمي والثقافي، وهناك مواكبة مستمرة لكل ما يتصل بالشأن العام والخاص، وثمة تنافس كبير بين دور النشر والواقع الإلكتروني في تسويق أفكارها ومنتشراتها، بصورة تحاول تقليل الفجوة بين التسارع الكبير في الزمن، والحفاظ على جدّة المعلومة واتساقها مع المتغيرات، وقدرة المرء على الإفادة من هذه المعلومة بأيسر صورة وأكثرها نجاعة وفائدة، لا سيما أننا نعيش مجتمع المعرفة والاقتصاد المعرفي، الذي يفرض على المجتمعات أن تلجم إلى ما يُسمى بـ"التكيف الإبداعي"، وهي تقنية علمية وفكيرية ومعرفية، تقوم على استحضار الحاجات العلمية والمعرفية للمجتمع والأمة، والشاقف مع لبنات المجتمع الإنساني، والقدرة بعد ذلك على إنتاج ما يتتسق وبنية المجتمع.

وببناء على المعطيات السابقة، فقد وعى المعهد هذه الحاجة إلى المواءمة بين الزمن وال فكرة وال حاجات المعرفية، لذلك جأ إلى إنتاج بعض الكتب، واختصار بعض الكتب التي يشعر بأن لها موقعاً مهماً في تطوير الملكة النقدية

عند العقل المسلم، ومن ثم تشكيل الشخصية الإسلامية القادرة على تفعيل حركة النهوض والإسهام في بناء الإنسانية.

وأتبعت إدارة النشر منهجية علمية في اختيار هذه الكتب، وفي حجمها، وغلافها، وطريقة اختصارها؛ إذ حافظت على محتويات الكتاب الأصلي، وعلى لغة المؤلف كما هي، إلا في بعض الواقع النزيرة التي تحتاج إلى الاستعانة ببعض أدوات الربط، التي تساعد على اتساق النصوص ومقرؤيتها. وسيلاحظ القارئ الكريم أن نسبة الهوامش في المختصر قليلة جداً مقارنة بالكتاب الأصلي، فقد استحضرنا تلکم الهوامش التي لها ضرورة تفید التوضیح أو تثبیت الفكرة؛ إذ إن في إبقاء هوامش الكتاب الأصلي تضخیماً للمختصر، وهذا يتناقض وغاية المختصر ومقصده؛ إذ الترکیز على الفكرة، واستیعابها في مدة زمنیة قصیرة. وإذا أراد بعض الباحثین الاستزادة؛ لغایات الشبّت والتوثیق العلمی، فیمكنهم الرجوع إلى الكتاب الأصلي، الذي يتضمن الهوامش کاملة.

والله ولي التوفيق

إدارة النشر في المعهد العالمي للفكر الإسلامي

## المقدمة

الحمد لله الذي نزَّل القرآن، وجعل فيه الميزان بين الصدق والكذب والبهتان، أمراً بتدبره، وما يعقله إلا الرَّاسخون، وما يتذكر إلا أولوا الألباب؛ وبعد، فإنَّ الجانِب المعرفيُّ في القرآن يتناول النظر الذي هو أول واجب على الإنسان، وأول مطلوب منه باتفاق الفقهاء والنظراء وال فلاسفة.

وهذا النظر الأوَّلي ضروريٌ ليتمكن الإنسان من معرفة خالقه، وذاته، وما حوله. ويترتب على حصول المعرفة بالخالق وذاته؛ استدعاء العارف الآخرى التي تشكّل إجابات شافية عن أسئلة مهمَّة تتناول مصادر المعرفة، ومتعلَّقاتها، وميادينها، وأنواعها، ووسائلها، ومقاصدها، وطرائق توظيفها والإفادة منها، وكيفية تراكمها، وجمعها، وتنقلها، وتطويرها؛ كل ذلك لاختبارها وربطها بالحقائق والسنن.

وتتَّم الدراسة بجمع جملة من المفردات القرآنية وانتخابها لبناء معجم للمفاهيم والمصطلحات بدلالات فرقاً. فالوحْي -قرآنًا وسنةً- يمثل مجموعة مفاهيم، إذا حُصّلت حصرت كليات الدين. ولا سبييل إلى فقه النص القرآني بغير دراسة مصطلحاته وألفاظه؛ فهي مفتاح الوصول إلى مراد الله عزَّ وجلَّ.

ومصطلح القرآني تباعين دلالاته بتنوع امتداداته داخل النسق المفهومي للنصّ، وتختلف معاني مبنائه باختلاف القضايا التي طُرِح فيها هذا المصطلح.

ويراد بالدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن "تلك الدراسة المنهجية الجامعة التي تبيّن مفاهيم المصطلحات من نصوصها، وتبين المقومات الدلالية الذاتية للمصطلح عبر ضمائمه واستيقاته والقضايا الموصولة به". وبذا، يُعدّ الاصطلاح ضابطاً لحركة المفهوم، وإنْ كان المفهوم هو ما يُولّد المصطلح.

وممّا لا شكّ فيه أنّ عدم ضبط مفهوم المصطلح يؤدي إلى فوضى فكريّة، كما يتولّد عن عدم فهمه اضطراب في التصور، وربما يفسّر بعضهم مصطلحاً ما على غير ما تواضع عليه أهله، فإذا شاع تشعيّت معانيه، فيقتضي خصوصيّته العلميّة، وقيمة اللغوّيّة، وأهليّته الاصطلاحية.

فالتواصل الصحيح لا يمكن أن يتمّ إلا في ظلّ وضوح المفاهيم، والاستعمال الدقيق للمصطلحات. وقد نبه العلماء والنظرار لأهميّة تحديد المصطلحات؛ حتى لا يدور الجدال على الألفاظ بدل الحقائق، فلا يقبل مصطلح معين فيه إجمال واشتباه؛ حتى يستفسر صاحبه ويستفصل؛ ليكون الحوار بناءً و حقيقياً. فسبب اختلاف النظار يعزى غالباً إلى استعمالهم ألفاظاً بجملة، تتناول أنواعاً مختلفة؛ إما بطريق الاشتراك لاختلاف الاصطلاحات، وإما بطريق التواطؤ مع اختلاف الأنواع، فإذا فسر المراد وفصل المتشابه؛ تبيّن الحقّ من الباطل، والمراد من غير المراد.

# **الباب الأول**

**الألفاظ والمفاهيم المعرفية**

**في القرآن الكريم**



## الفصل الأول:

### دراسة المفاهيم من منظور معرفيٌّ

يمكن النظر إلى المفاهيم من زوايا عدّة، وإخضاعها لمناهج متنوعة، ودراستها لغويًّا، أو نفسياً، أو فلسفياً، ومن الزاوية المعرفية (الإبستمولوجية)، بتحليل بنية المفهوم معرفياً، وإيصال الأسس التي تقوم عليها المنهجية؛ في تشكيل العلاقات بين المفاهيم لتكون حقاً معرفياً، وتشكل النسق من تكامل الحقول المعرفية.

نبحث في هذا الفصل إشكالية المعنى، ونعرض للتغيرات التي تلحق المفهوم ودلالته. وهو يتضمن: الضرورة المعرفية للمفاهيم، وتحليل بنية المفاهيم، ثم المفاهيم ومشكلة المعنى. وتغيير المفاهيم، ومنظومة المفاهيم المفتاحية، ومنهجية تصنيف الألفاظ المعرفية في القرآن الكريم. وستكون وفق: الدلالة المعجمية، الدلالة الاستععالية، الدلالة التأويلية.

#### أولاًً: الضرورة المعرفية للمفاهيم

يتكون أي نسق معرفيٍّ حضاريٍّ من مجموعة حقول معرفية متکاملة، تتجلّى في صورة متناسقة، فهناك المعرفة الدينية، والميتافيزيقية، والرياضية، والمنطقية، واللسانية، والاجتماعية، وغيرها. وتمثل الحقول بدورها مجموعة من المفاهيم، وكلّ حقل يترَكّب من مفاهيم تربطها بعضها علاقات معينة.

## ١ - قيمة المفهوم:

لكلّ حقل خصائص ومفاهيم تميّزه عن غيره، وترتّب الحقول بعضها مع بعض، لتشكل نسقاً معرفياً متكاملاً. ويعتمد تحليل أيّ بنية معرفية على أسس ثلاثة، هي: المفاهيم، وال العلاقات التي تؤلّف من المفاهيم حقلًا، وال العلاقات التي تشمل من الحقول نسقاً، فالمفاهيم هي حجر الأساس؛ وعدتها عدم للحقل، ووجودها لا يلزم منه وجوده، فهي التي تبرز خصائص الحقل، وبعد الخلط بين المعاني عند كثير من الكتاب من العلل الفكرية الناشئة عن غموض الأفكار والمفاهيم، أو تحريفها؛ من هنا فقد كان الأولى على أهل الفكر توضيح المفاهيم العامة لأيّ حقل أو نسق؛ لأنّ إصلاح النسق ككلّ يتطلّب البدء بأساسه؛ كيما يحدث التغيير الفكريّ، والتحوّل الحضاريّ.

## ٢ - المفهوم بمعناه المنطقيّ:

المفهوم هو مجموعة الصّفات والخصائص؛ المحدّدة للموضوعات لتميّزها عن الموضوعات الأخرى، ولكنّا سننطر إلى المفهوم نظرة تفسّح المجال أمام القول بأنّ الغالبية العظمى من المفاهيم تتّسم بمرونة مطلقة، لا تحدُّها حدود ولا تقيدّها قيود، فتتسع دلالتها أحياناً وتتضيق أخرى، مع حفاظها على حقل دلاليٍّ خاصٍ بها، وتُعدّ المفاهيم "المعاني العقلية الكلية، أو الأفكار العامة المجردة"، وأبرز أمثلتها: الحرية والسلط، والعدالة والظلم، والحق والباطل، والخير والشرّ، والجمال والقبح.

### ٣- تشكيل المفاهيم:

لا شك في أن المفاهيم محددة الدلالة، تثل معنى محدداً، أو مجموعة معانٍ، تعبّر عنها إما برمز لغوي واحد يُسمى لفظاً أو مصطلحاً، مثل "العلم"، وإما بتعبير، مثل "العلم الإلهي".

وفي حال المفاهيم المحددة، يوضع اللفظ إزاء المعنى، فيُتيح ذلك مصطلحاً يتقدّم عليه أهل علم معين، وقد يظلّ المصطلح مقصوراً على أصحابه الذين تواضعوا عليه، ولكن المشكلة تنشأ عند وضع لفظ واحد إزاء معانٍ كثيرة، مع غياب القرائن اللغوية التي تميّز هذه المعاني، وهذا الموقف يختلف عن "المشتراك اللغطي" بين معنيين متغيرين أو أكثر؛ لأنّنا قد نتوصل في المشترك اللغطي إلى تحديد المعنى المراد عن طريق القرائن أو السياق اللغوي، وهذا الإشكال غير قائم مع المفاهيم ذات المعاني المحددة؛ لغوية كانت أو اصطلاحية، ومثال ذلك مفهوم "الديمقراطية"، الذي اتفق على أصله اللغوي (حكم الشعب)، واختلف في دلالته الاستعملية.

وعند انقلاب المفاهيم تتحول الروابط بين أفراد الأمة، فيجعل الرابط العقديّ فرعاً لا أصلاً، وهذا ولد النقل من الفلسفات الإلحادية والوجودية التي تجعل الفرد محوراً، وفوق كل شيء، حتى توصله إلى مقام التشريع، وتقرير ما هو خير وما هو شرّ، وما هو حقّ وما هو باطل.

## **ثانياً: تحليل بنية المفاهيم**

يتطلب ضبط أي مفهوم تفكيك عناصره؛ لمعرفة بنائه المركبة، وترتيبها من حيث الأهمية في تشكيله.

### **١ - تحديد بنية المفهوم:**

تتألف بنية أي مفهوم من عناصر عدّة، منها أساسية، وأخرى مكملة لها، وللعناصر الأساسية أسبقية منطقية في البنية؛ إذ إنّها لا تُشتق من غيرها، بينما غيرها يُشتق منها، وهي تشبه البديهيات في الأساق الرياضية والمنطقية؛ لأنّها تتمتع بدرجة أكبر من التجريد، مقارنة بغيرها. وقد ميّز علماء الدّلالة بين أنواع من المعاني في مقدّمتها المعنى الأساس والإضافي. فالمعنى الأساس هو المعيّر الحقيقى عن أهمّ وظائف اللغة، وهي التواصيل ونقل الأفكار، ولهذا فإنّ فهم بنية أي مفهوم فهـماً دقيقاً يتطلّب تحليل هذه البنية، وتحديد عناصرها الفرعية.

### **٢ - أهمية تحليل بنية المفهوم:**

يمكن بيان مدى أهمية العملية التحليلية في الإدراك الدقيق والصحيح للمفاهيم، واجتناب اللبس؛ بتأكّل مفهوم "العقل". فالمفاهيم تنقسم إلى ثلاث أنماط، هي: المفاهيم المعرفية: مثل: العلم، والفهم، والتفكير، والإدراك، ومفاهيم الإرادة: مثل: العزم، والاختيار، والقصد، والإرادة، ومفاهيم الإحساس: مثل: الغضب، والخوف، واللذة، والألم. وإنّ تحليل بنية مفهوم (العقل) على هذا النحو سيؤثّر في الحوار الذي يدور عليه، من

حيثُ: طبيعتهُ، وطريقتهُ، والنتائجُ التي ينتهي إليها، وقد أدرك العلماء وجود علاقة بين بنية اللغة، وبنية العقل، وبنية الواقع. وإن تحليل بنية المفهوم تكشف لنا عن وجود مجموعة من المفاهيم، تتطور مع الأيام، ويزيد مضمونها، ومساحة تطبيقها، مما يحتم ضرورة التنبه لبعض الدلالات التي تكتسبها المفاهيم في مراحل تاريخية معينة، فإنه لكي تفهم المعنى المحدد للكلمة؛ يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا، أو دراسة العلاقات بين المفردات، داخل الحقل، أو الموضوع الفرعى؛ لأنَّ معنى كلمة ما؛ هو محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى، وهدف التحليل للحقول الدلالية؛ هو جمع كل الكلمات التي تختص حقولاً بعينه، والكشف عن صلات الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام.

### ثالثًا: المفاهيم ومشكلة المعنى

كيف يمكن الحكم على المفاهيم بأئمها واضحة، أو غامضة، أو خالية من المعنى؟ تتتنوع مجالات الكلام بين: عقدية، وإنسانية، وأدبية، وطبيعية، ورياضية. لذا، عُدَّ مفهوم المعنى الواضح إشكالاً في حد ذاته، في كل مجال على حدة، ومن هنا كان الاهتمام بقضية المعنى في التراث العربي، في علوم اللغة، وفقه اللغة، تقادياً لما يُسمى " بالأمراض الدلالية" التي تصيب المفاهيم في حقول معرفية متعددة، ونجد هذا الاهتمام بارزاً في الفلسفة، وعلوم اللغة، وعلم الأصول.

## ١ - قضية المعنى عند اللغويين:

يقول ابن جني في كتابه *الخصائص*: "ذلك أنّ العرب؛ كما تُعْنَى بِألفاظها، فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشّعر تارّةً، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها، وتتكلّف استمرارها، فالمعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفحى قدرًا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بِألفاظها، فإنّها لَمَا كانت عنوان معانيها، وطريقًا على إظهار أغراضها ومراميها".

اهتمّ اللغويون بالدّلالة اهتماماً تجلّى في جمع معاني القرآن الكريم؛ كعلم المفردات، والنظائر، والمجاز؛ ويمثل ضبط المصحف عملاً دلاليّاً؛ ذلك أنّ من أهم الأسباب التي دفعت إلى وضع علم النحو، لحن أحد القراء في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُتَشَكِّرِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبه: ٣]؛ بجزّ ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بدلاً من ضمّها.

## ٢ - قضية المعنى عند البلاغيين:

اهتمّ أهل البلاغة كثيراً بالجوانب الدلالية، كالحقيقة والمجاز، وتراكيز الجمل، ودراسة الأساليب؛ كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب، وغيرها، ومن ذلك: فكرة "النظم" عند الجرجاني، التي ارتفت على يديه، وصارت نظرية لها أصولها التي تميّزها من غيرها. قال: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك؛ الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف منهاجه التي نهجت فلا تزيغ عنها".

### ٣- قضية المعنى عند الفلاسفة:

حظيت قضية اللفظ والمعنى بعناية بعض فلاسفة المسلمين، مثل الكِندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وابن حزم، والغزالى؛ وقد تضمنَت معظم بحوثهم المنطقية واللغوية هذه القضية، حيث قرر أغلبهم أنَّ الألفاظ تدلُّ على المعنى من ثلاثة أوجه متباعدة، هي: دلالة المطابقة، ودلالة التضمين، ودلالة الالتزام، ويقصد بها دلالة اللفظ على خارج عن مسماه. يقول الغزالى: "اعلم أنَّ الألفاظ من المعانى على أربعة منازل: المشتركة والمتوافقة والمترادفة والمترادلة. أمَّا المشتركة؛ فهي اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة، بالحدَّ والحقيقة، وأمَّا المتوافقة؛ فهي التي تدلُّ على أعيان متعددة؛ بمعنىً واحد مشترك بينها، وأمَّا المترادفة؛ فهي الأسماء المختلفة الدالَّة على معنىً يندرج تحت حدَّ واحد، وأمَّا المترادلة؛ فهي الأسماء المتباعدة التي ليس بينها شيءٌ من هذه النسب".

### ٤- قضية المعنى عند الأصوليين:

اهتمَّ أهل الأصول باللغة والمعنى، وذلك لوجود صلة وثيقة بين فهم اللغة وفهم الشرع المنزَّل بلسان عريٍّ مبين. فعلم الأصول علمُ استنباط الأحكام الشرعية من أدلةِها التفصيلية، وقد يُبني موضوعه على محورين، هما: الأدلة، والأحكام. وإنَّ عملية استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة توجَّب إدراك معاني الألفاظ؛ بغية تعرُّف المقصود من النصوص الشرعية. فالأصوليون يقسمون الألفاظ إلى مترادفة ومشتركة ومطلقة ومقيدة، ولهُم اهتمام واضح بصيغ الأمر والنهي لكونهما محور التكليف، ويهتمون كذلك

بنظرية السياق، لأنها تحدّد دلالات الصيغ، والتي منها: الإباحة، والوجوب، والتعجيز، والإرشاد، وهذا مبني على مراعاة القرآن الكريم للمعنى والبني.

## رابعاً: تغيير المفاهيم

تخضع المفاهيم لأطر بيئية وثقافية، ويشير الاستخدام العام للمصطلحات - الفلسفية، والعلمية، والأدبية، والمفردات اللغوية - يشير للبس، وذلك لأنّ الأفكار تستخدم نفس المصطلحات والمفردات المتداولة؛ للتعبير عن نفس الدلالات التي ترتبط بالمضمون المعرفي للفلسفة، والفكر الذي أنتجها؛ أي أنّ دلالة الألفاظ والمفردات ترتبط بتصور ذهني معين، وليس مجرد عالمة عليه وإشارة، مع مراعاة مسألة التمييز بين ظاهرة "تغيير المعنى"، وظاهرة "تحريف المعنى".

## ١- أسباب تغيير المعنى:

هناك عدة أسباب تساعد في تغيير المعنى في الثقافات البشرية، منها: ظهور الحاجات الجديدة، الذي يؤدي إلى إحداث تغيير في المعنى، ثم العوامل النفسية والاجتماعية، كالاحظار أو التحرير؛ الذي يُفضي إلى تغيير المفاهيم؛ لأنّ المفاهيم التي تُعبر عنها بمصطلحات هي معانٍ مجردة.

## ٢- تحريف المعنى:

تُعدّ عملية تغيير المعنى حالة طبيعية، ويدور الإشكال على ظاهرة "تحريف المعنى"، فتغير المعنى يمرّ بمراحل تطور طبيعية، ويخطى بالقبول لدى أهل اللغة، والمجامع والهيئات العلمية، أما التحريف فيحصل لغايات

مبئته، وتمثل طريقة البحث في العقل في إظهار كيفية انبات العقل من المادة، وتبعاً لذلك لا يزيد العقل عن كونه عضواً مادياً، فالعقل عرض روحي خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان، فالاتجاهات المادية في العلم والفلسفة حرّفت مفهوم "العقل" من المنظور الوظيفي، الذي يُعدّ ملكة لدى الإنسان المحدود الإدراك. وتكمّن المغالطة في سحب الجزء على الكل، ولكنّ تصور الإسلام للمعرفة يرى أنّ العقل لا يزيد على أن يكون وسيلة من وسائل الإدراك، وأنّ كلّ وسائل الإدراك لدى الإنسان تقع في باب الوجود.

### ٣- قواعد التعامل مع المفاهيم:

هناك قواعد دلالية تحكم التعامل الدقيق مع المفاهيم، تنطلق من الاعتراف بالخصوصية الحضارية والسمات اللغوية والمنطقية للغة التي تصاغ بها، ومعرفة المعنى اللغوي والاصطلاحى للألفاظ التي تُعبّر عن المفاهيم، ومعرفة السيرورة الدلالية للمفهوم، والتمييز بين الدلالات الأصلية التي تجلّت عند وضعه أول مرة؛ والدلالات التاريخية التي اكتسبها في أثناء تطوره، ثم تحليل البنية الدلالية، وتمييز العناصر الأساسية من الفرعية، مما يساعد على إدراك الفرق بين التطور الدلالي الطبيعي وتحريف دلالة المفهوم؛ سواء عن طريق التضييق، أو التوسيع، أو أيّ صورة أخرى.

### خامساً: منظومة المفاهيم المفتاحية في القرآن الكريم

بما أنّ القرآن الكريم هو مصدر المعرفة الرئيس، فلا بد من حصر ألفاظه التي تصف الفعل المعرفي، أو الأساليب، أو الأدوات، أو تضفي قيمة

معرفية، ثم تحويلها إلى مفاهيم، من أجل رؤية موضوعات الحقل المعرفي.

بعض الألفاظ ذات دلالة واضحة؛ وبعضها تابع للألفاظ أخرى في المفهوم، وبعضها ورد ذكره في القرآن أكثر من غيره، ومنها ما ندر ذكره؛ لذا، قمنا بتأطيرها في مجموعات، ندرج تحت العقل كل الألفاظ ذات الصلة بالعمليّات العقلية؛ كالتفكير، والتدبّر، والنظر، والسمع، والبصر، وندرج مع الوحى كل متعلقاته من النبوة والكتاب والرسالة.

**سادساً: منهجية تصنيف الألفاظ المعرفية من القرآن الكريم**

هناك مجموعة من الألفاظ ترتبط دلالتها بمفهوم العلم والمعرفة في النص القرآني، تم استنباطها باستقراء كتب التفسير؛ وتتم دراسة هذه الألفاظ عن طريق التقسيم الدلالي، في ثلاثة مباحث: الدلالة المعجمية، والاستعمالية، والتأويلية.

### ١ - الدلالة المعجمية:

يُقصد بالدلالة المعجمية؛ تلك الدلالة الوضعية التي تمثل الحقيقة اللغوية عند الأصوليين، ذلك أن الأصل اللغوي لا يُعدل عنه إلا بدليل، فالأسفل هو الحقيقة اللغوية، أمّا مسوغ الدلالة المعجمية، فهو وضع الألفاظ في مجال دلالي واحد؛ تتضح داخله علاقات الألفاظ بعضها؛ لوجود المشترك والمترادف والمتضاد؛ وعدم المساواة بين الألفاظ، ذلك أن المعنى المعجمي يُمثل التصور الذي يستدعيه اللفظ المتجرد من العرف الاجتماعي والمعتقد الديني عند الإطلاق، وهو معنى يتصف بالتعديّة والاحتماليّة.

فالكلمة في المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها مفردات، على حين لا توصف بهذا وهي في النص، ولا يمكن تصوّر المعنى بوصفه خاطراً في الضمير؛ ما يعني أنَّ البحث فيه يكون وفق هيئته التي يُمثِّلها في التركيب، فمعنى اللفظ يتحدد بالسياق المتواضع عليه حال التركيب مع غيره، والمعنى واللحاق هما أهم عوامل ضبط المعنى، وتحديد الحقل الدلالي لكل لفظ.

## ٢- الدلالة الاستعمالية:

يقصد بها دلالة اللفظ على معناه الحقيقي، أو معانيه المجازية بقرينة ما، لأنَّ الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها إلا عند التركيب، وهذا فإن فهم القرآن الكريم يتطلَّب النظر في المادة اللغوية للغرض المراد تفسيره؛ بالوقوف على دلالة اللفظ في عصر النزول. وهناك ألفاظ لها دلالات خاصة من معانيها العامة، صار بعضها دلالة جديدة غير معهودة، تطلبها السياق القرآني، أو الجو الديني العام. وهناك ألفاظ استُعملت على نحوٍ دقيق، وصارت المفردة القرآنية تتمتع بميزات لم تعرف من قبل، بما يبرهن على إعجازها، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها.

## ٣- الدلالة التأويلية:

التأويل وسيلة من وسائل الكشف عن مراد المتكلم، ومعرفة ما تعنيه ألفاظه، ولا يتحقق هذا إلا بمراعاة أصول اللغة، فلا يكون إلا بدليل أو قرينة توجِّب صرف المعنى الظاهر الأصلي إلى غيره وإنْ بطلت الثقة باللغة

ومَهْمَّتِها، فالدَّلَالة التأوiliّة هي إخراج دَلَالة اللفظ من الدَّلَالة الحقيقية إلى الدَّلَالة المجازية. وقد عُدَّ المجاز المعتمَد على القرينة وضعاً تأويليًّا. والتأويل قد يكون هو التفسير لما تؤول إليه الكلمة مع السياق واللحاق، وهذا أقرب إلى الحقّ، فالجانب اللغويّ على قدر كبير من الأهميّة في العمل التأويلي، وقد أشار الشاطبي إلى ما تجحب مراعاته في المؤوَّل إليه ليصحّ حكمه، وذلك بأن يكون راجعاً إلى معنىًّا صحيحاً في الاعتبار، متَّفق عليه في الجملة، وأن يكون موضع اللفظ قابلاً للمعنى المؤوَّل إليه من الناحية اللغوية، بوجه من وجوه الدَّلَالة؛ حقيقة، أو مجازية، أو كناية، جرياً على سُنن العرَبِيَّة، وما تدلّ عليه أسباب نزول الآية.

## الفصل الثاني:

# مفاهيم المضامين المعرفية: المعرفة والعلم والوحي في القرآن الكريم

تشكلَّ المفاهيم عن طريق البحث في المعنى اللغوِيِّ المعجميِّ، وقد ابتدأنا باعتماد مقاييس اللغة دائِمًا؛ لبيان الأصل ومشتقاته، ثمَّ القاموس لبيان الدلَّالات الاستعْمالية، وعمدنا إلى استقراء المعاني الاستعْمالية والتَّأویلية من: المفردات للأصفهاني، والتعريفات للجرجاني، والكلَّيات للكفووي، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وإصلاح الوجوه للدامغاني، ونزهة الأعين النواذير لابن الجوزي، والوجوه والنظائر لسلیمان القرعاوي. ثمَّ ما يُستخلص من المعاني المعرفية التي تميَّز المفهوم قرآنِيًّا. وتنقسم المفاهيم إلى مفاهيم: المعرفة، والعلم، والوحي.

### أولاًً: مفاهيم المعرفة:

#### ١ - مفهوم المعرفة:

(ع ر ف): أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلةً بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة، عَرَفَه يُعرَفُه معرفة وعْرَفَانًا بمعنى علمه، فهو عَارِف، والتَّعْرِيف: الإعلام، وضدُّه التَّنكير. والمعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، مع كونها مسوقة بجهل أو نسيان حاصل بعد الإدراك الأول، وعرفها البعض بأنها إدراك الشيء بتفكيرٍ وتدبِّر لأثره،

والعارف بالشيء هو الذي كان له به إدراكٌ ظاهر، ثم أنكره لاشتباهه عليه، فمعنى المعرفة لتعلقها بالحسن وعيان القلب، وإفادتها تمييز المعروف من غيره، أخص وأتم من العلم المأخذ من عالم الفكر من هذه الجهة. ولم يحيط العلماء وصف المعرفة في حق الله تعالى؛ لما في معناها من شرط النكارة، وما يسبقها من جهل؛ ولأن دلالتها تتوقف على العلم القاصر المتوصّل إليه بالتفكير والتدبر.

ورد لفظ "المعرفة" في القرآن الكريم على نحوٍ محدود مقارنة بلفظ العلم ومشتقاته؛ وقد جاء على هيئة الفعل بصيغه المتعددة في أربعة وعشرين موضعًا، ترجع كلها إلى الأصل الأول مع فروق في المعاني الاستعاراتية. وهي ثانية أقسام: الأول: المعرفة الحسية، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ لَكُنْكُنَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وضدّه الإنكار، ﴿أَفَلَا يَعْرِفُونَ رَسُولَنَا فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، والثاني: التعريف: كتعريف الضالة وضدّه التنكير، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُهُمْ لَجْنَةُ عَرْفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] والثالث: التعارف، ﴿وَجَعَنَتُكُمْ سُعْدًا وَبَإِلَى لِتَعَارِفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]؛ والرابع: الاعتراف: بمعنى الإقرار بالشيء: ﴿وَآخَرُونَ أَعْتَرُوا بِذُنُوبِهِمْ حَاطُوا عَمَلاً صَلِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبه: ١٠٢]، والخامس: المعروف: وهو كل ما تعارف الناس عليه بأنه خير وصلاح: ﴿كُنْتُمْ خَيْرًا أُمَّةً أَخْرِجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاكُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والسادس: العُرف: وهو ما تبَدَّلُهُ وتعطيه: ﴿وَأَمَّا بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. والسابع: عرفات: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]. والثامن: الأعراف: كلٌّ مرتفعٌ من الأرض: ﴿وَنَادَى

**أَعْلَمُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتُهُمْ** ﴿[الأعراف: ٤٨].

ويكون التعارف على ما ظهر، أما الباطن فيوكل إلى الله؛ قال تعالى:  
**﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَقْنَاكُمْ﴾** [عدن: ٣٠]؛ فالتعارف مبني على الظواهر؛ أما الاعتراف  
فيكون عن معرفة يقينية مكتسبة، لا عن علم ضروري؛ فهو إقرار، فالخطأ لا  
يكون إلا عن جهل، وهو ضد المعرفة، وضد الحلم، فناسب اللفظ سياقه.  
والعرف في الشريعة هو كل ما تصالح الناس عليه من أفعال وأقوال؛ أي  
عادات وسوالف، فالمتأتٍ في الشّرع ما يحرّمها فهي على أصلها مباحة،  
وهذا يدخل في باب الحفاظ على ثقافة الشعوب والقبائل، واستمرار هويتها  
الاجتماعية مع هيمنة الشريعة الإسلامية.

خلاصة استعمالات لفظ "معرفة" في القرآن الكريم: من تتبع استعمالات  
لفظ "معرفة" في القرآن الكريم نجد أنها وردت بوصفها إدراكاً مكتسباً، وقد  
ذكرت في مواضع عدّة مقرونة بالعلامة الظاهرة؛ إما في الوجه فكانت أدلة  
المعرفة "العين"، وإما مما صدر من قول فكانت أدلة المعرفة "الأذن". وأمثلة  
ذلك في القرآن الكريم كثيرة، منها قوله تعالى: **﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَّصَرَةَ الْتَّعْيِمِ﴾**  
[المطففين: ٢٤].

وقد تصل المعرفة إلى درجات اليقين، كما في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ أَعْلَمُهُمْ**  
**الْكِتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ فَرِيقًا مِّنْهُمْ**  
**يَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**  
[البقرة: ١٤٦]. ويقتران ذكر "المعرفة" في القرآن غالباً بما يصادها، قال تعالى:  
**﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾** [النحل: ٨٣]، ويقابل المعرفة أيضاً الكفر

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] فمع أن الإنكار جاء بمعنى الجحود في الآية (٨٣) من سورة النحل، فإنه جاء بمعنى الجهل في الآية (٦٨) من سورة يوسف؛ أي إنهم لم يتعرفوا إلى يوسف عليه السلام ولم يعرفوه، فهو مجهول عندهم. أما في حال النبي ﷺ فقد كان إنكار المشركين كذباً وتكذيباً له عليه السلام. وترد المعرفة في القرآن الكريم على نوعين عند الموحدين والمشركين: معرفة إقرار، وهي التي اشتركت فيها الناس؛ البر والفاجر، والمطيع والعاصي، ومعرفة توجب الحباء من الله تعالى، والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه.

وتكون أدلة المعرفة من الوحي ومن الكون، وكلها تؤدي إلى اليقين. أما الوحي، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وفي الأدلة العقلية قوله تعالى: ﴿سَيِّرُكُمْ إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا فَلَا مَرْجِعٌ لَّهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ فالمعرفة لها بابان؛ لأن آيات الله نوعان؛ الأول: التفكير والتأمل في آيات القرآن الكريم، والثاني: التفكير في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه. وفي الأدلة الحسية ﴿وَلَوْ شَاءَ لَأَرَيْتَكُمْ فَلَعْنَافُهُمْ يُسِيمُهُمْ وَلَعْنَافُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ [محمد: ٣٠].

## ٢- مفهوم النكرة:

مادة (ن ك ر) أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، وقد (نَكَرَهُ نُكْرًا، ونُكُورًا، وَنَكَرَهُ وَنَسْتَنَكَهُ: لم يقبله قلبه، ولم يعترف به لسانه، وَالْمُنْكَرُ ضَدُّ المعروف).

ورد لفظ "نكر" بمشتقاته في القرآن الكريم في ستة وثلاثين موضعًا: ﴿كُنْتُ حَيْرَ أُمِّهَ أَخْرِجَتِ لِلثَّالِثِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهو كلّ ما استوحشت منه النقوس السليمة، ونفر منه العقلاء؛ وكلّ ما ورد الشّرع بتحريمه فهو منكر. وجاء في مقابل المعرفة؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوكُمْ عَيْتَهُ فَقَاتُوكُمْ سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَقَمْ مُنْكَرُوكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٥]؛ أي: مجاهلون، وقوله: ﴿فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]. فمُنكرون هنا خلاف المعرفة؛ أي أنهم متتجاهلون، ويتعاملون مع نعم الله كأنهم يجهلون مصدرها، وهذا نتيجة الجحود الذي هو من معاني الكفر لا من معاني الإنكار. وعلى معناه قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، وهو باقٍ على معناه اللغوي؛ أي كلّ ما خالف المعرفة التي تسكن إليها القلب، شرعية كانت أم عقلية أو عرفية.

### ٣- مفهوم الكفر:

(ك ف ر) أصل صحيح يدلّ على معنى واحد، هو الستر والتغطية، والمُكَفَّر: الرجل المتغطي بسلامه، والمُكْفُر ضد الإيمان، وكَفَر نعمة الله، جحدها وسترها. والكافر: الليل المظلم؛ وكل شيء غطى شيئاً فقد كَفَرَه. وقد ورد لفظ "كفر" مع مشتقاته في القرآن الكريم في (٥٠٣) موضعًا، على أربعة أوجه، هي: الجحود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ إِنَّدِرْهُمْ أَنْ لَمْ تُنْذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، والإإنكار: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]. والبراءة: ﴿إِنَّ كَفَرُتُ بِمَا أَشَرَّكُتُمُونَ مِنْ قَبْلٍ إِنَّ أَنَّا لِلَّهِ مَلِكِينَ أَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والإعراض: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ

أَنْصَنَا أَوْ لَتَعُودُكَ فِي مِلَّتِنَا ﴿إِبْرَاهِيمٌ: ١٦﴾ . وكلّ هذه المعاني جارية على أصل المادة وهو التغطية؛ في حق الكفار؛ ﴿وَقَالُوا قُلْبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]؛ أي مغلفة مغلقة.

#### ٤ - مفهوم الإدراك:

(در ك) أصل واحد، وهو حقوق الشيء بالشيء ووصوله إليه، يقال: أَدْرَكْتُ الشيءَ أَدْرِكْهُ إِدْرَاكًا، وتداركوا: لحق آخرهم أو لهم، واستدرك الشيء بالشيء، حاول إدراكه به، وأدرك بعقله: فهم، وقد ورد لفظ الدرك في القرآن الكريم في عشرة مواضع على أربعة أوجه، هي: الإلجام: ﴿حَقَّ إِذَا أَدَرَكَهُ الْغَرَق﴾ [يونس: ٩٠]. واللحوق: ﴿فَلَمْ يَجِدْهُ مُؤْمِنًا لَمْ يَدْرِكُنَ﴾ [الشعراء: ٦١]. والاجتماع: ﴿حَقَّ إِذَا أَدَارَكُوكُوا فِيهَا حَيَّا﴾ [الأعراف: ٣٦] والرؤبة: ﴿لَا يُدْرِكُهُ الْأَيْضَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَيْضَرَ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

فالدالة اللفظ في القرآن كانت على أصله اللغوي وهو اللحاق والتتابع، أما الدلالة المعرفية فهي: حصول الصورة عند النفس الناطقة، وقتل حقيقة الشيء وحده، من غير الحكم عليه ببني أو إثبات، ويسمى تصوّرًا، ومع الحكم بأحد هما يسمى تصديقاً، فهو يطلق على كل فعل للعقل بسيط و مباشر يدرك به الشيء الحسي أو الصورة المحفوظة في النفس أو المتخيّلة، ويقسم إلى: إدراك باطني، وإدراك خارجي. فالإدراك هو تمثيل حقيقة الشيء عند المدرك؛ أي يشاهد بها ما يُدْرِك. وهو مطلق التصور، وأول مراتبه وصول العلم إلى النفس الشعور، ثم الإدراك، ثم الحفظ، وهو كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة البرهان أو الخبر والنقل.

## ٥ - مفهوم الدراءة:

قولهم دَرِيْتُهُ: علمته. وأدْرِي دُرِيًّا، ودَرِيَّة، ودِرِيَانًا، ودِرَائِيَّة، علمته، وجاء لفظ "الدراءة" بمعنى الفعل مسبوقاً بالنفي أو بصيغة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ في مواضع ثلاثة، ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ في ثلاثة عشر موضعًا، منها قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الْسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]. وتأتي درءى بمعنى عَلَمَ وعَرَفَ بعد أن كان غير عالم. والدراءة مراتب متفاوتة، قد تكون تامة وقد تكون ناقصة، واللادراءة مذهب من يرى أنَّ حقيقة الأشياء ليست في متناول العقل البشري، وهو غير مذهب الشك الذي ينكر أصحابه العلم بشبه شيء أو لا ثبوته.

## ٦ - مفهوم الصدق:

(ص دق) أصل يدلُّ على قوَّة في الشيء، والصَّدْقُ: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه؛ لأن الكذب لا قوَّة له، وصدق المرأة، لأنَّه حق يُلزِمُ، والصَّدِيقُ الدائم التصديق، والصَّدْقُ: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، ومصادق القول حقيقته. وقد ورد الصدق في القرآن الكريم بمشتقاته في (١٢٧) منها: الصَّدْقُ: ﴿وَكَذَبَ يَأْصِدِقُ إِذْ جَاءَهُ﴾ [الزمر: ٣٢]، وصدق بصيغة الفعل ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدِيقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُسْقُوتُ﴾ [الزمر: ٣٣]. وصادق: بصيغة فاعل ﴿وَأَذْعُوا شَهَادَاتِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]. وصدق: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤]، وأصدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَ﴾ [النساء: ١٢٢]، والصِّدِيقُ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَبِ إِنَّهُمْ إِنَّهُ، كَانَ صَدِيقًا نَّيِّنًا﴾ [مريم: ٤١]. والصِّدِيقُ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١] والصدقات: ﴿فَقِنْدَيْهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةً أَوْ شُكِّ﴾

[البقرة: ١٩٦]، والصَّدَقة والصَّدَقات، بصيغ: صدقاتكم، صدقاتهن، ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ بِخَلَهُ﴾ [النساء: ٤] وغيرها.

## ٧- مفهوم الحق:

(ح ق) أصل واحد. يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض الباطل، وحق الشيء: وجب، وحقيقة به أي جدير، وحق الأمر حقاً وحقةً وحقوقاً: صح وثبت وصدق. وقد ورد لفظ الحق في القرآن الكريم في (٢٦٧) موضعأً، منها: ﴿وَلَوْ أَتَيْتَ الْحَقَّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْأَطْعُمُ﴾ [المؤمنون: ٧١]. وهو القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [القصص: ٨٤]. وهو الإسلام: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَطْلُ﴾ [الإسراء: ٨١]. والعدل: ﴿يُوَمِّدُ يُوَفِّرُهُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ [النور: ٢٥]. والتوحيد: ﴿بِلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ بِوَمِيزِ يُوَفِّرِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]. [المرسلين: ٣٧]. والصدق: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الآيات: ٦٢]. والوجوب: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقُولُ مِنِي﴾ [السجدة: ١٣] ضد الباطل: ﴿ذَلِكَ يَأْكُبُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَكُبُّ مَا يَكْسُبُونَ كَمِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وهو المال: ﴿وَلَيُمْلِلِ الَّذِي عَيَّنَهُ الْحَقُّ وَلَيُسْتَغْنَىَ اللَّهُ رَبُّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والأولى: ﴿وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِإِلْكَارِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧] وهو الحظ والنصيب: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤]. وال الحاجة: ﴿مَا تَنَافَى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩]. والبيان: ﴿فَالَّذُلُّ أَكْثَرُهُ حَقٌّ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١]. وهي لا إله إلا الله: ﴿لَهُ دُعَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]. والمنجز: ﴿وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي الْتَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبه: ١١١]، والجرم: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يُعَذِّبُ الْحَقَّ﴾ [البقرة: ٦١]. وكلها مترابطة مع معانيها اللغوية، فأصله المطابقة والموافقة، لهذا كانت أوجهه تدور على المعنى

الأصلّي: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]؛ أي صاحب الحكم والأحكام، الذي لا يزال ولا يزول، ويقال في الاعتقاد المطابق لما هو عليه ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. ويقال للفعل والقول الموافق لما يجب أن يكون عليه. ﴿وَلَا كُنْ حَقًّا لِّقَوْلٍ مِّنْكَ﴾ [السجدة: ١٣]؛ قوله تعالى: ﴿لِمُحَقَّ الْحَقَّ وَبِطْلَ الْبَطْلَ﴾ [الأنفال: ٨] فإحقاق الحق على ضربين: إظهار الأدلة والآيات، وإكمال الشريعة.

## ٨ - مفهوم اليقين:

(ي) ق (ن) زوال الشك، يقال: يقنت واستيقنت وأيقنت: علمت وتحققت. وربما عبروا عن الظن باليقين، وعن اليقين بالظن. وقد ورد لفظ اليقين في (٢٨) موضعًا على أربعة وجوه، هي: الصدق ﴿وَجِئْنَاهُكَ مِنْ سَيَّئِ بَنَاءِ يَقِينِ﴾ [النمل: ٢٢]، ومثلها ﴿وَإِلَيْكُمْ هُوَ يُوَثِّقُونَ﴾ [البقرة: ٤]. والموت: ﴿وَأَعْبَدُ رَبِّكَ حَتَّىٰ يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] والعيان: ﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَنِ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. والعلم: ﴿وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

فالاليقين في القرآن هو ما ألغت العربية أن تعبّر به عن التتحقق وإزالة الشك، والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بـوهم أو ظن أو تخمين أو ارتياض. ولا يوصف الله تعالى بأنه يتيقن، لأنّ اليقين هو العلم بالشيء بعد الشك فيه؛ وذلك بعد أن تكثّر الدلائل، وتتوافق فتصير سبباً لحصول اليقين، على سبيل الثقة. واليقين فوق المعرفة والدرية، يقال: "علم اليقين" ولا يقال: "معرفة اليقين" ويقال: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين، وبينها فروق.

والتصديق والصدق إنما يقع للشخص المتيقن، ﴿وَجِئْنَكَ مِنْ سَيِّئِ بَنَكَ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وهنا قدم المهدد لكلامه بعلامات الصدق و تمام المعرفة، مصدرأً ونقلأً؛ فصدر كلامه بقوله: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحْطِبْ بِهِ، وَجِئْنَكَ مِنْ سَيِّئِ بَنَكَ يَقِينٍ﴾، فالخبر الذي أحضره المهدد كان شاملًا لجوانبه كلها؛ حتى وصف نقله بـ"الإحاطة". ثم وصف علمه بـ"النبا" وهو الخبر خطير الشأن؛ أي إعلام بخبر مهم، كالإنذار وهو إعلام يشِّرِّ وخطر محدق. فالنبا هو الخبر المنتقل من مكان إلى آخر. ثم وصف النبا بـ"اليقين" أي الصادق، وذاك كله ليثبت صدقه ويقدم عذر غيابه.

وفي قوله: ﴿وَمَا قَاتَلُهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]، إنما حكموا تخميناً ووهماً، فالاليقين هو العلم الذي لا شك فيه، أو اعتقاد الشيء أنه كذا مع اعتقاد عدم خلاف ذلك، أو هو مطابقة الواقع وغير ممكن للزوال. واليقين بمعنى المعاينة وال المباشرة، كما في ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ إلى ﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧-٥].

## ٩ - مفهوم الكذب:

(ك ذ ب) أصل صحيح يدل على خلاف الصدق، وكذبه نسبه إلى الكذب، وله مشتقات، يقال: كذبت العين: خانها حسها وكذب الرأي: توهم الأمر بخلاف ما هو به. وكذبته نفسه: مَتَّهُهُ بغير الحق. ويأتي بمعنى الخطأ لأنه يشبهه في عدم الصواب. وإن افترقا من حيث النية والقصد.

ورد لفظ الكذب في القرآن الكريم في (٢٥١) موضعًا، على ستة أوجه، هي: النفاق: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْدِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، والقذف:

**وَالْخَوْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** [النور: ٧]. والرد: **لَيْسَ لِوَقْنَمَا كَاذِبَةً** [الواقعة: ٢]؛ والجحود: **مَا كَذَبَ الْفَوَادُ مَا رَأَى** [النجم: ١١]. والتکذیب: **لَمْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ** [ق: ٥]. والافتراء: **وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ** [الزمر: ٦٠].

فالكذب هو إخبار بما لا يطابق الواقع، ويكون متعلقاً بالقول، وجاء في القرآن الكريم وصف النفاق بالكذب، فكان معنى الكذب واقعاً على الحال؛ فحالهم من أقوالهم وأفعالهم ينبع بخلاف ما في ضمائرهم، وعكس ما يَقُولُونَ في قلوبهم، فالنفاق إظهار الخير وإبطان الشر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانَهُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، ثم وصفهم تعالى بالخداع، وبأنهم مرضى القلوب، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [آل عمران: ١٠]، فادعاؤهم الإيمان حالاً ومقالاً كان كذباً وخلافاً لواقعهم. وجاء في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، فالكاذب على الله يقول عنه بغير علم، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

## ١٠ - مفهوم الإفك:

(أ) أصل واحد، يدل على قلب الشيء، وصرفه عن جهته. أَفَكُرُّ  
الرجل إذا كذب، والإِلْفُ الكذب، والمؤتفكات: مدائِن قُلْبِتْ على قوم لوط،  
والمأْفُوكُ: الضعيف العقل والرأي. وقد ورد لفظ الإِلْفُ باشتقاقة في ثلاثة  
موضعاً من القرآن الكريم، على سبعة وجوه، هي: الكذب: ﴿وَإِذْلَمْ بَهَتَدُوا  
بِهِ فَسِقَوْلُونَ هَذَا إِلْفُ قَيْرَمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]. والعبادة الباطلة: ﴿أَيْفَكًا عَلَيْهِ  
دُونَ اللَّهِ تُبَدِّلُونَ﴾ [الصفات: ٨٦] وادعاء الولد لله -تعالى عَمَّا يقولون-: ﴿أَلَا

إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ [الصفات: ١٥١ - ١٥٢]. وقد ذكر المحسنات: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكَ عَصِبَةٌ مُّكْرَرٌ» [النور: ١١]، ووصف الإلفك بالبهتان «سُبْحَنَكَ هَذَا مَهْتَنٌ عَظِيمٌ» [النور: ١٦]. والصرف: «يُوقَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ» [الذاريات: ٩]. والتقليل: «وَالْمُؤْنَفَكَةَ أَهْوَى» [النجم: ٥٣]. والسحر: «فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» [الشعراء: ٤٥]

وقد وصف الله تعالى ادعاء الشركاء له بأنه إلفك وادعاء الولد، والإلفك هنا قلب الحقائق الواضحة البينة، وهو أشدّ من الكذب، «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَّ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾» فمعنى الإلفك القلب والصرف عن الجهة الحقيقة للكلام. فوصف ذلك القلب بأنه كذب. والبهتان هو أن يتهم الآخر بما لم يفعل في غيبته مع علمه بأنه كاذب في ما قاله، وهو من أنواع الكذب، والإلفك أشدّ من الكذب، والبهتان أشدّ منه، فكلّ إلفك كذب، وليس كلّ كذب إلفك. فالإلفك هو الكذب للإضرار بالغير؛ لأن الكذب قد يكون لدفع ضرر أو جلب منفعة لكنّ الإلفك للإضرار بالغير؛ لذا اتهم الله تعالى في الآيات عصبية الإلفك بسوء القصد؛ إذ إنهم يبغون إشاعة الفاحشة في المؤمنين. وقد وصف السحر بأنه إلفك: «فَالَّقَنُ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» [الشعراء: ٤٥]

## ١١ - مفهوم الافتراء:

الفاء والراء والحرف المعتل، تقول: أفريتُه إذا أنت قطعْتَه للإفساد، وفلان يُفْرِي الفريَّ، إذا كان يأتي بالعجب، كأنه يقطع الشيء قطعاً عجياً، وفَرَّاه، أفراء، وفري الكذب: اختلقه؛ والفرية: الكذب، وأفرى الأديم قطعه

على جهة الإفساد؛ وفَرَاه قطعة على جهة الإصلاح.

وقد ورد لفظ الافتراء في القرآن الكريم في (٦٠) موضعًا، ومن صيغه: افتراء للكذب: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنْ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤]، فالافتراء غالباً لا يكون إلا للكذب، بمعنى اختلاقه مع احتمال اللفظ للكذب، لكن شرط العلم ناقص؛ لذا أضيف الكذب، فقد يكون بعضه ليس كذباً، أي عن جهل. ومنه افتراء الإثم: ﴿وَمَنْ يُتَرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِنَّمَا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وافتراء القرآن: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧]، والأمر العظيم العجب: ﴿قَالُوا يَنْرِمِمُ لَقَدْ حِشْتَ شَيْئًا فَرِيَّا﴾ [مريم: ٢٧]. وافتراء السحر: ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٌ﴾ [القصص: ٣٦]. وافتراء الإفك: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٌ﴾ [سبأ: ٤٣]. وافتراء البهتان: ﴿وَلَا يَأْتِنَ بِبُهْتَنٍ يَقْتَرِبُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [المتحنة: ١٢].

## ١٢ - مفهوم البهتان:

(بـ هـ تـ) أصل واحد، فالبهتان: الكذب المفترى، بمعنى قال عليه ما لم يفعل، والبهتُ: الأخذ بغتة، والانقطاع، وبهتَ: دهش وتحير. وأفصح منها بُهت بالضم، وهو بمعنى أُخِذَ بالحجفة، فشحَب لونه، يقولون: ثوب باهت، ولون باهت؛ أي شاحب. وقد ورد لفظ البهتان مع استتفاقاته في ستة مواضع، على أربعة أوجه، هي: الرزنا: ﴿وَلَا يَأْتِنَ بِبُهْتَنٍ يَقْتَرِبُهُ﴾ [المتحنة: ١٢]؛ والكذب: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴽ٥﴾﴾ [النور: ١٦]، والمال الحرام: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبْيِنًا﴾ [النساء: ٢٠]. والدهشة والخسران: ﴿فَبُهْتَ

الَّذِي كَفَرَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالبهتان يشمل معاني الباطل والكذب والدهشة والخيرة. وكلّ بهتان افتراء، وليس كلّ افتراء بهتانًا. وعرفه البعض بأنه الكذب المفترى. ووصف بأنه عظيم؛ أمّا الإفك فكان تبيانه بطلب الشهادة من أربعة شهداء. كما وصف أخذ مالٍ بغير حقٍّ بالبهتان والإثم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدُتُمْ أَسْتَبِدَّاً رَّوْجَ مَكَابِرَ رَوْجَ وَمَائِنَةَ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سَيِّئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَمَنَّتَنَا وَإِنَّمَا مُؤْيِنَا﴾ [ النساء: ٢٠ ]. والمباهنة إثارة الدهشة والخيرة بفعل هذا الباطل. أما قوله: ﴿فَهُمْ لَذِي كَفَرَ﴾، فقد كان سياق الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِيعِهِ أَنْ يَأْتِيهِ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُعْلِمُ﴾، ويُؤْمِنُتُ قَالَ أَنَا أُحْمِيَّ، وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّكَ أَنْتَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَيْتَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِيْنَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فانتقال إبراهيم عليه السلام من الحجة الأولى إلى الثانية وترك نصرة الأولى كان لإدراكه ضعف فهم المخاصم؛ لذا كانت الحجة الثانية محيرة ولم يجد مجادله جواباً للرد.

## ١٣ - مفهوم السحر:

(س ح ر) أصول ثلاثة متباعدة: الأول السّحر: وهو ما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن، والثاني السّحر، وهو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال هو الخديعة. والثالث السّحر، وهو وقت ما قبل الصبح، فالسّحر: كلّ ما لطف مأخذُه ودقّ، "إن من البيان لسحراً، والساحر العالم. وقد سحرَه: خدعة، وقد ورد لفظ السحر في (٦٢) موضعًا، على خمسة أوجه هي: العلم:

﴿ وَقَالُوا يَتَأْيَهُ السَّاحِرُ أَدْعُوكَنَا رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٤٩]. والكذب: ﴿ وَلَمْ يَرَوْا إِلَيْهِ يُعِرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ ﴾ [القمر: ٢]. وأخذ العين: ﴿ قَالَ أَلْقُوا أَلْقُوا سَحْرُوا أَعْيُّنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]. والجنون: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا رُجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨]. والصرف عن الحق: ﴿ قُلْ فَانِّ تَسْحُورُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩]. فالسحر مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأحوال يتربّ عليها أمور خارقة للعادة يتعدّر معارضتها.

#### ٤ - مفهوم القراءة:

الأصل: "قرئ" و"قرأ" القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدل على جمع واجتماع. وإذا هُمِزَ كان هو والأول سواء. ومنه القرآن، سمي بذلك لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك، ومنه أقرأت المرأة، لأنها قد جمعت دمها في جوفها فلم تُرِخِه، والقرء من الأصداد فيعني الطهر والحيض. ومن الباب: قرأه، قرءاً وقراءةً وقرءاناً، فهو قارئ من قراءةٍ وقراء وقارئين، وصحيفة مقرؤة ومقررة ومقرية. وقارأه مقارأة وقراء: دراسه، وتقرأ: تفقة، وأقرأه إياه: أبلغه، والقرء: الوقت، والحمى، والغائب، والبعيد، والحيض، والطهر، وقوافي الشعر.

وقد ورد لفظ قرأ بصيغه في القرآن الكريم في حوالي (١٧) موضعًا من غير كلمة "القرآن، والقرء، والقرية"، وجاء لفظ القرآن في (٧٠) موضعًا. وجاء إطلاق لفظ "القرآن" على كلام الله تعالى المخصوص المتزل على محمد ﷺ في (٦٨) موضعًا، وجاء في موضعين بدلاته اللغوية بمعنى القراءة في

القيامة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ، وَقُرْنَاهُمْ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَانْتَهَ قُرْنَاهُ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨].  
 والإقراء تعليم و نقش للمقروء في قلب نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿سَنُقِرُّكَ فَلَا  
 تَسْئَ﴾ [الأعلى: ٦]. وتقع المعرفة لمن يقرأ اطلاقاً أو حفظاً أو تذكرأ،  
 وتعتمد مرتبتها في العلم على إحاطة الشخص بما هو مكتوب، قراءة عامة أو  
 بإمعان. وبنو إسرائيل هم قرأة الكتاب، وقد علموا من قراءتهم علماً راسخاً  
 بصحة ما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْكِلْ الَّذِينَ  
 يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. قال تعالى:  
 ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال: ﴿أَقْرَأْ  
 كِتَابَكَ كَفَنَ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقال: ﴿أَقْرَأْ بِإِسْرَئِيلَ الَّذِي حَلَقَ  
 ﴾ [العلق: ١]. وقد حددت الآيات أن القراءة تكون للكتابة أو للمحفوظ.

## ١٥ - مفهوم الدراسة:

(درس) أصل واحد يدل على خفاء، فالدرس الطريق الخفي،  
 ودرستُ الحنطة وغيرها في سنبلاها إذا دستها، كالطريق الذي يدرس ويمشي  
 فيه، ومنه درستُ القرآن وغيره، وذلك أن الدارس يتبع ما كان قرأ،  
 كالسالك للطريق يتبعه، والكتاب يدرسُه درساً و دراسة: قراءة. وقد ورد  
 لفظ "درس" في القرآن الكريم ست مرات بصيغة الماضي والمضارع، وكذلك  
 المصدر. درستُ العلم؛ أي: تناولت أثره بالحفظ، وذلك بمداومة القراءة،  
 قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُوْكَيْبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم: ٣٧]؛ أي تقرءون، وكانت حجة

الدراسة أقوى من حجة القراءة؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا عَنِ دراستِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]؛ أي: عن قراءتهم، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ تُصَرِّفُ الْأَيْتَ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] وقيل: اسم "إدريس" مشتق من درس، لكثرة دراسته لكتاب الله تعالى.

## ١٦ - مفهوم التحصيل:

(ح ص ل) أصل واحد، وهو جمع الشيء، وسميت حوصلة الطائر، لأنها يجمع فيها. يقال: حَصَّلت الشيءَ تَحْصِيلًا، وقيل: أصل التحصيل استخراج الذهب أو الفضة من الحجر أو من تراب المعدن، والحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، وتحصيل: تجمّع وثبت، وتحصيل الكلام ردّه إلى مخصوصه؛ أي إلى بقائه. وقد ورد التحصيل في القرآن الكريم مرة واحدة، بصيغة المبني لـما لم يُسمَّ فاعله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]؛ أي مُيَزَّ، إيذاناً بكشف المستور وإظهار المطوي المضمر؛ وقد انتقلت دلالته من مجرد الجمع إلى حفظ العلوم وتلقّيها حتى استعمل تحصيلاً من غير قرينة لفظية.

## ١٧ - مفهوم الإحصاء:

الحاء والصاد والحرف المعتل، ثلاثة أصول: الأول الحصو؛ وهو المنع، والثاني العدد والإحاطة، من أحصيَت الشيء، إذا عَدَّته وأطْقَته، والثالث شيء من أجزاء الأرض، وهو الحصى المعروف، يقال: أرض حَصَّاة، إذا كانت ذات حصى، وأحصاء: عَدَّه أو حفظه، أو عقله.

ورد لفظ الإحصاء باشتقاقاته في أحد عشر موضعًا، على أربعة وجوه، هي: القدرة والطاقة: ﴿وَإِنْ تُعْذِّبُوهُ نَعْمَتْ اللَّهُ لَا يُخْصُّوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، والعدد: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصَوُا لِعِدَّةً﴾ [الطلاق: ١]. والكتاب: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَبْتَهُ فِي إِيمَانِ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ومنه الحفظ: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَسَهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. فمعنى الإحصاء العدد والحصر والضبط والإحاطة والحفظ والكتابة، وكلها تحفظ بالدلالة اللغوية التي نلحظ فيها معنى الاستقصاء والاشتمال للأشياء التي نحن بصددها. يقال: أحصيتُ كذا، وذلك من لفظ الحصا، من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعدد، قال تعالى: ﴿وَاحْصَى كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

## ١٨ - مفهوم التقدير:

(ق د ر) أصل واحد يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، وقدرتُ الشيء أقدرُه وأقدرُه من التقدير، والقدر هو قضاء الله تعالى، وقدرة الله تعالى على خليقه: إيتاؤهم بالملبغ الذي يشاؤه ويريدوه، والتقدير تدبير الأمر وقياس الشيء بالشيء، والتفكير في تسويته أمر، والتهيئة والتوقيت.

وقد ورد اللفظ بصيغ عددة في (١٤٦) موضعًا، على ستة أوجه، منها: العظمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] والقرت: ﴿اللَّهُ يَسْمُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، والقوّة: ﴿أَيْخَسَبَ أَنَّ لَنْ يَقُولَ عَنِيهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، والتصوير: ﴿فَقَدَرْنَا فَيَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] يعني في الأرحام. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَارِبٍ مَّكِينٍ﴾ [إلى قدرٍ مَّعْلُومٍ] [المرسلات: ٢١، ٢٢]. وجَعل: ﴿وَقَدَرَهُ مَتَازِلٌ﴾

لِعَلَمْتُمْ عَدَدَ الْسَّيِّنَاتِ وَالْحِسَابِ ﴿يُونس: ٥﴾؛ وعلم: ﴿وَاللَّهُ يُقْدِرُ أَيَّلَ وَأَنَّهَارَ﴾ [المزمول: ٢٠]؛ والتقدير: التدبير المحكم؛ قال تعالى: ﴿وَقَدَرَ فِي أَسَرِدٍ﴾ [سبأ: ١١]؛ والتقدير في حقنا يرجع إلى الظنّ والحسبان، وفي حقه سبحانه هو العلم به والإخبار عنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ، نَقَيْرِكَ﴾ [الفرقان: ٢]. فالقدر والتقدير تبيّن كميّة الشيء، يقال: قدرته وقدرته وقدرته بالتشديد، ﴿فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

## ١٩ - مفهوم البحث:

(بـ حـ ثـ) أصل واحد، يدلّ على إثارة الشيء. والبحث طلبك شيئاً في التراب، والبحث أن تسأل عن شيء، تقول: استبحث عن هذا الأمر، وببحث عن فلان بحثاً. والبحث لا يكون إلا باليد، وبالرجل: الفحص، يقال: بحث عن الخبر؛ أي طلب علمه، وتبحث: أي فتش. والبحث: بذل الجهد في موضوع ما، ثم خصّصت دلالة البحث بالكشف والتقصي في العلوم؛ لأن البحث يظهر الخفي ويبيّد المستتر، وللبحث أجزاء ثلاثة مرتبة بعضها على بعض، هي: المبادئ، والأواسط، والمقاطع، وهي المقدمات التي تنتهي الأدلة إليها من الضرورات والسلمات، مثل الدور والتسلل. وسورة براءة تسمى "البحوث"؛ لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم.

## ٢٠ - مفهوم الكشف:

(كـ شـ فـ) أصل صحيح يدلّ على سرّ الشيء عن الشيء، كالثوب يُسرى عن البدن. والكشف: دائرة في قصاص الناصية، كأنّ بعض ذلك

الشَّعْرِ ينكشف عن مَنْيَتِه. يقال: تكَشَّفَ البرق إذا ظهر وملأ السماء، والكافِحة: الإظهار. وقد ورد لفظ الكشف في القرآن الكريم في عشرين موضعًا، قال تعالى: ﴿فَكَشَّفْنَا عَنَكَ غُطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَلِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. فالكشف: رفع الشيء عما يواريه ويغطيه، ومنه الكافحة، قال تعالى: ﴿لَيَسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]. بمعنى الانكشاف، وتنكشف بإقامة الله تعالى إياها، ويقال عن زوال الغم انكشافه: ﴿وَإِنْ يَمْكُسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَعْنَى إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

## ٢١ - مفهوم النقيب:

(ن ق ب) أصل صحيح يدل على فتح في شيء، ونَقْبَ الحائط ينْقُبُه نَقْبًا. ونَقْبُوا في البلاد: ساروا في القُوب؛ أي الطريق، طلبًا للنجاة. والنقيب: المزمار، والتَّقْيَة: النفس، والعقل، والمشورة، ونفذ الرأي، والطبيعة، والعظيمة الضرع من النوق. ونَقْبَ عن الأخبار: بحث عنها، أو أخبر بها.

ورد لفظ نقب بصيغه في ثلاثة مواضع على ثلاثة أوجه، هي: الأمين والكفيل: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أُنْيَ شَرَّ رَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]. والطواف: ﴿فَنَقَبُوا فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [الكهف: ٩٧]. والخرق: ﴿وَمَا أَسْتَطَعُوهُ لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٣٦]. فالنقيب هو الذي ينْقُبُ عن أحوال القوم، وجاء من مادته الفعل "نَقْبُوا" في قوله تعالى: ﴿فَنَقَبُوا فِي الْبَلَدِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [الكهف: ٣٦]؛ أي بحثوا وطافوا بالبلاد، ورأوا فيها من الآثار. فأصل اللفظ من الحفر، ثم نقلت الدلالة إلى البحث، فسمى العالم بالنقيب، وكلّ رجل فطن ذكيّ الفهم

هو نقاب، والنقيب دون العريف الذي يعرف دخيلة القوم ومناقبهم، ولأن النقب يكون للوصول إلى الجوف سميت النفس النقيبة والعقل المشورة؛ لأنها كلها تبحث في قلب الشيء ولبه.

## ٢٢ - مفهوم العشرة:

العين زائدة وإنما هو في الباء والثاء والراء، وهي بمعنى نظر وفتح. وبعشر الشيء: فرقه وبذاته، وقلب بعضه على بعض، واستخرجه فكشفه وأثار ما فيه، والبَعْثَة غشيان النفس، وهي لم ترد في القرآن إلا في موضعين: وأثار ما فيه، والبَعْثَة غشيان النفس، وهي لم ترد في القرآن إلا في موضعين: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُغْرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُغْرِتْ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]، فالبعثة هنا ليست مجرد أصل لغوی للإثارة والإخراج، ولكن فيه دلالة على معنى الانتقال السريع من بعثة ما في القبور إلى الحساب العسير المحصل لما في الصدور وتعلم به كل نفس وجاء الفعل في الآيتين مبنياً للمجهول صرفاً للذهن إلى الحدث نفسه. وهنا نكتة حيث ورد في الآية لفظ "ما" ولم يقل "من" في القبور، وذلك أن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر فأكثر الكلام على الأغلب، أو يقال: إنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاً، بل بعد البَعْث يصيرون كذلك، وهو الأصل اللغوی للبعثة.

## ٢٣ - مفهوم الكتابة:

(ك ت ب) أصل صحيح واحد يدلّ على جمع شيء إلى شيء، يقال: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبْهُ كَتْبًاً. والكتابُ هو الفرض، وكَتبَه كَتْبًاً وكتابًاً: وهو ما يكتب فيه. وقد ورد في القرآن الكريم (٣١٩) موضعًا، على خمسة وجوه،

هي: الفرض: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة: ١٨٣]، والقضاء: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْنِيَنَّ أَنَا وَرُسُلِّي﴾ [المجادلة: ٢١]، والجعل: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ آتِيَنَّ﴾ [المجادلة: ٢٢]. والأمر: ﴿يَنَّهُمْ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ أُلَّا يَكُنَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٢١]. والكتابة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩].

والكتابة في المعرفة هي ضمُّ الحروف بعضها إلى بعض بالخطأ، والأصل فيها النَّظُمُ بالخطأ، لكن يستعار كل واحد لآخر، وهذا سُمي كلام الله تعالى كتاباً، وإن لم يُكتب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبٌّ لِّفِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ويعبرُ عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم بالكتابة.

ووجه ذلك أنَّ الشيءُ يُرادُ، ثم يقال، ثم يُكتب، فالإرادة مبدأ والكتابة منتهي. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ آتِيَنَّ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع في قلوبهم حتى آمنوا بما يحب عليهم، ومنه أطلق على اسم الكلام المجموع في صك، قال تعالى: ﴿أَلَّذِي يَحْذُوْهُ، مَكْتُوْبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرِيدَةِ وَأَلْنِجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وأطلق عرفاً على كتاب الله تعالى المُنْزَل على أنبائه كالتوراة والإنجيل والقرآن، قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِيمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كَتَبَ مُصَدِّقًا لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الاحقاف: ١٢]. وللكتاب وجوه أخرى تتجاوز الدلالة اللغوية، منها الحساب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ نُّذِعَ إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، ومثله ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَيْغَرَةً وَلَا كِيرَةً إِلَّا حَصَّهَا﴾ [الكهف: ٤٩]. ففيه إشارة إلى أنَّ أعمالهم أثبتت في كتاب، وضم بعضها إلى بعض ليحاسب الإنسان على كلِّ ما كسب.

وسمّي القرآن الكريم بالكتاب ﴿كِتَبٌ فُصِّلَتْ أَيْمَنُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ۲۳]. وكذا سمّي التوراة والإنجيل كتاباً ﴿لِتَحَسَّبُوهُ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ﴾ [آل عمران: ۷۸]؛ وسمّي الأجل كتاباً، لأنّه مكتوب محدد ﴿وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ فَرِीْةٍ إِلَّا وَهُنَّا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ۴]، وعدّة المرأة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَبُ أَجْلَهُ﴾ [البقرة: ۲۲۵]. فالكتاب على الناس ﴿وَالْمُحَصَّنُتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النساء: ۲۴]. فالكتاب علّم لطائفه من الألفاظ دالة على مسائل مخصوصة من جنسها، تحتتها في الغالب إما أبواب دالة على أنواع منها، أو فصول دالة على الأصناف، وإما غيرها، وقد يستعمل كلّ من الأبواب والفصوص مكان الآخر، والكلّ علّم جنس، ولو كان المراد بيان الأنواع يختار الكتاب على الباب. وقد يطلق الكتاب على الإملاء. وعلى الإنشاء، وشاع استعمال الكتاب في الحروف والكلمات المجموعة إما في اللفظ، وإما في الخط بجعل المصدر بمعنى المفعول، وشاع استعمال الكتابة بمعنى تصوير اللفظ بحروف هجائية؛ لأن فيها جمع الحروف وأشكالها.

## ٤ - مفهوم الزُّبُر:

(ز ب ر) أصلان: أحدهما يدلّ على إحكام الشيء وتوثيقه، يقال: زَبَرْتُ الْبِئْرَ، إذا طويتها بالحجارة، ومنه زُبْرَة الحديد، والجمع زُبُر. والبئر المزبورة، ومنه الزُّبُر وهي الداهية، وما لفلان زَبْرٌ: أي ما له عقل ولا تمسك. والأصل الآخر: على القراءة والكتابة، زَبَرْتُ الكتاب، إذا كتبته، ومنه الزَّبُور. وفي القاموس: الزَّبْرُ: القوي الشديد، والمُزَبِّرُ القلم، والزَّبُورُ

الكتاب بمعنى المَزُور؛ أي المكتوب.

ورد لفظ الزبر باستقاقاته في تسعه مواضع على خمسة أوجه، هي:  
الكتب: ﴿جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنْيِرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، والكتاب المنزّل على داود عليه السلام: ﴿وَءَأَيَّتِنَا دَاؤِدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. واللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الْزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢]. والقطع: الزُّبُر في قوله تعالى: ﴿أَءَلْوَقَ زُبُرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]. وحديث الأولين: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالْأَزْبُرِ﴾ [التحل: ٤٤]. فالزُّبُر الكتابة الغليظة، والزُّبور الكتاب المسطور، وقيل: الربور كتاب الله الذي يخلو من الأحكام الشرعية، ويقتصر على الحكمة العقلية، قال تعالى: ﴿جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنْيِرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، واجتماع لفظ الزبر مع الكتاب المنير دلّ على تفاوت بينهما، وقيل: الربور بمعنى المزبور؛ أي المكتوب، والزُّبُرة: القطعة العظيمة من الحديد، واستعير لل مجرأ ﴿فَنَقَطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَنَاهُمْ فَرِحُونَ﴾ [٥٣] [المؤمنون: ٥٣]؛ أي صاروا أحراضاً.

## ٢٥ - مفهوم السِّفْرُ:

(س ف ر) أصل واحد، يدلّ على الانكشاف والجلاء، وسمى السَّفَرَ بذلك لأنّ الناس ينكشفون عن أماكنهم. والسَّفْرُ: الكتابة، لأنها سفر عما يحتاج إليه من شيء المكتوب، والسَّفْرُ الكتاب الكبير، أو جزء من أجزاء التوراة، جمعه أسفار، والسَّفَرَة: الكتبة، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥].

ورد لفظ سفر باستقاقاتها في القرآن في اثنى عشر موضعًا على خمسة أوجه، هي: القرى والمنازل: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. والكتب:

﴿كُثُلِ الْحَمَارٍ يَحْمُلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، والإشراق: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ شُفَرَةٌ﴾ [٣٨]. والانكشاف: ﴿وَأَصْبَحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [٣٤] [المدثر: ٣٤]. والانتقال من مكان إلى آخر: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ما يهمنا هنا هو ما يدلّ على "الكتب" وهو السّفر، كما ورد بصيغة السّفَرَة: الكتبة مفردها، وهم الملائكة الذين يسْفِرون بين الله ورسله بالوحى، السفراء بين الله وبين عباده، وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلاح، وهذه الوجوه لا اختلاف فيها، وهذه المادة لا تخرج عن أصلها اللغوىّ فيما ذكرنا؛ لأن دلالة السّفَر والإسفار على الكشف والإبانة عن الشيء وإظهاره ملحوظة في الآيات التي مرّت.

## ٢٦ - مفهوم العهد:

(ع هـ) أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد. عهد الرجل يعهد عهداً، وهو من الوصيّة، لأنّ العهد مما ينبغي الاحتفاظ به، وجمعه عهود، والعهد هو المنزل الذي لا يزال القوم يرجعون إليه. والمعهد مثل ذلك، وجمعه معاهد. ومن ذلك المعاهدة والتعاهد والتعهد وهو ما يحتفظ به لهم. والعهدة: الكتاب الذي يستوثق به في البيعات، ومن معاني العهد: رعاية الحرمة، الأمان، الذمة، الالقاء، والمعرفة. والعهدة: الضعف في الخط وفي العقل. ويقال: عهده على فلان؛ أي ما أدرك فيه من درك فإصلاحه عليه، والمعهود هو الذي عهد به وعرف.

ورد لفظ العهد بصيغة واشتقاقاته في ستة وأربعين موضعًا على ثمانية أوجه، هي: الاستحفظان: ﴿أَنَّ رَأَمَهُدَ إِنَّكُمْ يَتَبَيَّنُونَ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

[يس: ٦٠] والنبوة: ﴿بِمَا عَاهَدَ عَنْدَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]; أي بما أعلمك من النبوة، والوصية: ﴿وَعَاهَدْنَا إِلَيْهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَيْنَا آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ يَحْدُدْ لَهُ عَزِيزًا﴾ [طه: ١١٥] ﴿وَاليمين: ﴿وَالْمُؤْفَرُونَ يَعْهِدُهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]، ﴿وَالَّذِينَ هُرُبُّ لِأَمْكَنَتْهُمْ وَعَاهَدُهُمْ رَغْوُنَ﴾ [ المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢]. ورعاية الحرمة: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ الْأَللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [التوبه: ١]. والميثاق: ﴿وَأَوْفُوا بِعِهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [التحل: ٩١] والضمان: ﴿فُلْ أَنَّهَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَاهَدًا﴾ [البقرة: ٨٠]، والندرة والإلزام: ﴿بَلْ مَنْ أَوْفَ بِعِهْدِهِ وَأَتَقَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ﴿وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. فالعهد ورد في القرآن بمعنى الأمان واليمين والوثق والذمة والحفظ والوصية، والمعرفة فيه تقع على سبيل الوصية، فالعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال.

## ٢٧ - مفهوم الكلام:

(ك ل م) أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهوم، والآخر على جراح. فال الأول: الكلام. تقول: كَلَمْتُهُ، أَكَلَمُهُ تَكْلِيْمًا، ثُمَّ يتوسعون و يجعلون اللفظة الواحدة المفهمة كِلمَة. والقصبة والقصيدة بطوها الكلمة، ويجمعونها كلمات وكَلِيْمًا. والآخر: الكلْم، وهو الجُرْح، والكلَام: الجراحات، جمعه كُلُوم. والكلام: الأرض الغليظة، والكلام: هو القول أو ما كان مكتفيًّا بنفسه.

ورد لفظ كلام بصيغه (٧٥) مرة في القرآن الكريم بصيغة الفعل بتصاريفه، وبصيغة اسم المصدر، الكلْم التأثير المُدرَك بإحدى الحاستين، الكلام مُدرَك بحاسة السَّمْع، والكلَمُ مدرَك بحاسة البصر، وقد ورد في

القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي: كلام الله العام: ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ الْمُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥]. ومنها القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَحِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَلْيَغَهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبه: ٦] وكلام الله: ﴿فُلَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلْمَتِ رَبِّ لَنْفَدَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَتِ رَبِّ فِلَوْ جِنَانَ بِمِثْلِهِ، مَدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وكلام المخلوقين: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]. وكلام الموتى لما لا يسمعه بنو آدم: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلْمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. فالكلام يقع على الألفاظ المنظومة، كما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً ضُرُّجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥]، وفي ﴿فَنَلَقَّ ءَادُمُ مِنْ رَبِّهِ، كَلْمَتِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِلَهُ هُوَ أَنْوَابُ الْأَرْجُمِ﴾ [البقرة: ٣٧]، قيل: هي ﴿فَالَّرَبَّنَا طَلَمَنَا أَنْفُسَنَا﴾ وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَبْتَكَنَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ، بِكَلِمَتِ فَاتَّهَنَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، قيل: الأشياء التي امتحن الله إبراهيم بها من ذبح ولده والختان وغيرها.

وعيسى هو كلمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَقْنَهَا إِنَّ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، لكونه موجوداً "بكُنْ"، وقيل: سُميَ به لما خصَّه الله تعالى به في صغره؛ حيث قال وهو في مهدِه ﴿فَأَلِّيْتُ إِنِّيْ عَبْدُ اللَّهِ أَتَسْنَى الْكِتَبَ وَجَعَلْتَنِيْ بَنِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وقوله: ﴿يُحَرِّفُ الْكَلِمَاتَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدَة: ١٣] جمع الكلمة، وقيل: إنهم كانوا يبدلون الألفاظ ويغيرونها، وقيل: إنه كان من جهة المعنى؛ وهو جمل على غير ما قصد به واقتضاه، وهذا أمثل القولين، فإنَّ اللفظ إذا تداولته الألسنة واشتهر يصعب تبديله. ولفظ "كلمة" لا يوجد في لغة

العرب إلا اسمًا جملة تامة، اسمية أم فعلية، كقوله تعالى: ﴿كَبَرَتْ كَلِمَةٌ  
عَنْجُونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ومثل هذا كثير في كلام  
العرب، أما تسمية الاسم وحده "كلمة"، والفعل وحده كلمة، والحرف  
كلمة، فهذا اصطلاح حض لبعض النحاة وليس هذا من لغة العرب أصلًا،  
 وإنما تسمى العرب هذه المفردات "حروفاً" والكلم عرفاً هو ما خرج من  
الفم، إن لم يشمل على حرف فهو صوت، وإن اشتمل ولم يفد معنى فهو  
لفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفرداً فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يُفْدَ  
نسبة مقصودة فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم. والكلام كُلُّ  
كلام مستقل إن زدت عليه شيئاً غير معقود بغيره ولا مقتضى لسواه، وكلام  
النفس ما يحصل في النفس من حيث يدل عليه بعبارة أو إشارة أو كتابة،  
سواء كان: علمًا، أو إرادة، أو إذعانًا، أو خبرًا، أو استخبارًا، أو غير ذلك.

## ٢٨ - مفهوم القول:

(ق ول) أصل واحد صحيح، يقال كلّمه، وهو القول، من النطق، قال  
يقول قوله، وهو الكلام أو كل لفظ مذَّل به اللسان تاماً أو ناقصاً. وجمعه  
أقوال، وجمع الجمع أقاويل. والقول في الخير والشر، والقيل والقال والقالة  
في الشر. فهو قائل وقال وقول. ويأتي بمعنى: تكلّم، وضرب، وغلّب،  
ومات، ومال، واستراح، وأقبل. ويُعبّرُ بها عن التهيؤ للأفعال والاستعداد  
لها. يقال: قال فأكل، وقال فتكلم، ونحوه. والقال: الابتداء، والقيل:  
الجواب. وتَقَوَّلُ عليه: كذب عليه، وقَوَّله في أمره وتقاوّلاً: تفاوضاً. وقد  
ورد لفظ قول باشتراطاته وصيغه في (١٧٢٢) موضعًا في القرآن الكريم، لم

نجد لها وجوهاً في مظانها. والقول يستعمل على أوجه أظهرها: أن يكون للمركب من الحروف المُبَرَّز بالنطق مفرداً كان أو جملة، وهذا في القرآن كثير. ويقال للمُمْتَصَرِّ في النفس: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨]. والكذب: وهو التَّقْوَلُ وَالْأَقَاوِيلُ ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤]. والقول قد يخالف الاعتقاد والفعل، ﴿يَقُولُونَ إِلَّا فِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦].

## ٢٩ - مفهوم النطق:

(ن ط ق) أصلان صحيحان: أحدهما كلام أو ما أشباهه، والآخر جنس من اللباس، الأول: المنطق، نطق ينطِقُ نُطْقاً، والآخر: النَّطَاقُ: إزار فيه تِكَّةً. ونطق نُطْقاً: تكلم بصوت وحرروف تُعرف بها المعاني. وقد ورد لفظ النطق اثنى عشرة مرّة، على وجهين: الأصوات الصادرة عن اللسان: ﴿مَا لَكُلُّ أَنْطَقُونَ﴾ [الصفات: ٩٢]، والمكتوب: ﴿يَنْطِقُ إِلَّا حَقٌّ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الؤمنون: ٦٢]. فالنطق هو تعرّف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان، ولا يكاد يقال إلا للإنسان، فيُراد بالناطق ما له صوت، وبالصامت ما ليس له صوت، ولا يقال للحيوان ناطقاً إلا مقيداً، وعلى طريق التشبيه، أمّا في الآية ﴿وَقَالَ يَتَأَيَّهَا أَنَّاسٌ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيرِ﴾ [النمل: ١٦]، سمّى الله تعالى أصوات الطير ناطقاً اعتباراً بسلیمان؛ حيث كان يفقه ما تقول كُلُّها مع المدهد، وهذا له وحده. فمن فهم من شيءٍ معنى بذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق، وإن كان صامتاً، وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صامت، وإن كان ناطقاً، وقوله: ﴿هَذَا كِتَبُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]؛ فإنَّ الكتاب ناطق، لكن نطقه

تدركه العين، كما أنَّ الكلام كتاب، لكن يدركه السمع، فالكتاب يشهد على الناس، فيذكرها ما عملوا. فالمكتوب شهادة له أو عليه، ناطقة بما وقع سلفاً. فالنطق كل لفظ يعبر به عمَّا في الضمير مفرداً كان أم مركباً، وقد يطلق لكلٍّ ما يصوت به على التشبيه أو التبع.

### ٣٠ - مفهوم اللسان:

(ل س ن) أصل صحيح واحد، يدلُّ على طول لطيفٍ غير بائن في عضو أو غيره. من ذلك اللسان معروف، والجمع ألسُنٌ، فإذا كثُرَ فهي الألسنة. وقد ورد لفظ اللسان أربعَّاً وعشرينَ مرَّةً في القرآن الكريم على أربعةِ أوجه، هي: اللغة: ﴿السَّاُلُّ الَّذِي يُتَحَمُّلُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَفَتُ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. والدعاة: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِتِ إِنْتَرَكِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرِيمَ﴾ [المائدة: ٧٨]. والجارحة: ﴿لَا تُخْرِكِيهِ لِسَانَكَ لَعَجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦] والبناء: ﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانٌ صَدِيقٌ فِي الْأَخْرَيْنَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. وأصل اللسان الجارحة وقوتها ﴿وَأَتَلْعَلَ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧] فالعقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوَّته التي هي النطق به، ولكلَّ قومٍ لسان؛ أي لغة، ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَفَتُ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، قوله: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ أَلْسِنَكُمْ وَأَلْوَزَكُم﴾ [الروم: ٢٢]، إشارة إلى اختلاف اللغات واللغمات، فلكلَّ إنسانٍ نغمة ونبرة خاصة به يميِّزها من يسمعه، والمراد هنا القوَّة النطقية القائمة بالجارحة لا الجارحة نفسها. وقد وصف اللسان في القرآن بصفات، منها: الصدق ﴿السَّانَ صَدِيقٌ﴾ [مريم: ٥٠]، والبيان ﴿لِسَانٌ عَرِيقٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، والفصاحة ﴿وَأَخِي هَنْرُوثُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي﴾

لِسَانًا﴿ [القصص: ٣٤]، والحمدة ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْمُقْرُفُ سَقَوْكُم بِالسَّيْنَةِ جَدَادِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، والكذب ﴿وَلَا يَنْهَا إِلَيْهَا تَصِيفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبُ هَذَا حَلْلٌ وَهَذَا حَرَام﴾ [النحل: ١١٦]، والليّ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكَتَبِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكَتَبِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

### ٣١- مفهوم البكم:

(بـ كـ مـ) أصل واحد وهو الخرس. قال الخليل: الأَبَكَمُ الآخرس الذي لا يتكلّم، وإذا امتنع من الكلام جهلاً أو تعتمداً يقال: بِكُمْ عن الكلام. ويقال للذى لا يُفصح، والأَبَكَمُ في التفسير الذي ولد آخرس. والبكم قد يكون مع عيٍّ وبَلَه، أو أن يولد لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر.

ورد لفظ البكم في القرآن الكريم ست مرات، جمع فيها مع الصمم، قوله تعالى: ﴿صُمُّ بِكُمْ عُمُّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [١٨] ﴿وَصُمُّ بِكُمْ عُمُّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٧١] والبكم هنا ليس تعطل عن الكلام أصلاً، إنما هو تعطل عن الكلام الحقّ، وهذا التعطيل ليس للعلة، إنما للغاية من خلق القدرة على الكلام، أمّا الجمع بين الصمم والبكم فهو للدلالة على تعطل العقل عن دوره في إدراك الحقّ أو تبليغه، فكُلّ ما في القرآن من ذكر البكم المراد الخرس عن الكلام بالإيمان إلا ﴿وَنَعْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبَيْكَمًا وَصَمِّيًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، و﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبَكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَكُلُّهُ عَمِيٌّ﴾ [النحل: ٧٦].

## ٣٢ - مفهوم الحديث:

(ح دث) أصل واحد، وهو حدوث الشيء وكونه بعد أن لم يكن، ومنه الكلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدث حسن الحديث، والحديث: الجديد، والحديث: يأتي على القليل والكثير. والحديث هو ما ورد عن النبي الكريم ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

ورد لفظ حدث باشتقاقاته في (٣٦) موضعًا على خمسة أوجه، هي:  
الخبر: ﴿قَالُوا أَتَحْدِثُونَا بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَنِّيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، والقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حِدَىْكُمْ﴾ [آل عمران: ٨٧]، والقرآن: ﴿فَلَيَأْتُوْكُمْ بِعِدَىٰ شَيْءٍ إِنْ كَانُوا صَدِيقِيْنَ﴾ [٢٤]  
[الطور: ٣٤]، والقصص: ﴿إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابًا﴾ [الزمر: ٢٣]. والعبرة:  
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيْثَ﴾ [سبأ: ١٩]. فالحديث هو الخبر والقول، وكل ما يبلغ الإنسان من جهة السمع والوحى في يقظته أو منامه، وأطلق على القرآن والقصة والعبرة وتعبير الرؤيا. والتحديث إخباراً عما يُعرف سواء كانت المعرفة حسيّة أم معنويّة، ولا يكون الحديث إلا عن سابق علم أو معرفة. ومنه: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيْثًا﴾ [التحريم: ٣]، ﴿وَعَلِمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيْثِ﴾ [يوسف: ١٠]؛ وسمى القرآن حديثاً ﴿أَفَمَنْ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَلُونَ﴾ [٥٩]  
[النجم: ٥٩]؛ وسمى القرآن حديثاً ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكُدُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيْثًا﴾ [النساء: ٧٨]. أما قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيْثَ﴾ [سبأ: ١٩]؛ أي أخباراً يتَحدَثُ بها ويتمثل بهم ليعتبر السامع.

## ٣٣ - مفهوم الخبر:

(خ ب ر) أصلان: الأول العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرة وخبر، والله تعالى الخبر؛ أي العالم بكل شيء. والثاني: يدل على لين ورخاؤه وغُزر.

والخُبْرَاء، هي الأرض اللينة. والخبير: الأكار، لأنه يصلح الأرض ويُدَمِّنُها ويلينها، وعلى هذا يجري هذا الباب كُلُّه، ويقال رجل خَابِرٌ وخَيْرٌ وخَرْ: عالم به. والخِبْرُ والخِبْرَةُ والمَخْبِرُ والمَخْبِرَةُ العلم بالشيء، والاستِخْبَار السؤال عن الخبر وكذا التَّخْبِرُ.

وقد ورد لفظ الخبر بصيغه في القرآن الكريم (٥٢) موضعًا، على صيغة المفرد والجمع، وكلها تدل على العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، فجاء مفرداً في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي مَانَّتُ نَارًا سَأَتَّكِمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ﴾ [التمل: ٧] . وقوله: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي مَانَّتُ نَارًا لَعَلَّيْ مَاتِكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ﴾ [القصص: ٢٩]. وجاء بالجمع في ثلاثة مواضع: ﴿قَدْ تَبَّأَنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبه: ٩٤] ، ﴿وَبَيْتُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧] ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ٤] ، كما ورد بصيغة خُبْرٌ -بالضم- وهو العلم بالشيء مع بيانه، وقيل معرفة بواطن الأمور، وجاء اللفظ في الكهف في موضعين ﴿وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَوْ تُحْكِمْ بِهِ، خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨] . ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحْكَطْنَا بِمَا لَدُونِهِ خَبْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف: ٩١] .

وجاء بصيغة الخبير في القرآن الكريم في (٤٥) موضعًا، وهو من أسماء الله تعالى، العالم بما كان، وبما يكون، العالم بوطان الأمور، ولم يأت لفظه في القرآن إلا مسندًا إلى الله تعالى، أو اسمًا من أسمائه الحسنى، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ [آل عمران: ٢٣٤] . وقرن اللفظ بالحكمة ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٌ﴾ [هود: ١] ، وباللطيف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ﴾ [الحج: ٦٣] ، وبالعلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] ، والبصير ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١] . والخبر أعمّ من النباء، وخبرت الأمر: عرفت حقيقته.

والخبر والاستخبار، ويُتضح معنى الخبر من قوله "على الخبر سقطت"، وأبلغ منه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنِيبُكُمْ مِثْلُ حَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. حيث حصر معرفة النبأ بالخبر به، ذلك أنّ الخبرة معرفة يُتوصل إليها بطريق التجربة، فكان غزاره المعرفة مأخوذه من ناقة خيرٍ: إذا كانت غزيرة اللبن.

### ٣٤ - مفهوم البلاغ:

(ب ل غ) أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، والبلاغ: الكفاية، والإبلاغ والتبيين هما: الاتصال. والبلاغات: الوثنيات، والتبيين مثل الإبلاغ، غير أنه يلاحظ فيه الكثرة في المبلغ.

ورد لفظ بلغ باشتقاته في سبعة وسبعين موضعًا، في خمسة وعشرين موضعًا منها، أفادت إيصال المعرفة بصيغ، منها: بلغت، وأبلغكم، يبلغون، بلاغ. فالبلاغ وصول الأمر زماناً كان أم مكاناً، حسياً أم معنوياً. ويقال: بلغته الخبر تبليغاً، وأبلغته، بمعنى أوصلته إليه، وكل ما جاء في القرآن مُعدّى بالهمز والتضعيف فهو بهذا المعنى. وهو على وجوهه، ورد منها عشر مرات في تبليغ الرسالة الإلهية، ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَإِنَّمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وإيصال منه الكفاية: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لِكَلَّا لِقَوْمٍ عَكِيدَتِكَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]، والإبانة والتبين حجة على المبلغ. وقد انصرف مدلول البلاغ إلى معنى الكفاية في غير تلك الموضع، وهو لا يخالف أصله الدال على الانتهاء إلى أقصى المقصد، والمعنى مكاناً كان أم زماناً، فمن الانتهاء ﴿وَلَمَّا بَلَّغَ أَشُدَّهُ، إِذَا تَبَيَّنَهُ﴾ [آل عمران: ٢٠]. غالباً ما ورد مع البلاغ هو وصفه بالمبين؛ لأن الإبانة والتبين حجة على المبلغ.

حَكْمًا وَعِلْمًا ﴿يوسف: ٢٢﴾ . والبلاغ بمعنى التبليغ في نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا يَكُنُّ لِلنَّاسِ وَلِيُسْتَدِرُوا إِلَيْهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] . والبلاغ بمعنى الكفاية نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا أَبْلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدَاتٍ﴾ [الأنياء: ١٠٦] ، ويقال: بلغته الخبر، وأبلغتهُ مثله، وبلغته أكثر.

### ٣٥ - مفهوم البُشْرِى:

من بَشَرٍ، (ب ش ر) أصل واحد: ظهور الشيء مع حُسْنٍ وجمايل، يقال: بَشَرْتُ فلاناً أَبْشِرُه تبشيرًا، وذلك يكون بالخير. وربما حُمِل عليه غيره من الشر، وأظن ذلك جنساً من التَّبَكِيت. وإذا أطْلَق فالبشاارة بالخير، والنذارة بغيره، والتباشير والبُشْرِى، أوائل كل شيء، والبواكر من النخل. وما يَسْرُ. وقد ورد لفظ بشر باشتقاقاته في مائة وثلاثة وعشرين موضعًا، على خمسة أوجه: الخبر السار: ﴿قَالَ أَبْشِرْتُمْنِي عَلَىٰ أَنَّ مَسَنَّ الْكَبِيرَ فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] ، ﴿فَأَلْوَأْ بَشَرَتِكَ بِالْحَقِيقَ﴾ [الحجر: ٥٥] ، والجماع: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فَوَنَّ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] والغثث: ﴿وَمِنْ عَابِثِيهِ أَنْ يُرْسِلَ أَرْبَاحَ مُبَيَّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦] ، والمُبلغ بالخير: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَ فَمِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] ، ﴿إِنَّا أَوْسَأْنَاكَ بِالْحَقِيقَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] . والناس: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] .

وقد عُبِّر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور الشَّعر على جلده، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر. واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع، وال مباشرة الإفضاء بالبشرتين، وكني بها عن الجماع، وأبَشَرْت الرجل وبَشَرْتُه أخْبَرْتُه بساً بَسَطَ بَشَرَةً وجده، ذلك أنَّ النفس إذا سَرَّت

انتشر الدَّم فيها انتشار الماء في الشجر. ويُقال للخبر السَّار الشَّارة والبُشْرَى. أمّا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرُهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، فاستعارة ذلك تنبية للكافرين والمنافقين على أنَّ أَسْرَ ما يسمعونه الخبر بما ينالهم من العذاب و﴿يَنَوِّرَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءٍ مَا بَيْنَ رِبْعَةِ﴾ [التحل: ٥٩].

### ٣٦ - مفهوم النصـح:

(نـصـح) أصلٌ يدلّ على ملاعنة بين شئين وإصلاح لهما. أصل ذلك النـاصـح: الخياط، والنـاصـح: الخيط يخاط به، ومنه النـصـح والنـاصـحة: خلاف الغـش ونـاصـحـه أـنـصـحـه. والتوبـة النـصـوح كأنـها صـحـيـحة ليس فيها خـرـق ولا تـلـمـة، ويـقال أـنـصـحـتـ الإـبلـ، إـذا أـروـيـتها فـصـحـتـ؛ أي روـبـتـ، ويـقال: نـصـحـه، نـصـحـاً، نـصـاحـةً، وهو نـاصـحـ، نـصـيـحـ من نـصـحـ، نـصـاحـ، والـاسـمـ: النـاصـحةـ، وـنـصـحـ تـأـيـدـ بـمـعـنـىـ: خـلـصـ، وـخـاطـ، وـرـوـيـ، وـلـمـ يـغـشـ. والنـصـيـحـ هو النـاصـحـ، وـالـقـوـمـ نـصـحـاءـ، وـرـجـلـ نـاصـحـ الجـيـبـ؛ أي نقـيـ القـلـبـ، فالـنـصـحـ هو الـخـلـوصـ وـالـصـدـقـ وـالـإـتقـانـ وـالـنـسـيجـ وـالـنـاصـحـ الـوـاعـظـ وـالـخـياـطـ.

ورد لفظ نـصـحـ باشتراكـاته وـصـيـغـه في (١٣) مـوـضـعاـ في القرآنـ الـكـرـيمـ ولم تـخـرـجـ عن دـلـالـتـهـ الـلـغـوـيـةـ، وـهـيـ عـلـىـ وـجـهـيـنـ: الـوـاعـظـ: ﴿أَبِلَقُكُمْ رِسَالـتـيـ رـبـيـ وـأـنـصـحـ لـكـمـ﴾ [الأـعـرـافـ: ٦٢]، ﴿وـضـحـتـ لـكـمـ وـلـكـنـ لـأـنـ يـغـبـونـ التـصـحـيـحـ﴾ [٧٩] [الأـعـرـافـ: ٧٩]. الـخـلـوصـ: ﴿يـتـأـمـلـهـ الـذـيـنـ إـذـ آمـنـوا ثـوـبـاـ إـلـىـ اللـهـ تـوـبـةـ صـوـمـاـ﴾ [الـتـحـرـيـمـ: ٨]؛ أي خـالـصـةـ صـادـقـةـ. فـلـمـ تـرـدـ بـمـعـنـىـ الـأـصـلـيـ، بل جـاءـتـ الـأـوـجـهـ بـالـحـقـيـقـةـ الـمـتـعـارـفـ عـلـيـهـاـ، وـهـيـ النـصـيـحـ بـمـعـنـىـ التـنـبـيـهـ وـالـتـذـكـرـ بـرـفـقـ، فـهـيـ كـالـإـنـذـارـ، وـيـكـونـ النـصـحـ بـالـإـرـشـادـ، وـلـاـ يـكـونـ إـلـاـ فـيـ الـخـيـرـ الـمـرـادـ لـلـمـنـصـوحـ،

بأن يُنْهِي إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ وَلَا تَشْهِيرٍ مَعَ ذِكْرِ الْحَجَّ وَالْبَرَاهِينَ عَلَى صَدْقَ النَّاصِحِ وَخَيْرِ النَّصِيحَةِ. فَالنَّصِيحةُ كُلُّمَةٍ جَامِعَةٌ لِحِيَازَةِ الْحَظِّ الْمَنْصُوحَ لَهُ.

ببذل المودة في المشورة.

### ٣٧ - مفهوم القصص:

من قَصَّ، (ق ص) أَصْلُ صَحِيحٍ يَدْلِلُ عَلَى تَتَّبِعِ الشَّيْءِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَهُمْ اقْتَصَصْتُ الْأَثْرَ إِذَا تَتَّبَعْتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجَرَاحِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فَعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَانَهُ اقْتَصَّ أَثْرَهُ، وَمِنْ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ كُلُّ ذَلِكَ يُتَّبِعُ، وَقَصْ الْخَبْرُ: أَعْلَمُهُ، ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

ورد لفظ قَصَّ بصيغه في ثلاثين موضعاً، على سبعة أوجه، هي:

التسمية: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْتَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. القراءة: ﴿فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لِعَاهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. والبيان: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْشُرُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]. والطلب: تتبع الأثر ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]. والخبر: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥]. والوحى: ﴿كَذَلِكَ نَقْصُ عَيْنَكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩]. وحد القتل: ﴿كُنْبَ عَلَيْكُمُ الْأَقْصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فالقصص هي الأخبار المتتابعة؛ وقد بين الله تعالى شروطها كي تكون مصدرأً للمعرفة، كأن تكون عن علم، وأن تكون بالحق والحسنى، وتكون الغاية منها العبرة وتشييت الفؤاد، فقال تعالى:

﴿فَلَنْقُصَّنَ عَلَيْهِمْ يَعْلَمُ وَمَا كَانُوا غَايِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ

﴿الْقَصَص﴾ [يوسف: ٣]، ﴿وَكَلَّا تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُثِيتُ بِهِ فُؤَادُكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْمُتَّبِعِينَ﴾ [يوسف: ١١١].

### ٣٨ - مفهوم الجلو:

الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه، يقال: جَلَوْتُ العروس جَلْوَةً وجَلاءً. وقال الكسائي: السماء جَلْوَاء؛ أي صحوة. ومن الباب: جَلَّ القوم عن منازلهم جَلاءً وأَجْلَيْتُهُمْ إِجْلَاءً، ويقال: جَلَّ السيف: صقله، والهَمْ عنه: أَذْهَبَهُ، والأمر: كشفه.

ورد لفظ الجلاء باشتقاته في خمسة مواضع على وجهين: الظهور والانكشاف: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس: ٣]، ﴿فُلِّ إِنَّا عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّنَا لَا يُجَلِّبُنَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وغادرته الديار: ﴿وَتَوَلَّ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣]. فالجلاء هو الوضوح والشهرة، وأمرٌ جليٌ أمر بيّن، وخبر يقين. وجاء من مادته في القرآن الكريم ما يناسب المدلول المعجمي تماماً في اشراق النهار وتحلي النور الإلهي ﴿فَلَمَّا تَحَلَّ رَبِّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّائِيَا وَخَرَّ مُؤَنِّي صَعْقاً﴾ [الأعراف: ١٤٣].

### ٣٩ - مفهوم الإنذار:

(ن ذر) من نذر، الكلمة تدلّ على تحريف أو تخوف، والإإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف، أَنذَرَه بالأمر إنذاراً وتنذراً ونذيرًا: أعلمه وحذرته وخوّفته، والنذير: الإنذار.

ورد لفظ "نذر" باشتقاته في مائة وثلاثين موضعًا، على خمسة أوجه، هي: التحذير: ﴿أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]، ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّا عَارِيَةٌ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ

وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ ﴿الأحقاف: ٢١﴾، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ كُسُوفَةً تَمْلَأُ صَيْفَةً عَادِ وَتَمُودَ ﴿١٣﴾ [فصلت: ١٣]. والخبر: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَئِكَ ﴿٥﴾﴾ [الجم: ٥٦]، ﴿وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبه: ١٢٢]. والرسل: ﴿كَذَبَتْ نَمُوذْجَةً لِّلنُّذُرِ ﴿٣﴾﴾ [القرم: ٢٣]. والشيب: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٤﴾﴾ [فاطر: ٣٧]. والنَّذْرُ: ﴿وَلَيُؤْفِرُوا نُذُورَهُمْ ﴿الحج: ٢٩﴾﴾، ﴿وَمَا آنَفَقْتُمْ مِّنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرَتُمْ مِّنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴿البقرة: ٢٧٠﴾﴾. فالرسل منذرین ومحذرین، بإخبار قومهم بوعده الله تعالى لهم ووعيده، ولا يكون المعلم منذراً حتى يحذر بإعلامه، فكل منذر معلم، وليس كل معلم منذر. والإذنار يستلزم إظهاراً لما يُنذَرُ به ليكون الإبلاغ حجَّةً مُقْنِعةً، وهو الإعلام بالشيء قبل وقته، والتخييف منه، كما أنَّ التبشير إخبارٌ فيه سرور.

#### ٤ - مفهوم التحذير:

(ح ذ ر) من حذر، أصلٌ واحد. وهو التحرُّز والتيقُظ، يقال: حذر يُحذَر جِذْرًا، ورجلٌ حَذْرٌ، وحَذُور، وحِذْريان: متيقظ متحرّز، وحَذِرُون وحَذَارِي؛ أي متيقظ شديد الحذر. وقد ورد لفظ حذر باشتقاته في واحد وعشرين موضعًا، على ثلاثة أوجه، هي: الخوف: ﴿وَيَعْدُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨]. والامتناع: ﴿وَإِنْ لَمْ تُتَوَقَّهُ فَأَحَدُرُوا﴾ [المائدة: ٤١]. والكتمان: ﴿فُلِّيَتْهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ مُحْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبه: ٦٤]. فالحذر احتراز عن خيف، كقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩]، و﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]؛ أي: ما فيه الحَذَر من السلاح وغيره، فالحذر اجتناب الشيء خوفاً منه. وقيل الحذر: المتيقظ والحاذر: المستعد.

## ٤١ - مفهوم البلاء:

(ب ل و ي) أصلان: أحدهما إلْحَاق الشيء، والثاني نوع من الاختبار، ويحصل عليه الإخبار أيضاً. فأمّا الأول: بِيْلَيْ بِيْلُ، فهو بِالْيَلِ مصدره، وإذا فتح فهو البلاء، أمّا الثاني: فقوْلُهُم بِيْلَيْ الإنسَانِ وابْتَلِيْ، من الاختبار. ويكون البلاء في الخير والشر، لأنّ به يختبر في صبره وش克ره. والبلاء الغمّ، يبيّل الجسم والتکلیف بلاء؛ وهو منحة ومحنة.

ورد لفظ بلاء باسترقاقاته في سبعة وثلاثين موضعًا على ستة أوجه، وهي: الاختبار: ﴿وَلَنَبْلُونَكُم بِئْنَىٰ مِنَ الْحَقْوَنَ وَالْجَوْعَ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَشْرَقَتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والتکلیف: ﴿وَلَنَبْلُونَكُم حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّدِيقِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُم﴾ [٢١] [محمد: ٣١]. والمحاسبة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَكْتُ﴾ [يونس: ٣٠]. والتعرف: ﴿يَوْمَ تُبَيَّلُ السَّرَّايرُ﴾ [٩] [الطارق: ٩]. والمحنة: ﴿هُنَالِكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَذُلِّلُوا زِلَّ الْأَشْدِيدَ﴾ [١١] [الأحزاب: ١١]. والمنحة: ﴿وَإِذَا أَبْتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلِمَتِ فَأَتَاهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وذلك بقوله تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، فالبلاء جاء بمعنى اختبار وجرب وامتحن، ويكون في الخير والشر، والنعمة والنّقمة، فالنعمـة مقتضية للشـكر، والمحنة تقتضي الصـبر، وكلـما شـاق عـلـى الإنسـانـ، فصار كـلـ منهاـ بلـاءـ، وإذا قـيلـ: ابتـلاهـ اللهـ بـكـذاـ، فـالـمرـادـ ظـهـورـ جـودـتهـ أوـ رـداءـتـهـ منـ غـيرـ تـعرـفـ حـالـهـ أوـ الـوقـوفـ عـلـىـ ماـ يـجهـلـ مـنهـ؛ إـذـ إـنـ اللهـ تعـالـىـ عـلـامـ الغـيـوبـ.

## ثانياً: مفاهيم العلم:

### ١ - مفهوم العلم:

(ع ل م) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلّ على أثٰرٍ بالشيء يتميز به عن غيره. ومنه العَلَمَةُ: وهي معروفة والعلَمُ: الرأيَةُ. والعلَمُ: نقىض الجهل وقياسه قياس العَلَمُ والعَلَمَةُ، يقال رجُلٌ عَالِمٌ وعَالِيْمٌ، وعلماءٌ وعُلَامٌ، وعَلَمَهُ العَلَمُ تَعْلِيْمًا وعِلَامًا. وعَلِمَ به: شعر به، وبالأمر: أتقنه وعرفه. وعَلَمَهُ: وسمه، واستعملمه الخبر فأعلمه إياه، وتَعْلَمَهُ الجميع؛ أي عَلِمُوهُ. والعلامة، وهي الدلالة والإشارة. والعلم من المصادر التي تجمع، والعلَمُ الأثرُ يُسْتَدِلُّ به على الطريق.

ورد لفظ العلم باشتقاته في ثمانية وستة وخمسين موضعًا على ثلاثة أوجه، هي: الرؤية، ﴿وَلَبَّوْكُمْ حَتَّىٰ فَتَرَوْ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وهو العلم الشهادة، الذي يقع به الجزاء، لأنَّه إنما يجازيه بأعماهم لا بعلمه. والثاني: الظهور على الأمر: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُشْرُكُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ [التحل: ١٩] وهذا العلم بعينه. والثالث: الإذن: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْمَ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]. أما العالمين فقد جاء على خمسة أوجه، هي: الإنسان، والجن، وكل ولد آدم، والخلق من بعد نوح، وأهل الكتاب، وجميل المخلوقات. ومدلول لفظ "العلم" في القرآن الكريم شاملٌ عام في الأغلب؛ لأنَّه يختصُّ إدراكاً بجملة المعارف بالتأمل والنظر في الوجود والخلق، وتدبر لآيات الله في الأرض والسماء، والعلیم: صفة مشتقة من العلم، والعلم إدراك الشيء بحقيقةه وذلك ضربان: أحدهما: المتعدي إلى مفعول واحد، ومنه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَذْيَنَ أَعَدَّوْنَ مِنْكُمْ فِي أَسْبَتِ﴾ [البقرة: ٦٥]؛ أي: أدركتم ما حصل لأسلافكم من النقم التي حلّت بهم،

والثاني: المتعدي إلى مفعولين، كقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنِتِي﴾ [المتحنة: ١٠]. والفرق بينها أن المعرفة تصرف إلى ذات المسئى، والعلم ينصرف إلى أحواله، ولذلك جاء به الأمر في القرآن: ﴿فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقد جاء الأمر بالعلم إحدى وثلاثين مرّة، وجاء من مادة العلم الرباعي "علم" الماضي والمضارع والأمر إحدى وأربعين مرّة، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِجِ مُكَبِّنَ تَعْمَوْهُنَّ إِمَّا عَلِمْتُمُ اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤]. ومصدره التعليم، والفعل "تعلّم" مصدره "التّعلّم"، في قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والتعليم يكون بمعنى التفهيم، وبمعنى إلقاء أسباب العلم، نقول: علمته فتعلم، وعلّمته فما تعلم، وذلك لاختلاف المفهومين من تعلم. والعلم هو الذي يوصل المعاني إلى فهم المتعلم، ولم يرد في القرآن، بل جاء اسم المفعول "المُعلَّم" مرّة واحدة: ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ يَجِدُونَ﴾ [١٦] [الدخان: ١٤]. وجاء اسم الفاعل "عالم" موصوفاً به الله تعالى، مقترباً بلفظ الغيب في (١٣) موضعاً، نحو قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَدَةَ فَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [٩٢] [المؤمنون: ٩٢].

## ٢- مفهوم الخبر:

(ح ب ر) أصل واحد منقاد مطرد وهو الأثر في حُسْنٍ وبياء. يقال للذى يكتب به الخبر وللذى يكتب حِبْرٌ، وجمعه أحبار، ويقال حَبْرٌ وحِبْرَةٌ وحِبْرَةٌ وحِبْرَةٌ وتحبير الخط والشّعر وغيرهما: تحسينه وسوارة الأحبار هي سورة المائدة، وقيل: الخبر والحبـر بالفتح والكسر العالم من أهل الكتاب، وواحد أحبار اليهود، والرجل الصالح.

جاء لفظ الأَحْبَارِ في القرآن للدلالة على جمِعِ الْعُلَمَاءِ، في أربعة مواضع، وفي مواضعين في غير ذلك. وسُمِّيَ الْعُلَمَاءُ بذلك لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس وآثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها، قال تعالى: ﴿لَوَا يَنْهَا مُهُومُ الْرَّبَّيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِ إِلَيْهِمْ وَأَكْلَهُمُ السُّحْتَ لِئَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]؛ ومفرد الأَحْبَارِ حبر، واختلف علماء اللغة في فتح الحاء وكسرها، فإذا أرجع أصله إلى المداد فهو بالكسر وهو الأفضل كما قال الجوهرى. وإلى التحبير، بمعنى تحسين الكلام والعلم فهو بالفتح.

### ٣- مفهوم الرباني:

(رَبٌّ) يدل على أصول، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرَّبُّ: المالك والخالق والصاحب والمصلح. يقال: رَبٌّ فلان ضيوفه، إذا قام على إصلاحها، ورَبِّتُ الصبي أَرْبُّهُ ورَبِّته أَرْبُّهُ . والثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول. يقال: أرض مَرَبٌ لا يزال بها مطر ولذلك سمي السحاب رَبَّاباً . والثالث: ضم الشيء وهو مناسب لما قبله، والرَّبَّانِي العارف بالله عز وجل، وقيل الرباني لفظة معربة عن السريانية أو العبرانية بمعنى المتأله. ورَبِّتُ القوم سُسْتُهُمْ؛ أي كنت فوقهم.

ورد لفظ الرباني في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا أَنَّيْبُوتُ الَّذِينَ آسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿لَوَا يَنْهَا مُهُومُ الْرَّبَّيْبُوتُ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِ إِلَيْهِمْ وَأَكْلَهُمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]؛ أي وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين؛ أي العلماء العاملين

المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقيين. والأخبار؛ أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترافق آثارهم، ولهم لسان صدق بين أنفسهم. فالربانيون هم كاملو العلم، وفسر بالعلماء الصابرين العاملين البصراء بسياسة الناس وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم، أو المتذاكرين للعلم المدارسين له، وهم فوق الأخبار، وقيل: هم العلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا اليهود، والملاحظ أنه اقتنى في آياتي المائدة بلفظ الأخبار وجاء بمفرده في ﴿وَكَانُوا مِنْ نَجِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

#### ٤ - مفهوم الكرسيّ:

(ك رس) أصل صحيح يدلّ على تلبد شيء فوق شيء وتجمعه. ومنه اشتقت الكراسة، لأنها ورق بعضه فوق بعض، والجمع الكراريس، والكرسيّ: العلم، والسرير. وجمعه كراسي، والانكباب: الانكباب على الشيء، والكرس: ما تلبد من الدّمن في الديار، والكركسة: تردّد الشيء.

ورد لفظ كرسيّ في موضوعين على وجهين: العلم: ﴿وَسَعَ كُرْسِيهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وموضع الجلوس: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَقْتَلَنَا كُرْسِيهُ، جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴽ٢﴾﴾ [ص: ٣٤]. فالكرسيّ لغة هو الذي يجلس عليه، وهو الشيء الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً. والعرب تسمّي أصل كلّ شيء الكرس، وقيل معنى الكرسيّ العلم أو العرش أو موضع القدمين، وقيل: هو العلم، وقيل: ملك الله، وقيل: اسم الفلك المحيط بالأفلاك.

## ٥ - مفهوم الآثار:

من أثر (أث ر) له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقى، أمّا الآثار فهى البقية من الشيء والجمع أثارات. والأثرة: المكرّمة المتوارثة كالمأثرة والمأثرة والبقية من العلم تؤثّر، فالآخر ما بقي من الشيء، والأثر ما بقي من الجرح بعد البرء، والإثر خلاصة السمن.

ورد لفظ الأثر باشتقاته في واحد وثلاثين موضعًا على أربعة أوجه، هي: البقاء: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: ٢١]، والطريق: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٧٠]، والتفضل: ﴿وَبُؤْتُمُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ٩٤]. والاستفراد: ﴿قَالُوا تَأْلِلَ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]. فالتأثير هو حصول ما يدلّ على وجود الشيء، وأثرت العلم روئته، وأصله تبعته، وأثاره من علم، وقرئه "أثرة"، وهو مكان يروى أو يكتب فيبقى له أثر، والماثر ما يروى من مكارم الإنسان، فالمعنى اللغوي للأثر هو البقية، ومنه المأثور الباقى، فكلّ عالم باق مؤثر يسمى أثارة من علم، أو مأثورة عن الأولين كما في قوله: ﴿أَوْ أَثَرَقَ مِنْ عَلِيهِ﴾ [الأحقاف: ٤]. قال الواحدي: كلام أهل اللغة في تفسير هذا يدور على ثلاثة أقوال: الأول: البقية واشتقاقاته من أثر الشيء أثيره كأنها بقية تستخرج فتوثر، ومنه ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ [الروم: ٩]، والثاني: من الأثر الذي هو الرواية والأثرة المرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه. والآثار: الأخبار فيما مضى ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. والثالث: الأثر بمعنى العلامة والأثر سمة في باطن خفّ البعير يقتفي بها أثره؛ أي يترك من علامة باقية، والأثرة الدابة العظيمة الأثر في الأرض بحافرها.

## ٦- مفهوم القبس:

(ق ب س) أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار، **أَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عَلَيْهِ واقتبسها**: أخذها، وجاء لفظ القبس في: [طه: ١٠] و[النمل: ٨] و[الحديد: ١٣]، ولم يأت في غيرها، وفيها كان مقتربنا بالإيناس والهدى والنور، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ مِنْهَا يَقْبَسُونَ﴾ [طه: ١٠]؛ أي هاد يهدى نبي إلى الطريق ويدلني على المسير، و﴿أَنْظُرُوهُنَا نَقْنِصًا مِنْ فُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، فالقبس للنار، ثم استعير لطلب العلم والهدى، وهذا ما في القرآن.

## ٧- مفهوم الرسوخ:

من رسم، (رسخ) أصل واحد يدل على الثبات، ورسم الغدير: **نَشَّ** ماؤه ونَصَّبَ، وكل ثابت راسخ، ومنه الراسخون في العلم، والرسوخ أن يعلم الشيء بدلائل كثيرة، أو بضرورة لا يمكن إزالتها، وأصله الثبات على أصل يتعلق به. ورد في موضعين: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِمَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿لَتَكُنْ أَرَادَسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ١٦٢]. فالراسخون في العلم هم الذين رسم علّهم وإيمانهم، وثبت، كما يرسم الشيء في منابته. وقال المبرد: المتذاكرون بالعلم. وقال: لا يذاكر بالعلم إلا حافظ، وفي آل عمران فسر ابن عباس الراسخين بـ: البالغون في علم التوراة، وقال البعض: هم المتحققون بالعلم لا يعرض لهم شبهة فيه.

## ٨- مفهوم السيد:

(س ي د) كلمة واحدة، سمي سيّداً لأنّه يسود سواد الناس؛ أي معظمهم، وهو الذي فاق غيره، وبهذا السيد هو العاقل المدرك ذو المال

وقد ورد لفظ السيد في ثلاثة مواضع، دلت على أنه هو الخليم والعليم على ثلاثة أوجه، هي: الزوج: ﴿وَلَفِيَا سَيِّدُهَا لَدَّا الْبَاب﴾ [يوسف: ٢٥]، والقائد: ﴿وَنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَتَنَا فَأَخْلُونَا الْسَّيْلَان﴾ [الأحزاب: ٦٧]، والشريف في العلم: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلْمَةٍ مِّنْ أَنَّهُ وَسِيدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وهذا الوجه الأخير هو الدال على العلم؛ حيث السيد هنا هو الشريف في العلم والفقه والعبادة.

٩ - مفهوم الحجّة:

الحجّة من حجّ الحاء والجيم أصول أربعة: الأول: القصد، ومنه المحجّة، وهي جادة الطريق، والمحجّة مشتقة من هذا لأنّها تقصّد، يقال: حاججت فلاناً فحجّجته. والثاني: الحجّة وهي السنة، وقد يجمع إلى الأصل الأول؛ لأنّ الحج في السنة لا يكون إلا مرتّة واحدة. والثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين. والرابع: الحجّححة: النكوص، والمحجاج: الغلبة بالحجّة، وكثرة الاختلاف، والتردد.

ورد لفظ الحجة باشتقاقاته في عشرين موضعًا على وجهين: **الخصوصة**:  
**﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾** [آل عمران: ٦٦]. **والدلالة المبينة:** **﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحِجَّةُ الْأَبْلَغُهُ فَلَوْ شَاءَ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾** [آل عمران: ١٣٩]. **الحجّة، تعالى:** **﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَحْيِيْكُمْ لَهُمْ جُنُّهُمْ دَاهِضَةٌ إِنَّهُمْ رَّجِيْبُهُمْ﴾** [الشورى: ١٦]. **فسمى الدالحة حجّة، والمحاجة أن يطلب كلّ واحد رد الآخر عن حجّته ومحاجته، وكلّ ما استدلّ به على صحة الداعوى فهو**

حجّة، والمجادلة بالباطل قد تسمى حجّة، كقوله تعالى: ﴿جَنَّهُمْ دَاهِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]. إما على حسبائهم وظنّهم، أو على أسلوب فوّهم هي حجّة بينهم. والحجّة أنواع: حجّة إقناعية: التي تفيد القانعين القاصرين عن تحصيل المطالب بالبراهين القطعية العقلية، وربما تقضي إلى اليقين بالاستكثار. وحجّة برهانية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنياء: ٢٢] فهي حجّة برهانية تحقيقية؛ إذ لا تقاد النفس تخطر للمتأصل نقىض الإله، بعدما تحقق عنده استحالة الخلاف في خبره تعالى واستمرار العادة بين ذي قدرتين على تطلب الانفراد والقهـر في كل جليل وحـقير، فكيف بمن اتصف بأقصى غـایات التـکـر؟ فضلاً عن أخطـار فرض التقىضـين مع الجـزمـ بـأنـ الواقعـ هو الـطـرفـ الآخرـ.

## ١٠ - مفهوم البرهان:

من بـرهـنـ؛ أي أقام البرـهـانـ وهو الحـجـةـ والـدـلـالـةـ، وأـبـرـهـ أـتـىـ بالـبرـهـانـ، وقد ورد لـفـظـ البرـهـانـ في القرـآنـ في ثـيـاثـيـةـ مواضعـ على أـرـبـعـةـ أـوـجـهـ، هيـ: الكـتبـ المـنـزـلـةـ: ﴿يَأَيُّهـا النـاسـ قـدـ جـاءـكـمـ بـرـهـنـ مـنـ رـبـهـنـ مـنـ رـبـهـنـ﴾ [النسـاءـ: ١٧٤]؛ وـعـهـدـ اللهـ: ﴿وـلـقـدـ هـمـتـ يـهـ، وـهـمـ يـهـاـ توـلـاـ أـنـ رـعـاـ بـرـهـنـ رـبـهـ﴾ [يوـسفـ: ٢٤]ـ والحـجـةـ: ﴿وـمـنـ يـدـعـ مـعـ اللـهـ إـلـهـاـ مـاـخـرـ لـاـ بـرـهـنـ لـهـ يـهـ، فـإـنـمـاـ حـسـابـهـ عـنـ رـبـهـ﴾ [المـؤـمـنـونـ: ١١٧]ـ، والمـعـجزـةـ: ﴿فـذـنـيـكـ بـرـهـنـكـ مـنـ رـبـهـكـ إـلـىـ فـرـعـونـكـ وـمـكـلـيـهـ﴾ [الـقصـصـ: ٣٢]ـ. والـبرـهـانـ فـعـلـانـ مـثـلـ الرـجـحانـ، مـصـدـرـهـ بـرـهـ يـبـرـهـ إـذـاـ اـيـضـ، وـرـجـلـ أـبـرـهـ وـامـرـأـ بـرـهـاءـ، وـالـبرـهـةـ مـدـّـةـ مـنـ الزـمانـ، فـالـبرـهـانـ أـوـكـدـ الأـدـلـةـ، وـهـوـ الذـيـ يـقـضـيـ الصـدـقـ أـبـداـ لـاـ مـحـالـةـ؛ وـهـوـ عـنـ الـأـصـولـيـنـ ماـ فـصـلـ الـحـقـ عنـ الـبـاطـلـ،

والصحيح من الفاسد. فالأدلة خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبداً، أو تقتضي الكذب أبداً، أو إلى الصدق أقرب، أو إلى الكذب أقرب، أو إليها سواء، ﴿فُلْ هَاوُأْ بِرَهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

## ١١ - مفهوم السلطان:

(س ط ن) أصل واحد، وهو القوّة والقهر. ولذلك سُمي السلطان سلطاناً وهو الحجّة، كذلك السلطان: قدرة الملك والوالي، وسلطان أي شيء شدته، لأنّه مأخوذ من السُّلْطُط؛ أي الشديد، والسلطان هو البرهان والحجة، ولا يجمع لأنّ مجراه مجرى المصدر. وقد ورد لفظ سلطان في خمسة وثلاثين موضعًا، على وجهين: الملك والقهر: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَيْتُكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، والحجّة: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ يَهْنَدَ﴾ [يونس: ٦٨]. وقد ورد بهذا الوجه في (٢٨) موضعًا، سميّت الحجّة سلطاناً لما يلحق من الهجوم على القلوب، لكنّ أكثر تَسْلُطِه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين، أما الملك فسمّي سلطاناً لأنّ حجّة الله في أرضه، واشتق من السليط، وهو ما يضاء به.

## ١٢ - مفهوم الآية:

من أبيي، (أ ي ي) أصل واحد، وهو النظر، وأصل آخر: وهو التعمّد، يقال: تأييّث على؛ تعاملت، وأصله تعمّدت آيتها وشخصه. والأية العالمة، وهذه آية مَائِيَة. قال الأصمّي: آية الرجل شخصه. وقال الخليل: خرج القوم بآياتهم؛ أي بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ مجموعة حروف والجمع آي، والأية: العبرة، والأمارّة، ومن المعاني الوقت.

ورد لفظ آية بصيغه في ثلاثة واثنين وثمانين موضعاً على ستة أوجه، هي: العلامه: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنَّ خَلَقْنَا مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿أَتَبْيَنُونَ يَمْلُّ رِيعَ ءَايَةَ تَعْبُّونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]. والقرآن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. والمعجزات: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ يَأْتِيَنَا بِيَنْتَ﴾ [القصص: ٣٦]. والعبرة: ﴿وَلَنَجْعَلَهُمْ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١]. والكتاب: ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ أي أحکامه من أمر ونهي، فالآية هي العلامه الظاهرة، وحقيقة كل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر إلا بظهوره. ويقال لكل جملة من القرآن دالة على حكم آية سورة كانت، أو فضولاً، أو فصلاً من سورة. وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية. وعلى هذا اعتبار آيات السورة التي تعدد بها السورة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، فهي من الآيات المعقولة التي تتفاوت بها المعرفة بحسب تفاوت منازل الناس في العلم، ودرجة التفكير والتأمل.

## ١٣ - مفهوم الجدال:

(ج) دل) أصل واحد، من باب استحکام الشيء في استرسال يكون فيه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام. يقال: جَدَلَ الحب في سنبله، قوي. والأَجْدَلُ هو الصقر، وجَدَلُهُ يَجْدِلُهُ ويَجْدِلُهُ: أحکم فتلہ، والجَدُلُ اللَّدُدُ في الخصومة، والقدرة عليها. وجَدَلُهُ فانجَدَلَ وتجَدَلَ: صرعه على الجداله. وقد ورد لفظ الجدال بصيغه في تسعة وعشرين موضعاً على ثلاثة أوجه، هي: الخصومة: ﴿وَهُمْ يَجْدِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٣] والمراء: ﴿فَلَرَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجَّ [البقرة: ١٩٧]، والمناظرة والمحاورة: ﴿وَجَدَدُهُمْ بِأَلَّى هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. فالجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعـة والمغالبة، وأصلـه من جَدَلْتُ الحـبل؛ أي أحـكمـتـ فـتـلـهـ وـمـنـهـ الجـديـلـ. كـأنـ المـتـجـادـلـينـ يـفـتـلـ كـلـ وـاحـدـ الآـخـرـ عـنـ رـأـيـهـ، وـقـيـلـ: الأـصـلـ فـيـ الجـدـالـ الـصـرـاعـ إـسـقـاطـ الإـنـسـانـ صـاحـبـهـ عـلـىـ الجـدـالـ، وـهـيـ الـأـرـضـ الـصـلـبـةـ، وـقـيـلـ: الجـدـالـ عـبـارـةـ عـنـ دـفـعـ الـمـرـءـ خـصـمـهـ عـنـ فـسـادـ قـولـهـ بـحـجـةـ أـوـ شـبـهـ، وـهـوـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ بـمـنـازـعـةـ الغـيرـ. وـالـمـجـادـلـةـ مـنـازـعـةـ فـيـ مـسـأـلـةـ عـلـمـيـةـ إـلـزـامـ الـخـصـمـ سـوـاءـ كـانـ كـلـامـهـ فـيـ نـفـسـهـ فـاسـدـاـ أـمـ لـاـ، وـإـذـاـ عـلـمـ بـفـسـادـ كـلـامـهـ وـصـحـةـ كـلـامـ خـصـمـهـ فـنـازـعـهـ مـكـابـرـةـ. وـمـعـ دـعـمـ الـعـلـمـ بـكـلـامـهـ وـكـلـامـ صـاحـبـهـ فـنـازـعـهـ مـعـانـدـةـ، فـالـأـصـلـ فـيـ الجـدـالـ الـخـصـامـ؛ لـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ بـأـنـ يـكـونـ بـالـتـيـ هـيـ أـحـسـنـ؛ لـأـنـ غـالـبـ ماـ يـرـدـ فـيـ الجـدـالـ يـكـونـ مـذـمـوـمـاـ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ أَكْثَرَ شَقِّيًّا جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. ويـقـسـمـ الـحـوارـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ، هـيـ: الـمـنـاظـرـةـ، وـالـجـدـالـ، وـالـمـكـابـرـةـ وـقـدـ تـشـتـملـ الـمـنـاقـشـةـ الـوـاحـدـةـ عـلـىـ كـلـ هـذـهـ الـأـنـوـاعـ الـثـلـاثـةـ.

#### ٤ - مـفـهـومـ السـؤـالـ:

من سـأـلـ، السـيـنـ وـالـلـامـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ، سـأـلـ يـسـأـلـ سـؤـالـاـ وـمـسـأـلةـ، وـرـجـلـ سـؤـلـةـ كـثـيرـ السـؤـالـ، وـيـقـالـ: سـلـ وـاسـأـلـ، وـقـدـ وـرـدـ لـفـظـ السـؤـالـ باـشـتـقـاقـاتـهـ فـيـ مـائـةـ وـثـيـانـيـةـ وـعـشـرـينـ مـوـضـعـاـ عـلـىـ سـبـعـةـ أـوـ جـهـ، هـيـ: الـاسـتـفـتـاءـ: ﴿يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْأَهْلَةِ فُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البـقـرـةـ: ١٨٩ـ]، "يـسـأـلـونـكـ" [الـبـقـرـةـ: ٢١٥ـ]، وـ[٢١٧ـ]، وـ[٢١٩ـ]، وـ[٢٢٠ـ]. وـالـمـتـسـوـلـ: ﴿وَمَمَّا أَسْتَأْلِمَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الـصـحـىـ: ١٠ـ]؛ وـالـدـعـاءـ: ﴿سـأـلـ سـأـلـ بـعـدـاـبـ وـاقـعـرـ﴾ [الـمـعـارـجـ: ١ـ].

والاعتراض والمراجعة: ﴿فَلَا تَسْتَعْلِمُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]. والطلب: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانِ﴾ [الرحمن: ٢٩]، والحساب: ﴿فَلَنَسْعَنَّ الَّذِينَ أُرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْعَكُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، والتخاصم: ﴿عَمَّ يَنْسَاءُونَ﴾ [النَّبِيَّ: ١].

فالسؤال استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إليها، واستدعاء مال أو ما يؤدي إليه. والسؤال من الله تعالى لتنبيه المخاطب أو لتبكيته وتعريفه، أو لإقراره وإلزامه، ولا يصح في حقه سبحانه طلب المعرفة، فإذا كان التعريف تعددى إلى المفعول الثاني بنفسه، وتارة بالجهاز، نحو سأله كذا وبكذا، وعن كذا، وبمن أكثر؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. أما إذا كان السؤال لاستدعاء مالٍ فإنه يتعدى بنفسه وبـ "من"، نحو قوله تعالى: ﴿فُلِّ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سما: ٤٧]، والسائل الذي يسأل لفقره وسوء حاله، قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَّائِلِ وَلَا تُحْرِمُوهُ﴾ [الذاريات: ١٩]. فالسؤال الذي يهمّنا هو ما تتحقق به المعرفة، بل هو أهم وسائلها، ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] وسؤال الله لعباده ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ بِأَنَّ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْلُدُ فِي وَاحِدَةٍ إِلَيَّهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. قيل: إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم، لا لتعرف الله تعالى فإنه علام الغيوب، فالسؤال للمعرفة يكون للاستعلام وأخرى للتبكيت والتعجيز وأخرى للإقرار.

كما أنّ السؤال يقارب الأمنية، غير أنّ الأمنية تقال فيما قدر، والسؤال فيما طلب، وسؤال الجدل حّقه أن يطابق جوابه بلا زيادة ولا نقص، أما السؤال للتعلم والاسترشاد فحقّ المعلم أن يكون فيه كطبيب يتحرّى شفاء

سقيم، فيبيّن على ما يقتضيه المرض لا على ما يحكيه المريض. وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبئهاً على أنه كان من السؤال أن يكون كذلك ويسميـه البعض بالأسلوب الحكيم. فيأتي الجواب أعمّ من السؤال، كقوله: ﴿وَمَا تَلَكَ بِسَمِينَكَ يَمْوَنِي﴾ (١٧)، جوابه ﴿قَالَ هِيَ عَصَائِي﴾ ولكنه أضاف ﴿أَنَّوْكَعُوا عَنْهَا وَاهْشُبْهَا عَلَى غَنَمِي﴾، [طه: ١٦، ١٧]، وقد تكون للإغاظة كما في ﴿قَالُوا نَعْمَدُ أَصْنَامًا فَنَظَرُلُهَا عَذِيقَيْنَ﴾ (١٨) [الشعراء: ٧١]، في جواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٩). وقد يكون الجواب زيادة للتحريض ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَيْسَنَ الْمُغَرَّبِينَ﴾ (٢٠) [الأعراف: ١١٤]، وقد يجيء أنقاص لاقتضاء الحال ذلك. وقد يعدل عن الجواب أصلًا، إذا كان قصد السائل التعتـنـتـ، والسؤال في القرآن إذا كان واقعاً يقال في الجواب "قل".

## ١٥ - مفهوم الجواب:

من جوب، (ج و ب) أصل واحد، هو خرق الشيء. يقال: جُبـت الأرض جـوـبـاً، فأنا جـاـبـ و جـوـابـ. وأصل آخر، وهو مراجعة الكلام: يقال: كلـه فـاجـابـه جـوـابـاً وقد تـجـاـوـبـاً مـجـاـوـبةـ، والـجـوـائـ الـأـخـبـارـ الطـارـئـ، وهـلـ منـ جـائـةـ خـبـرـاً، أي طـرـيفـةـ خـارـقـةـ. يـقالـ: اـسـتـجـوـبـهـ، وـاسـتـجـابـهـ. وـاسـتـجـابـ لـهـ، وـتـجـاـوـبـوـاـ، وـالـتـجـاـوـبـ هوـ التـحاـوارـ.

ورد لفـظـ الجـوـابـ باـشـتقـاقـاتـهـ فيـ ثـلـاثـةـ وـأـرـبـاعـينـ مـوـضـعـاـ علىـ خـمـسـةـ أـوـجهـ، هيـ: القـطـعـ وـالـخـرـقـ: ﴿وَتَمُودُ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (١) [الفجر: ٩]؛ والتـلـبـيةـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عَبَادِي عَنِ فِلَانِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الْدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ والـاتـبـاعـ: ﴿يَقْوِمُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأـحـقـافـ: ٣١]. والـطـاعـةـ: ﴿الَّذِينَ آسْتَجَابُوا لِهِ﴾

وَالرَّسُولُ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران: ١٧٢]. والرد على السؤال: ﴿وَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرِيرِكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]، ويكون الجواب في مقابلة السؤال، والسؤال على ضربين: طلب المقال وجوابه المقال؛ وطلب التَّوَال وجوابه التَّوَال. فعلى الأول ﴿يَنْهَا إِجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]؛ وعلى الثاني ﴿قَالَ قَدْ أُحِبَتْ دَعَوَاتُكُمَا فَأَسْتَقِيمَا﴾ [يونس: ٨٩]؛ أي أُعْطِيْتُمَا مَا سَأَلْتُمَا، وقيل: الاستجابة هي الإجابة، وحقيقة التحرّي للجواب والتهيؤ له، لكن عُبَرَ عن الإجابة لقلة انفكاكها منها. وقيل: الأصل في الجواب أن يعاد فيه السؤال نفسه ليكون وفقة، نحو ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، وكذا ﴿قَالَ مَا قَرَرْتُمْ وَأَخْذَمُ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] هذا أصله، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحرف الجواب اختصاراً، وتركاً للتكرار. ومن عادة القرآن أن السؤال إذا كان واقعاً يقال في الجواب "قل" بلا فاء، مثل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّ﴾ [الإسراء: ٨٥]، ونظائرها في [الأعراف: ١٨٧]، و[البقرة: ١٣٣]. فصيغة المضارع للاستحضار؛ لأنّه في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ﴾ [طه: ١٠٥]، فإنّ الصيغة فيها للاستقبال لأنّه سؤال علِمَ الله تعالى وقوعه وأخبره عنه قبله وذلك أتى بالفاء فقال: ﴿قُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ سَقَا﴾ ﴿١٥﴾ [طه: ١٠٥]؛ أي إذا سألك فقل.

## ٦ - مفهوم الفتوى:

من الفتى، الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما يدلّ على طراوة وجدّة، كقولهم الفتى، وهو الطري من الإبل، والفتى من الناس واحد الفتىان. والآخر على تبيين حكم، الفتى يقال: أفتى الفقيه في المسألة إذا بين

حكمها، وقد ورد لفظ فتى باشتقاقاته في واحد وعشرين موضعًا على وجهين:  
 الواحد من الناس: ﴿فَلَوْ سَمِعْنَا فَيَدْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنياء: ٦٠]،  
 وبيان الحكم: ﴿قُلَّ أَلَّهُ يَقْتَصِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]. والذى يهمنا في مجال  
 المعرفة هنا "الفتوى". وقد جاء اللفظ بصيغة الفعل من غير الاسم في أحد  
 عشر موضعًا، بمعنى طلب معرفة الشيء بالمسألة والاستفهام، وهو أخص  
 من الاستفهام. فالفتوى لا تقع إلى على أمرٍ بعينه، وبهذا التقييد من المعنى  
 ورد في القرآن الكريم بدليل خطاب الملك في الآية للأشراف من قومه،  
 وليس عامة القوم كما في ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتَوْنَى فِي رُءُبَتِي﴾ [يوسف: ٤٣]، والفتوى  
 الجواب عما يشكل من الأحكام، والإفتاء هو تبيين المبهم.

## ١٧ - مفهوم البيان:

من البَيْنِ، (بِيَنْ) أصل واحد، وهو بُعْدُ الشيءِ وانكشافه، فالبيان  
 في الأصل مصدر (بَيْنَ الشيءِ) بمعنى اتضحت وانكشف وأبْتَثَتْهُ واسْبَّبَتْهُ:  
 أوَضَّحَتْهُ، وجاء بيان ذلك وَبِيَتِهِ؛ أي بحُجَّتِهِ. وقد ورد لفظ البيان مع  
 اشتقاقاته مائتين وثمانين وخمسين موضعًا، على ستة أوجه، هي: التأمل  
 والترتيث: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُفُّارٌ فَإِسْقُطُنَّا فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. والمحاج  
 والدلائل: ﴿وَبَيَّنَتِ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، والعلم: ﴿وَتَبَيَّنَ  
 لَكُمْ كَيْفَ فَعَلَنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] والظهور: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِكُلِّ الْخَيْطِ الْأَيْمَنُ  
 مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والوضوح: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مَا يَنْتَزِعُ  
 مِنْ بَيِّنِتِ﴾ [النور: ٣٤]؛ والإفصاح: ﴿عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]؛ أي التبيين  
 عما في ضميره. فالبيان يأتي بمعنى الإيضاح والإظهار، والتعریف والإعلام

بأدلة ظاهرة محسوسة، و يأتي بمعنى الكلام والإفصاح عما بداخل الإنسان، والأغلب أن يرد الرباعي منه مهموزاً أو مضعفاً، ولم يجيء الثلاثي في القرآن الكريم للدلالة على معنى الإظهار، وإنما جاء من الرباعي والخماسي أبان وبين وتبين بصيغ واشتقاقات مختلفة للدلالة على الماضي والمضارع واسم الفاعل المبين في عشرات الآيات، ولم ترد صيغة الأمر منه سوى ثلات مرات، وبلفظ واحد "تبينوا"، وفيه معنى التأمل والترىث، والتبيان بمعنى البيان، لأن المصادر إنما تحيى على التفعال، ولم يجيء بالكسر إلا التبيان والتقاء ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

والمبين اسم فاعل من أبان يُبَيِّن فهو مبين، إذا أظهر وبين، إما قولًا وإما فعلًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ إِنَّكَ لَكَ بِإِيمَانِ الْكِتَابِ أَكْبَرٌ﴾ [يوسف: ١]، كما جاء من اللفظ الخماسي "تبين" بمعنى العلم بالشيء بعد ظهوره (١٨) مرة في صيغ الماضي، المضارع والأمر، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّتِ الْجِنُونُ أَنَّ لَهُ كَافُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشْعُرُوا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ بِالْأَنْعَامِ أَكْبَرُ﴾ [سباء: ١٤]؛ أي لما علمت الجن وظهر لها العجز وعلموا جهلهم. والبيانات في القرآن بمعنى الدلائل والحجج الواضحة واليقين الراسخ، ومفرداتها بيته، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

والبيان هو الكشف عن الشيء، وهو أعم من النطق، وهو مختص بالإنسان دون غيره من المخلوقات في عالم الشهادة. وهو على ضربين: أحدهما بالإنجاز، والثاني بالإخبار، وسمى الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره نحو ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّتَنَاسٍ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وسمى ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيمة: ١٩].

والبيان يكون بالفعل، وبالقول، وهو على خمسة أوجه، هي: بيان التقرير ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجَمِعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠]، قوله: ﴿وَلَا طَّيْرٌ يَطْيَرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فهو تقرير لوجب الكلام وحقيقة قطعاً؛ لاحتلال المجاز؛ إذ يقال المرء يطير بهمته. وبيان التفسير: لما فيه خفاء من المشترك أو المجمل أو الخفيّ. وبيان التغيير: وهو تغيير موجب الكلام نحو التعليق والاستثناء والتخصيص. وبيان التبديل: وهو النسخ، وبيان الضرورة: هو نوع بيان يقع بغير ما يوضع له لضرورة ما؛ إذ الموضوع له النطق وهذا يقع بالسكتوت. وهو على أربعة أوجه، هي: الأول: ما يعلم بمعونة المنطق لا بمجرد السكتوت، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنَّ لَهُ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرَبُّهُ وَأَبُوهُ﴾ [النساء: ١١]. والثاني: ما يثبت بدلالة حال المتكلم. والمراد بالمتكلم القادر على التكلم لا الناطق، واحتزز به عمن لا يقدر على التكلم كالآخرس. والثالث: ما يثبت ضرورة دفع الضر عن المشتري. والرابع: ما يثبت بدلالة الكلام، كما قال: له عليّ مئة وثلاثة دراهم أو ثلاثة أثواب أو أفراس، فالمعطوف بيان للمعطوف عليه، والبيان ما يتعلّق باللفظ، والتبيان ما يتعلّق بالمعنى.

## ١٨ - مفهوم الشرح:

(ش رح) أصيل يدلّ على الفتح والبيان، من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحاً، إذا بيّنته، واشتقاقه من تشريح اللحم، ويكون بمعنى: كشف، وواسع، والشرح مصدر شرحت الأمر، أشرحه شرحاً: إذا اكتشفت عنه وأوضحته. وقد ورد لفظ شرح خمس مرات، بمعنى البسط والتوسعة، مثل بسط اللحم ونحوه، وشرح الصدر: بسطه وفتحه لقبول الشيء، وشرحه

بالمهدية بمعرفة الحق وطاعة الله وجعل الصدر وعاء للحكمة ورباطة الجأش والجرأة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِإِلَاسْكِمٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، وما يماثله في الأئمَّة: ١٢٥، و[طه: ٢٥] و[الانشراح: ١]، وفي قوله تعالى عن دعاء موسى: ﴿قَالَ رَبِّي أَتَتْجَنْ لِي صَدَرِي﴾ [طه: ٢٥]؛ لم يقرن الشرح بالقلب؛ لأنَّ محلَّ الوسوسة هو الصدر، ﴿الَّذِي يُوَسِّعُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، فهي بحاجة إلى القوَّة والتَّوسيعة لتكون حصنًا للقلب من أهواء الشياطين. والشرح ليس مختص بالجانب الحقّ؛ لأنَّه وارد في الإسلام كما هو في الكفر ﴿وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرًا﴾ [التحل: ١٠٦] فالشرح هو حقيقة في الأعيان واستعارة في المعاني.

## ١٩ - مفهوم التفسير:

من فَسْرٌ، (ف س ر) كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفَسْرُ، وهو كشف المغطى، وقيل: التفسير والتَّأویل واحد، كما هو كشف المراد عن المشكّل، والتَّأویل رد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر، والفسر نظر الطيب إلى الماء وحكمه فيه، والتَّفسِّرة، فيعرف الداء. وقد ورد لفظ التفسير مَرَّةً واحدةً في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَتَّلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحَسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وهو بمعنى الكشف والبيان، فكل شيء يعرف به تفسير الشيء أو ما ينبيء عنه يسمى التفسير، والفرق بين التعريف والتفسير أنَّ الأخير تعريف لفظيّ، يشرح اللفظ بلفظ أظهر منه، والتعريف يشمل الحَدّ والرسم، فالتفسير إظهار المعنى المعقول، وهو أعمّ من التَّأویل، لأنَّه يجري على الألفاظ. والتَّأویل في المعاني؛ ويكون التَّأویل في الكلام ليس

وخفاء فيؤتي بما يزيله ويفسره.

## ٢٠ - مفهوم الحكمة:

من حكم، (ح ك م) أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم؛ وهو المنع من الظلم. والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل، والحاكم منفذ الحكم؛ أي القضاء، والحكمة العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحكامه أتقنه فاستحكم، ومنعه عن الفساد.

ورد لفظ الحكمة باشتقاقاته في (١١) موضعًا، على خمسة أوجه، هي:  
الموعظة: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعْلَمُكُمُ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]. والفهم  
والعلم: ﴿وَأَنَّا نَنْهَاكُمْ عَنِ الْحَرَمَاتِ﴾ [مريم: ١٢]. والنبوة: ﴿فَقَدْءَاتَنَا إِلَيْكُمْ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]. وتفسير القرآن: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ  
يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوقِيَ حَيْرَانًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. والقضاء: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ  
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢]. فالحكمة تعني العدل، والعلم، وصواب  
الرأي، وسدادة العقل، وفهم المعاني، والإتقان في الصناعة، والفقه. وقد ورد  
في القرآن بعدة أوجه، ترجع إلى أصل الحكمة وهو الإحكام؛ أي الإتقان.  
والحكمة من الله تعالى إيجاد الأشياء، على وجه الإتقان، ومن الإنسان معرفة  
الموجودات وفعل الخيرات.. كما ورد في القرآن لفظ الحكيم ويحتمل أمرين:  
أنه معنى العالم، وقيل: لا يسمى حكيمًا حتى يجمع العلم والعمل. والحكيم  
يعنى المحكم لأفعاله فكلها حكمة وصواب، وهو يمعنى المبين كذلك.  
فالحكمة والحكيم، من حكم دلالته المنع، ثم تطورت إلى ضبط العلم والعمل  
بما يحقق الصواب من خلال نظرة عميقه مباشرة إلى معانى الأشياء، ودقة

الملاحظة التي يستمدّها من تجرب الحياة. فكان العرب يسمّون أشرافهم بـ "الحكماء". والحكيم من أسماء الله تعالى الذي لا يغ رب عنه شيء يضبطه ويحكمه بقدرته وعلمه فسبحانه، وهو بمعنى الحكم، وهو القاضي الذي يمنع الظلم، ويجوز أن يكون معنى الحكيم ذو الحكم، وتنسب إلى أشراف العزم، وأئمّتهم للدلالة على صواب الرأي، والسداد، وضد السفاهة، والفساد، والحكم أعمّ من الحكم، ومحكم الكلام هو ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى، وقيل: الحكم هي معرفة الحقائق على ما هي بقدر الاستطاعة، إفراطها: الجريزَة، وتفریطها: الغواوة، وأكثر أهل العلم على أنّ الحكم ليست للعلم المجرد، بل للعلم مع زيادة مبالغة فيه أو للعلم مع العمل، وأمر التقديم والتأخير بينهما إنما بحسب اقتضاء المقام.

هذه خلاصة الألفاظ التي حاولنا البحث فيها في مجال العلم وما قارب مفهومه، غير أنّ ألفاظاً أخرى يمكن إضافتها، لكن لطول البحث آثرنا التنبيه عليها من غير الخوض في دلالتها بأكثر ما هي عليه ومنها: الحلم والرشد واللطف والإحسان والإيناس، والخوف والخشية والإنبابة، والفصاحة واللحن، والعلن والاستخراج والشخص، كلّها صفات للكلام والمعلومة المعروضة على السامع أو القارئ.

## ٢١ - مفهوم الهدى:

الهاء والدال والحرف المعتل، أصلان، أحدهما التقدم للإرشاد، هديته الطريق هداية؛ أي تقدمه لأرشده، وكلّ متقدم لذلك هاد. ويتشعب، فيقال: الهدى خلاف الصلاة، وهاديهما أول رعييل منها، و الآخر بعثة

لطف، منه الهدية، ما أهدى من لطف على ذي مودة، والهادي من أسماء الله تعالى، وهو الذي بَصَرَ عباده، وعَرَفَهم طريق معرفة حتى أَقْرُوا بِأَلوهيته وربوبيته. وهديته إلى الطريق؛ أي عرّفته.

ورد لفظ الهدى بدلالاته العامة والخاصة في (٣٦) موضعًا من القرآن الكريم، في ستة عشر وجهاً، لكن يمكن ضم بعضها إلى غيرها، هي: البيان: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ يَنْتَهُونَ﴾ [البقرة: ٥]، ودين الإسلام: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، والداعي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صَرْطَنِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، والمعرفة: ﴿نَنْظُرُ أَهْنَانِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الظَّنِّ لَا يَهْدِي دُونَ﴾ [النمل: ٤١]، والكتب: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِينَكُمْ مِّنِي هُدَىٰ فَمَنْ يَتَّبِعُ هُدَىٰ فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. والرشد: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٢٠]، ﴿وَلَنَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣] فالهدى هو الدلالة مع كونها موصولة إلى المطلوب، بدليل وقوعها مقابل الضلال، وفيها الرشاد والبيان لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَضَالَّةً إِلَيْهِدَى﴾ [البقرة: ١٦]. وكلها تدور حول معاني الدلالة والإرشاد والإلهام والتوفيق والمجازاة، ولها دلالات خاصة بالسياق. غير أنّ معنى البيان هو الأقدر على استيعاب معظم الوجوه. وقد ورد من لفظ الهدى الصيغ الفعلية ثلاثة أوجه، هي: مُعَدِّى بِإِلَى: يتضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، ﴿وَيَهْدِي إِلَى صَرْطَنِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] ومعدى باللام: لتخصيص اللفظ بشيء المطلوب، ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] ومعدى بنفسه: ويتضمن المعنى الجامع لذلك كله والتعريف والبيان والإلهام ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]،

فإلهادية في القرآن لها مفهوم خاص، كإعطاء العقل والتوفيق، والحد من طريق الصالل إلى طريق الإيمان، الذي يرشد إلى الجنة والخير. وإلهادية من البشر دعاء وتعريف للطريق الصحيح، الذي من شأنه الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل، غير أن بعضهم اشترط الإيصال لأن الضلالة تقابلها.

واللهادية من الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه: الأولى: الهداية التي تعم كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف التي عم بها كل شيء، وقدر منه حسب احتماله. والثانية: الهداية التي جعل للناس بدعائه تعالى إياهم إلى سنة الأنبياء، وإنزال القرآن ونحو ذلك. والثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى. والرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة. وأشار إلى الأولى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَهَدِيٌ إِلَى صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وعلى سائر الهدايات: ﴿إِنَّكَ لَهَدِيٌ مَّنْ أَحَبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وكل هداية نفاحتها الله تعالى عن الظالمين فهي هداية التوفيق. وقوله تعالى: ﴿فَأَلْرَبَّنَا اللَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [٥٠] [ط: ٥٠] للحيوانات كلها، أما قوله: ﴿وَهَدَيْتَهُنَّ النَّاجِدِينَ﴾ [البلد: ١٠] للعقلاء، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَانَ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنباء: ٧٣] وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفَتَرَدُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

## ٢٢ - مفهوم الاتباع:

من تبع، (ت ب ع) أصل واحد، التلوّ والتقو، يقال: تبعت فلاناً إذا تلوته وأتبعته وأتبعته إذا لحقته، وقد ورد لفظ تبع بصيغه في (١٧٥) موضعاً على سبعة أوجه، هي: الصحبة: ﴿قَالَ لَهُمْ مُؤْمِنِي هَلْ أَتَبِعُكُمْ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عِلِّمْتَ﴾

رُشداً ﴿٦﴾ [الكهف: ٦٦] الاقتداء: ﴿أَتَسْعِوا مَن لَا يَسْتَكْمُلُ أَجَراً﴾ [يس: ٢١].  
 والاستقامة: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن تَأْتِيَ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]  
 والاختبار: ﴿وَيَتَّبِعُ عَذَّرَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]. وعمل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَلَّوْا  
 الْنَّيَّابَطِينَ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والصلاه: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا  
 الْكِتَابَ بِكُلِّ عَيْنٍ مَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. والطاعة: ﴿وَلَوْلَا أَفْضَلُ اللَّهُ عَيْتُكُمْ  
 وَرَحْمَتُهُ لَأَتَبَعْتُمُ الْشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالاتباع يكون بقفو الأثر، بالاتسام أو بالاتئمار، ﴿أَفَمَنْ أَتَيَ رِضْوَانَ اللَّهِ  
 كَمْ بَأَهِ سَخَطَ مِنْ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، ﴿وَأَوْجَنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَتِيَ بِعِيَادَى إِلَّا  
 مُتَّبِعُونَ﴾ [الشعراء: ٥٢]. فالاتباع قد يكون بالمشي خلف المتبوع، أو باقتداء  
 منهجه العلمي والفكري، أو بطاعته والاتباع لأوامره، كما في قوله تعالى:  
 ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ويكون في الحق وفي الباطل  
 ﴿إِذَا تَبَرَّا الَّذِينَ أَتَيْوْا مِنَ الَّذِينَ أَتَبَعُو﴾ [البقرة: ١٦٦]، فالاتباع في القرآن دائمًا  
 كان لا هو بين الصحة وقوى البرهان ﴿يَهُدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَيَ رِضْوَانَهُ﴾  
 [المائدة: ١٦]، وهو دليل صحة أنه وحي معصوم، قامت الأدلة على إثبات  
 عصمتها، أما المردود فقد وصف بالأهواء والباطل والظن ﴿وَلَا تَتَبَعَ أَهَوَاهُمْ  
 عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

## ٢٣ - مفهوم الشورى:

من شَوْرُ، (ش و ر) أصلان مُطْرِدان: الأول: إبداء شيء وإظهاره،  
 والآخر أخذ شيء. ومنه: شُرْتُ الدابة شَوْرًا، إذا عرضتها، والمكان الذي  
 يُعرض فيه الدواب هو المشوار. والآخر: قولهم شُرْت العسل أَشُورَه، ومنه:

شاوَرْتَ فلاناً في أمري، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره. ومنه: المستشير، وهو البعير الذي يعرف الحال من غيرها الحامل، واستشاره طلب منه الشورى. وأشار إليه باليد، أو مأ، وأشار عليه بالرأي، والشورى الأمر الذي يتشاور فيه؛ أي كلّ يشير برأيه.

ورد لفظ الشورى بصيغه في أربعة مواضع على وجهين: الإيماء باليد: ﴿فَأَشَارَ إِلَيْهِ﴾ [مريم: ٢٩]. والتحاور: ﴿وَسَأَوْرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهو من الله لنبيه الكريم بمشاورة أصحابه، و﴿وَأَتُهُمْ شُرَيْبِنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالمشاورة استخراج الرأي بمراجعة البعض للبعض.

#### ٤ - مفهوم الفطرة:

(ف ط ر) أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، ومن ذلك الفطر من الصوم. ومنه الفطر بفتح الفاء، فطرت الشاة فطراً إذا حليتها، والفطرة: الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه، والدين. وفطر الله تعالى الخلق: خلقهم وبرأهم، وفطر الأمر: ابتدأه وأنشأه، والتطير ضدّ الخمير، وهو العجين الذي لم يختمر. وكلّ شيء أعمجه عن إدراكه فهو فطير، يقال: إياك والرأي الفطير.

ورد لفظ فطر باستراقاته في عشرين موضعاً على أربعة أوجه، هي: الإبداع: ﴿فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [يوسف: ١٠١]، والاختلال: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]. ومنها الخلق: ﴿فَطَرَ اللَّهُ أَلَّا يَفْتَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. والانشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]. فأصل الفطر الشق طولاً. يقال: فطر فلان كذا فطراً وأفطر وهو فطوراً وانفطر انفطاراً. قال تعالى:

﴿هَلْ تَرَى مِنْ قُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]؛ أي احتلال، وقد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصلاح. وفطر الله الخلق؛ أي إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة من الأفعال، فقوله تعالى: ﴿فَطَرَ اللَّهُ أَلِيَّ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وفطرة الله هي ما ركز فيها من قوته على معرفة الإيمان، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فالفطر يشبه أن يكون معناه الإحداث دفعه كالإبداع.

## ٢٥ - مفهوم الحيّ:

من حبي، الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والأخر الاستحياء الذي هو ضدّ الوقاحة. فأما الأول فالحياة والحيوان، وهو ضدّ الموت والموتان. ويسمى المطر حيّاً، لأن به حياة الأرض. وطريق حيّ: بين، وخبيّ: استبان، والحيوان: جنس الحيّ، أصله حيّان. وقد ورد لفظ الحي والآحياء خمساً وثلاثين مرّة، ومن الآحياء المرضى بصيغه المختلفة خمسين مرّة، وبمعنى الاستحياء في أربعة مواضع، وبمعنى المعيشة مرّة واحدة ﴿فَلَئِنْجِنَتَهُ حَيَّةٌ طِبَّةٌ﴾ [النحل: ٩٧]. وجاء من المادة ما دلّ على التحيّة أربعاً وأربعين مرّة في صيغة، وبدلالة سبي والخراب أربعة مواضع. وبمعنى القوة العاقلة العالمة في موضعين ﴿إِنِّي نَذِرْتَ مَنْ كَانَ حَيّاً﴾ [يس: ٧٠]. ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيّتاً فَأَحْيَيْتَهُ﴾ [الأعجم: ١٢٢].

## ٢٦ - مفهوم الظن:

(ظن) أصل صحيح يدلّ على معنين مختلفين: يقين، وشكّ. فأما اليقين فقول القائل: ظنت ظناً؛ أي أيقنت، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ

﴿مُلْكُوا اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، والعرب تقول ذلك وتعرفه، وهذا في القرآن كثير.

والثاني: الشك، يقال: ظننت الشيء إذا لم تيقنه، ومن ذلك الظننة، التهمة، والظنّ التردد الراجح بين طرق الاعتقاد غير الجازم، وقد يوضع موضع العلم، فهو من ألفاظ الأضداد، وهو تغليب القلب على أحد أمرین بوجود الدلائل والأamarات في الشيء المظنون، فكلما قويت لحق بالعلم، وإن ضعفت لحق بالظنّ. والظن قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة. وقد ورد لفظ الظن في تسعة وستين موضعًا على أربعة أوجه، هي: العلم والإتقاء:

﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقْيِمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، يعني إن اتقيا، قوله تعالى: ﴿وَوَظَنَّ دَاؤُدُّ أَنَّمَا فَتَنَّنَهُ﴾ [ص: ٢٤]، يعني وعلم داود أنها ابتليناه. والشك: ﴿إِنْ نَظَنَ إِلَّا ظَنَّا﴾ [الجاثية: ٣٢]. والحسبان: ﴿إِنَّهُ طَنَّ أَنْ لَنْ يَحُوْر﴾ ١٦ [الانشقاق: ١٤]. والتهمة:

﴿وَظَنَّوْنَ يَأْلَمُ الْأَظْنَنُوا﴾ ١٧ [الأحزاب: ١٠]، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْنِ بِضَئِنِّ﴾ ١٨ [التوكير: ٢٤] يعني المتهم. والظنّ والشك والتتجوز نظائر، إلا أنّ الظنّ فيه قوة أحد الأمرين من غير الآخر. وحده: ما قوي عند الظآن على ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه، فالتجويز يفصل عن العلم، وبالقوة ينفصل عن الشك.

## ٢٧ - مفهوم الحسب:

(ح س ب) أصول أربعة: الأول: العد، حسبت الشيء أحسبه حسباً وحسباناً. وهو الظنّ، وقولهم: احسب فلان ابنه إذا مات كبيراً، وذلك أن يعده في الأشياء المذخورة له عند الله تعالى. والأصل الثاني: الكفاية، والثالث: الحسبان، وهي جمع حسبة وهي الوسادة الصغيرة، والرابع: الأحسب الذي ابilst جلدته من داء ففسدت شعرته. فتحسب يأتي

بمعنى: توصد وتعرف وتتوخى واستخبر.

ورد لفظ حسب باشتقاقاته في (١١٠) مواضع، على خمسة أوجه، هي:  
العد: ﴿لَعْلَمُوا عَدَدَ الْسَّيِّنَاتِ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]. والمناقشة والمجازاة:  
﴿فَحَاسَبَنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق: ٧]، والكافية: ﴿فَإِنْ تُولِّوْا فَقْلُ حَسِيبٍ أَللَّهُ إِلَّا إِلَّا  
هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلُتُ﴾ [التوبه: ١٢٩]، والرقيب: ﴿وَهُنَّ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]  
والظن: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُنَزَّكُوا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].  
والحسبان الذي يكون بمعنى الظن، يأتي بمعنى اليقين، والحسيب، بمعنى  
المحاسب وبمعنى الكافي والمعطي، والحسبان أحد مراتب الظن، التي بصيغ  
عدة غالباً في سياق الاستفهام ﴿أَفَحِسِبَ﴾ و﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾، ﴿أَمْ حَسِبَ﴾،  
﴿أَيْخَسِبَ﴾ فكان في أغلبها صيغ للفظ "حسب". وجاء بمعنى المحاسب  
وبمعنى الرقيب، كما أن للحساب أوجهًا قد تشمل كل ما ورد سلفاً، ففي  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] فيه أوجه، هي:  
يعطيه أكثر مما يستحقه. ويعطيه ولا يأخذه منه. ويعطيه عطاء لا يمكن للبشر  
إحصاؤه. ولها أصلان: الأول: إذا كان فعلها الماضي مفتوح العين، مضمومها  
في المضارع فهو بمعنى العد. الثاني: إذا كان فعلها الماضي مكسور العين أو  
مفتوحها، مكسورها في المضارع فهو بمعنى المقارب للظن.

## ٢٨ - مفهوم الجهل:

(ج ه ل) أصلان: أحدهما خلاف العلم والآخر خلاف الطمأنينة.  
الأول: الجهل نقىض العلم ويقال للمفارزة التي لا علم بها، مجھل. والثاني:  
قولهم للخسبة التي يحرك بها الجمر مجھل، ويقال استجهلت الريح الغصن

إذا حركته فاضطراب. والمجهلة: الأمر الذي يحملك على الجهل، ويقال جَهَلْ جَهْلًا وجَهَالَةً، وتجاهل فهو جاهل وجهمول وجُهَلاء، وناقة مجھولة: لا سمة عليها واستجهله: استخفه، وتجاهل: أرى من نفسه ذلك وليس به. وقد ورد لفظ الجهل باشتقاته في أربعة عشرين موضعًا، على أربعة أوجه، هي: ضد العلم: **﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءٌ مِّنْ أَنْتَفَعُ﴾** [البقرة: ٢٧٣]. ضد الحلم: **﴿إِنَّمَا أَتَوْبَةً عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أُسُوءَ بِجَهَلَةٍ﴾** [النساء: ١٧]. وكل زمان خلا من الرسالة الربانية: **﴿يَطْلُونَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَقُّ ظَنَّ الْجَهَلِيَّةِ﴾** [آل عمران: ١٥٤] والكفر: **﴿قُلْ أَفَغَيَرَ اللَّهُ أَمْرُوْتِي أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَنَاحِيَّةِ﴾** [الزمر: ٦٤]. والجهل على ثلاثة أضرب: الأول: خلو النفس من العلم، والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، وعلى ذلك قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَنَّنَحَدُنَا هُزُوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَنَاحِيَّاتِ﴾** [البقرة: ٦٧]، والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم وهو الغالب، وتارة لا. كقوله تعالى: **﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءٌ مِّنْ أَنْتَفَعُ﴾** [البقرة: ٢٧٣]؛ فالجهل هنا ليس صفة، بل انتفاء معرفته لهم فحسب.

## ٢٩ - مفهوم الباطل:

من بطأ، (ب ط ل) أصل واحد، وهو ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبنه. يقال: بَطَلَ الشيء يَبْطُلُ بُطْلًا وُبْطُولًا، والباطل ضد الحق، جمعه أباطيل، وقد ورد لفظ الباطل باشتقاته في قرابة ستة وثلاثين موضعًا على خمسة أوجه، هي: التكذيب: **﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾** [السجدة: ٤٢] والإحباط: **﴿لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمِنَّ وَالْأَذَّى﴾** [البقرة: ٢٦٤] والشرك: **﴿وَقُلْ**

جاءَ الْحَقُّ وَهُوَ الْبَطِلُ إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ [الإِسْرَاءَ: ٨١]. والظلم: ﴿وَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَكُمْ بِإِلَيْتِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. ضد الحق: ﴿وَلَا تَنْسِوْ أَنْحَقَ بِإِلَيْتِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]. فالباطل نقىض الحق: ﴿ذَلِكَ يَأْكُلُ وَتَكْبِيْأُ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ويقال ذلك في الله هو الحق وأنت ما يدعوك من دعويه هو الباطل ﴿الحج: ٦٢﴾. ويقال ذلك في المقال والفعال، ويقال في المستقل عما يعود بنفع دنيوي أو آخروي.

### ٣ - مفهوم الهوى:

(هـ و يـ) أصل صحيح يدلـ على خلوـ و سقوـطـ. أصلـهـ الهـوـاءـ بـينـ  
الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ؛ سـمـيـ خـلـوـهـ، يـقـالـ: هـوـىـ يـهـوـيـ: سـقـطـ. وـهـاوـيـ جـهـنـمـ؛ لأنـ  
الـكـافـرـ يـهـوـيـ فـيـهـاـ. وـهـوـىـ النـفـسـ مـنـ الـمـعـنـيـنـ جـمـيعـاـ؛ لـأـنـ خـالـ منـ كـلـ خـيرـ،  
وـيـقـالـ: هـوـيـتـ أـهـوـيـ هـوـىـ. وـهـوـىـ: الـعـشـقـ يـكـونـ فـيـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ وـإـرـادـةـ  
الـنـفـسـ، وـذـهـبـتـ بـهـوـاهـ؛ أـيـ بـعـقـلـهـ.

ورد لفظ الهوى باشتراكاته في ثمانية وثلاثين موضعًا على خمسة أوجه، هي: نزل: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]؛ ﴿فَاجْعَلْ أَفْئَدَهُ مِنْ أَنَّاسٍ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْدِقْهُمْ بِنَ الْشَّرَبَتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. والشهوة: ﴿وَامَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَهُنَّ النَّفَسَ عَنْ الْمَوْىٰ﴾ [النازعات: ٤١، ٤٠]. وهلك: ﴿وَمَنْ يَحْلِلُ عَنْهُ عَصَبِيَ فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]. والجح: ﴿لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَفْيَدُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. والذهب: ﴿فَتَخْطُفُهُ الْأَطْيُرُ أَوْ تَهْوِي يَهُ الْيَمِّ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. والهوى سقوط من علوٍ إلى سفل. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمْهُكَ اوْيَهٌ﴾ [القارعة: ٩]؛ واسمها الهاوية؛ لأنها تهوي ب أصحابها في قعر جهنم وهي إحدى دركات النار. وفي الآية ﴿وَأَفْيَدُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أي

خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والخيرة والدهشة، ومثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَتَرِعَا﴾ [القصص: ١٠]؛ لشدة خوفها على ولديها. والغالب على استعمال المهوی في القرآن هو في مقام الذم، والأهواء ما اشتهرت الأنفس من أمور قلبية معنوية أو جسدية أو مادية، ونهايته سيئة، فالمهوی رغبات تتأثر بجذب النفس نحو الدنيء من الأمور من غير تزوٍ ولا تفكير ولا تعقل، كما أنها أمور تخالف الحق. والمهوی خلاف العلم ﴿وَلَئِنْ أَتَّبَعْتَ هَوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْ يَنْظُرْ لِلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وخلاف الحق ﴿وَلَا تَتَبَيَّنَ هَوَاءُهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

### ثالثاً: مفاهيم الوحي:

#### ١ - مفهوم الوحي:

الواو والخاء والحرف المعتل أصل يدلّ على إلقاء علم في إخفاء. فالوحي: الإشارة والكتاب والرسالة والسريع، والوحي: الصوت والإلهام والكلام الخفي. وتَوَحِّي: أسرع، وشيء وَحْيٌ: عَجِلٌ مسرع، واستوحاه: حَرَكَهُ ودعاه ليرسله واستفهمه، ووَحَاه تَوَحِيَّهُ: عجله.

ورد لفظ الوحي بصيغه تسعاً وسبعين مرّة على خمسة أوجه، هي: الإشارة: ﴿فَنَجَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَيَّحُوا بَكْرَةً وَعَيْشَيَا﴾ [مريم: ١١]، والوسوسة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًا شَيْطَانَ أَلِدِينَ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضٍ رُّحْرُقَ الْقَوْلَ غَرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، والإلهام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنَّ أَرْضَعِيهِ﴾ [القصص: ٧]. والتسخير: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيْهِ أَنْقَلِ﴾ [النحل: ٦٨]. والكلمة الإلهية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [النساء: ١٦٣].

ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وحي، ﴿وَمَا كَانَ لِشَرٍّ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ بِرِسْلٍ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكْمٍ﴾ [الشورى: ٥١]. فالوحي يكون بمشاهدة الرسول وسماع كلامه، كتبليغ جبريل عليه السلام. وبسماع كلام من غير معاينة، كسماع موسى كلام الله. وبالقاء في الروع. أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّي إِلَيْهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٩٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنياء: ٧٣]؛ وحي إلى الأمم بوساطة الأنبياء المرسلين إليهم، قوله: ﴿وَإِذَا أَوْحَيْتَ إِلَى الْحَوَارِيْكَنَ﴾ [المائد: ١١١]؛ وحي بوساطة عيسى عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَنَ لَيُؤْخُونَ إِلَيْهِ أَوْلَاهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ فالوحي النسوب إلى الشيطان وغيره هو بمعنى الإلقاء، فكل ما يُلقى إلى الغير هو وحي. وكما هو وارد في حق الأنبياء ورد في حق الأولياء وسائر الناس بمعنى الإلحاد وفي البهائم بمعنى التسخير.

## ٢- مفهوم الإلحاد:

من هم، (ل هم) أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، إِتَّهَمَ الشيءَ: إِتَّهَمَ اللهَ تعالى خيراً لقنه إياه. والإلحاد ما يلقى بطريق الكسب أو التنميم. وألممه الله تعالى خيراً لقنه إياه. والإلحاد ما يلقى بطريق الكسب أو بطريق التنبية في الروع. وهو ما يbedo في القلب من المعارف بطريق الخير ليُفعَلَ، وبطريق الشر ليُتَرَكَ. وقد ورد الإلحاد مرتّة واحدة في القرآن بلفظه في قوله تعالى: ﴿وَنَفَّسٌ وَمَا سَوَّنَهَا﴾ ٧ فَأَهْمَمَهَا بُؤْرَهَا وَنَقَوْنَهَا ٨ [الشمس: ٨، ٧]؛ أي بين لها ما ينبغي أن تأتي أو تذر من خير أو شر أو طاعة أو معصية. والإلحاد عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن قد ألممه الله رشده الذي حصل له

به الإيمان. فهو تلقّى الخبر من الله بالقذف في القلب من غير نظر ولا استدلال، وهو ما يختلف في قلب المؤمن العاقل من العلم الضروري الداعي للعمل المرغوب فيه لتحقيق الخير والهداية.

ويعبر عنه لغير الرسل، وله الملك، والنفث في الروع. فهو اسم لما يهبس في القلب من الخواطر، فيتتبه ويفهم المعنى بأسرع ما يمكن؛ ولذا يقال فلان ملهم إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يشاهده. والوحي من خواص النبوة، أمّا الإلهام فأعم. ويحصل الوحي بوساطة ملك أو كلام مباشر أو نفث في الروح، أمّا الإلهام فهو الإيقاع في القلب؛ حيث يدرك الحقّ من غير استدلال تامّ ولا نظر مجهد في حجة. والإعلام أعمّ من الإلهام لأنّه قد يكون بتتبّيه وبيان.

### ٣- مفهوم اللطف:

(ل ط ف) أصل صحيح يدلّ على رفق ويدلّ على صغر في الشيء. فاللطف الرفق في العمل، واللطيف من أسماء الله تعالى، وهو بمعنى البرّ بعياده المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق ولطف، أو العالم بخفايا الأمور ودقائقها. واللطيف من الكلام ما غمض معناه وخفى، وتلطفت بفلان: احتلت له حتى اطلعت على أسراره.

ورد لفظ اللطف في ثمانية مواضع، واللطيف هو العالم بما لطف ودق، ﴿إِنَّ رَبَّهُ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ فاللطيف من كان فعله في الدقة والخفاء حيث لا يهتدى إليه غيره، كما في قوله تعالى:

﴿فَإِنَّا يَكُمْ بِرِزْقِ مِنْهُ وَلَا يَتَطَافَ وَلَا يُشَعَّرَ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

واللطيف يعبر عنه بالخفة، واللطائف ما لا تدركه الحواس. وجاء اسم اللطيف مقتناً بالخبر. فاللطيف العالم بخفايا الأمور ودقائقها، أما الخبر فهو العالم بظواهر الأمور ﴿أَلَا يَعْمَلُ مِنْ حَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤].

#### ٤ - مفهوم الرسالة:

(رس ل) أصل واحد مطرد متقاس، يدلّ على الانبعاث والامتداد. فالرسل: السير السهل، أو ما أرسّل من الغنم إلى الرعي. وجاء القوم أرسلاً: يتبع بعضهم بعضاً. والرسول معروف، والمرسلات: الرياح. والترسيل في القراءة: الترتيل. وترسل في قراءته.

ورد لفظ الرسالة باشتقاته قرابة (٥١٣) مرّة على سبعة أوجه، هي: سلطاناً: ﴿أَلَوْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكُفَّارِ نَذِيرًا﴾ [مريم: ٨٣]. والبعث: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلْتَّائِسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]. والفتح: ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]. والإخراج: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ أَنْتَقَةَ فِتْنَةَ لَهُمْ﴾ [القمر: ٢٧]. والتوجيه: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْغَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرَنَ﴾ [الشعراء: ٥٣]. والإطلاق والإفراج: ﴿أَنَّ أَرْسَلَ مَعَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]؛ والإزال: ﴿رَسِيلُ الْسَّمَاءِ عَيْكُوكَ مَدْرَازًا﴾ [نوح: ١١]. فأصل الرسل الانبعاث على تؤدة، يقال: إبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول؛ أي المبعث. ويقال للواحد والجمع: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبه: ١٢٨]، وفي الجمع: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. وجمع الرسول رسول، ورسل الله يراد بها الملائكة، أو الأنبياء. فمن الملائكة في: ﴿إِنَّا رَسُولٌ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]. ومن

الأنبياء: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الْرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

## ٥ - مفهوم النّبأ:

(ن ب أ) قياسه الإثبات من مكان إلى مكان، يقال للذى يُنبأ من أرض إلى أرض نابئ، والنّبأ: الخبر؛ والمُنبئ الخبر. والنّبيء: المخبر عن الله تعالى. والجمع أنّبياء، والاسم النبوة وتنبأ ادعاهما، ونبياً ونبيوءاً: ارتفع. والنّبأة الصوت الخفي. والنّبأ: الخبر الخفي، الذي يكون ذو فائدة عظيمة يحصل به علم وغلوة ظن، ولا يُقال للخبر نبا حتى يتضمن هذه الأشياء، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نباً لأنّ يتعرّى عن الكذب.

ورد لفظ النّبأ باشتقاقاته في مائة وستين موضعاً، وقد جاء بصيغة الماضي والماضي، والجمع والمفرد والفعل والاسم: ولم تخرج كلّها عن دلالتها المعجمية وهي إفاده الخبر العاري عن الكذب. منه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا  
بَتَأْهَاهُ يَهُهُ﴾ [التحريم: ٣]، ﴿قُلْ أَوْتَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]، ﴿وَأَوْجَيْتَهُ  
إِلَيْهِ تَعْنَيْتَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

## ٦ - مفهوم النّبوة:

سبق دراسته مع مفهوم النّبأ. والنّبوة سفاربة بين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنّبيء لكونه منبئاً بها تسكن إليه العقول الذكية. وهو أقل درجة من الرّسول، والنّبوة اصطفاء من الله تعالى وليس كسباً، وعلوّها إلهيّة لا دخل للعلوم البشرية بها.

## ٧- مفهوم الإيمان:

من أمن، (أَمْ نَ) أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب. والآخر: التصديق. يقال: أَمِنَتُ الرَّجُلُ أَمِنًا وَأَمْنَةً وَأَمَانًا، وَأَمْنَتِي يُؤْمِنِي إِيمَانًا، وَالْمُؤْمِنُ هُوَ الْمُؤْمِنُ لِأُولَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالإِيمَانُ: الشفقة وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة. وقد ورد لفظ الأمن باشتراكاته في (٨٧٥) موضعًا على أربعة أوجه، هي: الإقرار باللسان في العلانية: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ أَمَانُوا﴾ [المنافقين: ٣]؛ يعني أقرّوا علانية ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سراً. ومنها التصديق في السرّ والعلانية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلُوا أَصْنَاعَهُنَّ أُولَئِكَ هُنَّ حَسَدُ الْبَرِّيَّةِ﴾ [البيت: ٧] والتوحيد: ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِإِلَيْنَا فَقَدْ حَرَكَ عَمَلَهُ﴾ [المائدة: ٥]. والإيمان مع الشرك: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ شَرِيكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فالإيمان يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرَى وَالصَّدِيقَى﴾ [البقرة: ٦٢]، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرأً بالله وبنبوته وعلى هذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِيَاهُدُوٰ إِلَّا وَهُمْ شَرِيكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ويستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي صلاتكم. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنِ لَنَا وَلَوْ كُنْتَ أَصَدِيقَنَ﴾ [يوسف: ١٧]، بمصدق لنا. وفي قوله تعالى: ﴿أَلَّمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَهَا مِنَ الْحَكِيمَ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَّتِ وَأَطْلَقُوتِ﴾ [النساء: ٥١] مذكور

على سبيل الذم لهم، وأنه قد حصل لهم الأمان بما لا يقع به الأمان، وك قوله: ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنْ أَنَّهُ وَآتَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٦١]. فالإيمان المدعى إلى الله تعالى معناه التصديق الذي هو نقىض الكفر، ويعدى بالباء لأن من دأبهم حمل النقىض على النقىض، وفي مؤمن مع التصديق إعطاء الأمان في المصدق، واللام مع الإيمان في القرآن -لغير الله- لتضمين معنى الاتباع والتسليم. وهو عرفاً: الاعتقاد الزائد على العلم، كما في التقوى، فهو تصديق وانقياد، وهو إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان. فهو معرفة وعلم وعمل وبيقين، كلما زادت درجة العلم زاد العمل، وكلما زاد العمل زاد البيقين. وهو يزداد بطاعة الرحمن وينقص باتباع خطوات الشيطان، ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتحريده الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق، فيكون علمه مقتبساً من مشكاة الوحي، وإرادته لله والدار الآخرة.

## ٨- مفهوم الغيب:

(غ ي ب) أصل صحيح يدل على تستر شيء عن العيون، ومنه الغيب، يقال غابت الشمس تغيب غيبة، والغيب: الشك، وكل ما اطمأن من الأرض وانخفض، وغياب كل شيء ما ترك منه.

ورد لفظ الغيب باشتقاقاته ستين مرّة على (١١) وجهاً هي: الله ويوم القيمة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] والظلمة: ﴿وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُنُّ﴾ [يوسف: ١٠]. وموت سليمان: ﴿فَلَمَّا خَرَّتِيَّتِ الْمِنْٰئِ آنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَيَشُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سباء: ١٤]. الموت: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثُرُ

منَ الْغَيْرِ ﴿الأعراف: ١٨٨﴾]. وخزائن المطر: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. واللوح المحفوظ: «أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَوْ أَخْذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾» [مريم: ٧٨]. والنفس والمال: «فَالصَّدِيقُونَ قَدِينَتُ حَفِظَتُ لِلْغَيْبِ ﴿٣٤﴾» [النساء: ٣٤] ونزل العذاب: «عَلَيْكُمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِيْنِيهِ أَحَدًا ﴿٥٣﴾» [الجِن: ٢٦]. والظن: «وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾» [سبأ: ٥٣]. والغيبة: «وَلَا يَحْسَسُوا وَلَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٣]. والوحى: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَيْنِينَ ﴿٢٤﴾» [التوكير: ٢٤].

فالغيب كلّ ما استترت عن العين، واستعمل في كلّ غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علن الإنسان بمعنى الغائب. قوله تعالى: «عَلَيْكُمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ ﴿الرعد: ٩﴾؛ أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه. والغيب في قوله: «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴿البقرة: ٣﴾ ما لا يقع تحت الحواس ولا تقضيه بداهة العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، وقيل: يؤمّنون إذا غابوا عنكم وليسوا كالمنافقين، وعلى هذا قوله تعالى: «لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخْافُهُ بِالْغَيْبِ ﴿المائدة: ٩٤﴾، «ذَلِكَ عَلَيْكُمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَدَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾» [السجدة: ٦]، «عَلَيْكُمُ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِيْنِيهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾» [الجِن: ٢٦]. قوله في صفة النساء الصالحات: «حَفِظَتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفَظَ اللَّهُ ﴿النساء: ٣٤﴾؛ أي لا يفعلن في غيبة الزوج ما يكرهه. والغيب على قسمين: قسم نصب عليه دليل، فيمكن معرفته كذات الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلية وأحوال الآخرة، وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته، «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

## ٩ - مفهوم القضاء:

من قضى، القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام أمر وإنقاذه وإنفاذه لجهته. والقضاء الحكم؛ وسمى القاضي بذلك، لأنه يحكم الأحكام وينفذها. والقضية هي الصنع والختم، والبيان، والقاضية: الموت، وقد ورد لفظ قضاء باشتقاقاته ثلاثة وستين مرة على عشرة أوجه، هي: وصى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والخبر: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ بَيْنَ إِشْرَاعِكَ لِتَفْسِيدِهِ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]. والفراغ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الْأَصْلَوَةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَقْعَدْتُمْ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، والفعل: ﴿لِيَقْعِنَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَقْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]. والموت: ﴿فَوَكَزْهُ مُؤْمِنٌ فَقَضَنَ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. والوجوب: ﴿فُضِّلَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَّكَانِ﴾ [يوسف: ٤١].  
وكتب: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مرim: ٢١]، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا﴾ [٦١]  
[مرim: ٧١]. وأتم: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩]؛ الفصل: ﴿وَقَضَى  
بِيَنْهُمْ بِالْحَقِيقَةِ﴾ [الزمر: ٦٩]، و[الزمر: ٧٥]، و[النمل: ٧٨]. والخلق: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ  
سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]. فأصل القضاء الحسم والوجوب، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ بَيْنَ  
إِشْرَاعِكَ لِتَفْسِيدِهِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ أي أعلمناهم، والختم وثيق الصلة بالأمر  
المقطوع به، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]؛ أي أخبرناه. والقضاء من  
الله تعالى أخصّ من القدر، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.

### الفصل الثالث:

## مفاهيم الطرق المعرفية: العقل والحس

أولاًً: مفاهيم العقل:

١ - مفهوم العقل:

(ع ق ل) أصل واحد، يدلُّ على حُبْسَةٍ في الشيءِ، قالُ الْخَلِيلُ: العقلُ نقيضُ الجهلِ يقالُ: عَقْلٌ بِعَقْلٍ عَقْلًا، وَجَمِيعُهُ عُقُولٌ. وَرَجُلٌ عَاقِلٌ وَقَوْمٌ عَقَلَاءٌ وَعَاقِلُونَ، وَرَجُلٌ عَقُولٌ إِذَا كَانَ حَسْنَ الْفَهْمِ وَافِرُ الْعُقْلِ، وَمَا لَهُ مَعْقُولٌ؛ أَيْ عَقْلٌ. وَالْعَاقِلَةُ الْقَوْمُ تَقْسِمُ عَلَيْهِمُ الدِّيَةُ فِي أَمْوَالِهِمْ حِينَ قُتْلُ الْخَطَأِ، وَهُمْ بُنُوءُ الْقَاتِلِ، وَالْمَعْقُولُ: الْحَصْنُ، وَالصَّدَقَةُ يُقَالُ لَهَا عَقْلًا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: عَقْلُ الظَّبَابِ يَعْقِلُ عُقُولًا، إِذَا امْتَنَعَ فِي الْجَبَلِ، وَعَقْلُ الطَّعَامِ بِطْنَهُ إِذَا أَمْسَكَهُ، وَاعْتَقُولُ لِسَانَ فَلَانَ إِذَا احْتَبَسَ عَنِ الْكَلَامِ. وَالْعُقْلُ لِهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ، هِيَ الْعِلْمُ بِصَفَاتِ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَسْنَهَا وَقَبْحَهَا وَكِبَارَهَا وَنَقْصَانَهَا، أَوْ الْعِلْمُ بِخَيْرِ الْخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الْشَّرِينِ، وَالْمَعْقُولُ مَا تَعْقِلُهُ فِي فَؤَادِكَ، وَسُمِّيَ الْعُقْلُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْقِلُ صَاحِبَهُ عَنِ اتِّبَاعِ شَهْوَاتِهِ، وَقَدْ وَرَدَ لِفَظُ الْعُقْلِ بِصَيْغَهِ تَسْعَاً وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَاسْمُ الْعُقْلِ لَمْ يَرِدْ قَطُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِنَّمَا يَوْجِدُ مَا تَصْرِفُ مِنْهُ نَحْنُ: "عَقْلُوهُ" وَرَدَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَ"تَعْقِلُونَ" وَ"يَعْقِلُونَ" سَتَّاً وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، "نَعْقُلُ" وَ"يَعْقُلُهَا" مَرَّةً وَاحِدَةً لِكُلِّ لِفَظٍ، فَكُلُّ الصَّيْغِ فَعْلَيْهِ.

وَوَرَدَ بِصَيْغَهِ "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، ﴿وَلَمْ يَنْخُلُفُ الْأَيْنَ وَأَنَّهَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةَ لِتَوْمِ يَعْقِلُونَ﴾

٦٧ [النحل: ٦٧]؛ والعقل صفة أكثر منه مصدراً في القرآن، والدليل هو نفيه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]؛ أي لا يمنعهم عقلهم من القبائح، ولا يردعهم عن الفواحش، وقيل: لا يعقلون ماهم من ثواب لو استجابوا لله ورسوله. فالنبي لا يعني انتفاء العقل، بل النفي يقع على درجة الاستجابة والامتثال، فهم يفهمون عن الله ورسوله، لكن لا يستجيبون إما برأً أو لعدم اقتناعهم، والحججة قائمة عليهم بالفهم لا بالاقتناع. وسمى العقل عقلاً لأنَّه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضي فرطاً في الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير. والعقل عند أهل النظر جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل واحد بقوله أنا، وقيل: هو نور في القلب يعرف الحق والباطل. وهو على أربعة معانٍ: الأول: الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم، والثاني: ما وضع في الطياع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحبيلات. والثالث: علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً، والرابع: أنَّ منتهى قوته الغريزية إلى أن نcum الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، والناس يتفاوتون في هذه الأحوال. فالعقل هو القوة المتهيئة لقبول وقيمة المعلوم، ويقال للعلم كذلك عقلاً.

## ٢- مفهوم الحجر:

(ح ج ر) أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء. فالحجر حجر الإنسان وقد تكسر حاؤه، ويقال: حجر الحكم على السفيه حيناً، منعه من التصرف في ماله. والعقل يسمى حيناً لأنَّه يمنع من إتيان ما لا ينبغي، وسمى عقلاً تشبيهاً بالعقل. وقد ورد في القرآن الحجر بمعنى العقل مرة

واحدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، الذي عقل. وذاك أنّ الأصل في الحجر المنع كما الأصل في العقل، فاجتمعا في معنى الإمساك.

### ٣- مفهوم النهي:

(ن هي) أصل صحيح يدلّ على غاية وبلغ، والنهاية العقل لأنّه ينهي عن قبيح الفعال، والجمع نهي، وقيل سمّي العقل بذلك لأنّه يتنهى إلى ما أمر به، ونهاية كلّ شيء غايته والنهاية كالغاية والإنهاء: الإبلاغ. ورجل منهاة: عاقل حسن الرأي فهو نهي ونه من قوم تهدين.

ورد اللفظ مجموعاً في موضعين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولَئِكَ الظَّاهِرَاتِ﴾ [طه: ٤٥] أي لذوي العقول. وخاصّ أولي النهي بذلك لأنّهم المستفعون بها. فحقيقة المستفعون بآيات الله هذه هم المتهاونون، لإدراكهم الأدلة العقلية التي أوردها الله تعالى حجة عليهم بيقين بعثهم بعد الموت، كما بعث النبات بعد موته الأرض وكما أنشأهم من العدم. فالنهاية هي العقول الناهية عن القبائح المتنهية إلى غاية الأوامر الإلهية.

### ٤- مفهوم القلب:

(ق ل ب) أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على خالص الشيء وشريفه، والآخر على ردّ الشيء من جهة على جهة. فالأول: قلب الإنسان وغيره، سمّي لأنّه أخلص شيء فيه وأرفعه؛ والثاني: قلب الشوب قلباً، والقلب: يُقلّب الأمور ويختال لها، وهو الفؤاد أو أخص منه.

ورد لفظ القلب في الإنسان في القرآن مائة وأثنين وثلاثين موضعًا على ثلاثة أوجهه، هي: العقل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. والرأي: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَيْعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَّ﴾ [الحشر: ١٤]؛ فالقلب يطلق على المضعة الصنوبرية، سميت بذلك لما فيها من العقل والرأي وسرعة الخواطر والتلون في الأحوال، وهو النفس المدركة العالمة من الإنسان للمطالب والمعاتب والمعاقب. قال الحكماء حينما ذكر الله القلب بإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذكر الصدر بإشارة إلى سائر القوى من الشهوات والهوى والغضب ونحوها. والقلب يعبر عن المعاني التي تختص به من الروح والعلم والشجاعة والخوف والمرض.

وقد وردت له أوصاف كثيرة في القرآن الكريم، منها: الفظ، الغليظ، السليم، المتكبر، الجبار، المنيب، الآثم، المطمئن، المريض، الربط، الرعب، التقوى، التقلب، الاشمئزاز، القفل، السكينة، الرأفة، الرحمة، الوجوف، الصغو، القسوة، الكسب، الألفة، التعمد، العقد، الغل، الشرب، الحسرة. ومن هذه الأوصاف ما يعد أوصافاً علمية مثل: الغفلة، الهدایة، الفقه، الطبيع، الزين، العقل، العمى، الختم، الطهارة، التزيين، الإيمان، الغلق، الارتياح، النفاق. وأغلب ما ورد من القلب في المعنويات والأخلاق. فورد مفرداً في تسعة عشر موضعًا، ومتى مرّة واحدة، ومائة وأثنى عشرة مرّة مجموعاً، وجاء في أغلبها دالاً على العقل والرأي الراجح ومصدر المعرفة والفهم والفقه ومحل الإدراك والتميز، وهو محل الجهل والظنّ والغفلة والارتياح والشكّ والطمأنينة والإيمان والإسلام والكفر والنفاق.

## ٥- مفهوم اللب:

(ل بـ) أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول ألب بالمكان إذا أقام به، يلب إلباباً. والتلية قوله: لبيك، قالوا: معناه أنا مقيم على طاعتك. أمّا المعنى الآخر: اللب معروف من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه. ولذلك سمي العقل لباً، ورجل لبيب؛ أي عاقل. واللب: القلب والعقل وموضع القلادة من الصدر. وقد ورد بصيغة الجمع فقط في ستة عشر موضعاً، كلها بمعنى العقل الراجح الذكي. فاللب خالص الشيء، ولا يوصف به في القرآن إلا أهل الإيمان الذين هم خاصة عباد الرحمن: ﴿يَعْلُوْنَ امَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا اُؤْلُوْا الْأَلْبَيْ﴾ [آل عمران: ٧]. وذوي الألباب اختصوا بصفات هي التقوى والتذكر، فاقترن التقوى بذوي الألباب في أربعة مواضع، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّمُ فِي الْفَضَّاصلِ حَوَّةٌ يَتَأْوِلُ الْأَلْبَيْ لِعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ [آل بقرة: ١٧٩]. واقتربت الذكرى مع أولى الألباب في عشرة مواضع منها: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا اُؤْلُوْا الْأَلْبَيْ﴾ [آل بقرة: ٢٦٩]، ﴿إِنَّمَا يَذَّكَّرُ اُؤْلُوْا الْأَلْبَيْ﴾ [الرعد: ١٩]. واقتربت العبرة معه في: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبَرَةٌ لِّاُولِي الْأَلْبَيْ﴾ [يوسف: ١١١].

وإن وظيفة اللب في القرآن الكريم هي التذكير المؤدي إلى التقوى، والعبارة المترتبة عن التذكرة المنتجة للاعتبار والامتثال بالتقوى. ولم يرد لفظ اللب في القرآن كله إلا مجموعاً دالاً على أنه خاصّة الإنسان، وفائدة، وهو حياته العقلية المتمكن والاعتبار والتقوى حتى جعل أصحابه خاصّة

الأولياء، فاللب العقل الخالص من الشوائب وحالص المعاني الإنسانية، وقيل هو ما زكي من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبًا؛ لذا علقت الأحكام التي لا يدركها إلا ذوي العقول الركبة من أولي الألباب.

## ٦- مفهوم الفؤاد:

(ف أ د) أصل صحيح يدل على حمي وشدة حرارة. فأدّت اللحم: شويته. والفؤاد، سمي بذلك لحرارته. وافتاد فلان: أصاب فؤاده الخوف، وهو للقلب مذكور، فالقلب موجود داخل الفؤاد، والمفاد: الحديدية التي يُفأد بها اللحم. وقد ورد الفؤاد في ستة عشر موضعًا من القرآن الكريم، بمعنى القلب، وقيل: الفؤاد وسط القلب، وقيل: غشاء القلب، وختلف في تردادهما. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا شَكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]. فالقلب لم يجمع مع قوى المعرفة بل مع الأدوات الأذن والعين، وإن ذكر السمع والبصر فمتفق على أن المراد الجارحة لا قوتها. وقد جمع الفؤاد مع غيره في مقام المدح فقط كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. والأفئدة جمع فؤاد وأصله القلب ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا.

## ٧- مفهوم الصدر:

(ص در) أصلان صحيحان: أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره. فالأول قوله: صدر عن الماء، أمّا الآخر فالصدر للإنسان والجمع صدور. والصدر أعلى ومقدم كل شيء وأوله وكل ما واجهك، وصدر الوادي: أعلىه ومقادمه.

ورد لفظ الصدر بمعنى صدر الإنسان في أربعة وأربعين موضعًا كلها  
 كان فيها محلاً للإرادة والشهوات والإيهان والكفر والعلم والمعرفة. ولم يُرد به  
 الجارحة، وحيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذكر  
 الصدر فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشهوة والمحوى والغضب  
 والخوف والرعب. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>٤٦</sup>  
 [الحج: ٤٦]؛ أي العقول، كما في قوله: ﴿وَلَيَعْجِزَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ  
 الصُّدُورِ﴾<sup>٤٧</sup> [آل عمران: ١٥٤]، فالتمحیص للقلوب، والتفریق في المبني  
 والتركيب دليل على افتراق في المعنى لاختلاف الوظيفة، فالصدر مركز الحفظ  
 والذاكرة والإسلام والكفر. والقلوب مراكز العقل والتمیز والتذکیر  
 باسترجاع ما في الذاكرة والحافظة التي مقرّها الصدر، قال تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ اللَّهُ  
 يَأْعَمُ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَلَمَيْنِ﴾<sup>٤٨</sup> [العنکبوت: ١٠]، وأدلّ منها قوله: ﴿لَمْ هُوَ إِيمَّا<sup>٤٩</sup>  
 فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنکبوت: ٤٩]، وأعطيت للصدر في القرآن من  
 المحفوظات والعقائد، واقترب بالانشراح ﴿وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ يَالْكُفَّارِ صَدَرًا﴾ [الحل]:  
 [١٠٦]. وقد وصفت الصدر بأنها تخفي وتخون وتحصر، وهذه الصفات لا  
 تكون إلا لمعارف وعلوم واعتقادات. والصدر محل الوسوس: ﴿أَلَّذِي  
 يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الْكَافِرِ﴾<sup>٥٠</sup> [الناس: ٥]، فالشیطان لا يوحى إلا بمعارف  
 وظنون ليضل، كذلك من صفات الصدر الضيق والغل، وهو مركز الحاجات،  
 والرهبة، والقلب مركز الرعب. وهو محل الكبُر والانشراح والشفاء؛ ووصف  
 القلب بأنه سليم ويمرض، والصدر بالابتلاء والقلب بالتمحیص.

## ٨ - مفهوم الفقه:

(ف ق ه) أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به، وكل علم بشيء فهو فقه. ثم اختص بكل عالم بالحلال والحرام، وغلب على علم الدين لشرفه. فالفقه هو الفهم بالعلم في الصنعة والفتنة والبيان والفهم. وقد ورد في القرآن من مادة الفقه الفعل لا المصدر في عشرين موضعًا، وهو أخص من العلم؛ ﴿قَالُوا يَتَسْعَيْبُ مَا نَفَقَةً كَثِيرًا مِمَّا نَقْوُلُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي ما نفهم وجه استدلالك ولم نقنع بحججك، وإنما قامت عليهم الحجة بخطابه؛ فهم أدركوا معنى كلامه وفهموه؛ لكن لم يقنعوا بأنه أصح مما عندهم. والحججة تقوم بالفهم لا بالاقتناع. والفقه من أعمال القلب: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبه: ١٢٧]، والتفقة لم يرد إلا للكلام والقول والحديث ﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَاحْمُلْ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي﴾ [١٧] يَفْقَهُونَ قَوْلِي [١٨] [طه: ٢٧ - ٢٨]، ﴿فَإِلَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [١٧] [النساء: ٧٨]. أما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَسْنَدَهُو فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبه: ١٢٢]، التفقة طلب للفقه الشرعي؛ أي التخصص لمعرفة الأحكام الشرعية. فالآية تحث المسلمين على أن يتفرغ أناس منهم؛ لطلب العلم الشرعي ويفقهوها أسراره، ثم يُعْلِمُوا غيرهم، وينذروا قومهم.

## ٩ - مفهوم الفهم:

(ف ه م) علم الشيء. وعرفه بقلبه، وفَهَمَهُ: فِهِمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، والفَهْمُ: تصوّر عميق للمعنى من لفظ المخاطب عند السَّمَاع أو الإشارة.

وقد ورد من المادة الماضي المضعف في ﴿فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكَلَّا إِلَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا﴾ [الأبياء: ٧٩]، فَهَمَهُ: مَكِّنَهُ من أَنْ يَفْهَمُهُ. وقد خَصَ اللَّهُ تَعَالَى سَلَيْمانَ بِفَهْمِ الْحَقِّ فِي الْوَاقِعَةِ الَّتِي شَارَكَ فِي الْحُكْمِ بِهَا دُونَ دَاوَدَ، فَأَعْطَاهُ مِنْ قُوَّةِ الْفَهْمِ مَا أَدْرَكَ بِهِ إِصَابَةُ الْحُكْمِ بِإِلَهَامِ إِلَهِيٍّ أَوْ وَحْيٍ خَصَّ بِهِ، فَالْفَهْمُ سُرْعَةُ الْفَطْنَةِ وَتَوْقِدُهَا، وَقِيلُ: هُوَ هَيَّةٌ لِلنَّفْسِ يَتَحَقَّقُ بِهِ مَا يَكُونُ حَسَنًا وَمَا يَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ؛ يَتَصَوَّرُ الشَّيْءُ مِنْ لَفْظِ الْمَخَاطِبِ، فَهُوَ تَصَوُّرٌ عَمِيقٌ لِلْمَعْنَى مِنَ الْخُطَابِ عَنْ السَّمْعِ أَوِ الإِشَارَةِ. وَقِيلُ إِدْرَاكٌ خَفِيٌّ دَقِيقٌ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ فِي الْفَهْمِ مُتَفَوِّتٌ وَلَيْسَ كُلَّ مَا يَفْهَمُ يَعْلَمُ بِلِّلَادِ يَظْنَنُ وَيَخْمَنُ؛ فَهُوَ تَصَوُّرُ الْمَعْنَى مِنْ لَفْظِ الْمَخَاطِبِ، وَيُسْبِقُ فِي مَرَاتِبِ الْعِلْمِ التَّذَكُّرَ، ثُمَّ الذَّكْرَ، بَعْدَهُمَا يَأْتِي الْفَهْمُ الَّذِي يَلِيهِ الْفَقْهُ.

## ١٠ - مَفْهُومُ الْإِحَاطَةِ:

مِنْ حُوطَ (حُ وَ طُ) كَلْمَةٌ وَاحِدةٌ، وَهُوَ الشَّيْءُ يَطْوُفُ بِالشَّيْءِ، مِنْ حَاطَهُ حُوطًا، وَحَاطَهُ بِمَعْنَى: حَفْظَهُ وَصَانَهُ وَتَعَهَّدَهُ، وَالْحَاطَهُ هُوَ الْجَدَارُ. وَأَحَاطَ بِهِ: عَلِمَهُ، وَقَدْ وَرَدَ الْلَّفْظُ بِصِيغَهِ ثَلَاثًاً وَعِشْرِينَ مَرَّةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجَهٍ، هِيَ: الْعِلْمُ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجَنِّ: ٣٨]؛ ﴿وَلَا يُجِيِّطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عَلَيْهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البَقْرَةِ: ٢٥٥]. وَالْجَمْعُ: ﴿وَأَلَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَفَّارِ﴾ (١٦) [البَقْرَةِ: ١٩]. وَالْإِحْلَالُ: ﴿وَأَحَاطَتِ بِهِ خَطِيْثَتُهُ﴾ [البَقْرَةِ: ٨١]. وَأَجْبَطَ بِشَرَرِهِ﴾ [الْكَهْفِ: ٤٢]. وَالْأَحْتَوَاءُ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادُقُهُمَا﴾ [الْكَهْفِ: ٢٩]، ﴿وَلَئِنْ جَهَّمَ مَجْمِعَةً بِالْكَفَّارِ﴾ (٥٤) [الْعِنكَبُوتِ: ٥٤]. وَالْحَفْظُ: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (٥٤) [فَضْلَتِ: ٥٤]. فَالْإِحَاطَةُ هِيَ الْإِحْدَاقُ بِالشَّيْءِ وَالْأَشْتِهَالُ عَلَيْهِ،

وهو مأخوذ من الفعل الرباعي اللازم والثلاثي حوط، فمن الرباعي **﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ يُحْطِبْ بِهِ﴾** [النمل: ٢٢]؛ والإحاطة بالأمر علمًا: أن يعلم وجوده وحسنه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون هو منه وذلك ليس إلا من الله تعالى. قال الله تعالى: **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحْبِطُ عَلَيْهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾** [يونس: ٣٩] فنفي ذلك عنهم، والله أحاط بكل شيء علمًا دونهم، فتكذبواهم من عجزهم وجهلهم وضعف حجتهم في رد القرآن، فلو أحاطوا به علمًا وفهموه حقًّا فهمه لأذعنوا بالتصديق له، وقوله: **﴿وَكَيْفَ تَصِيرُونَ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحْطِبْ بِهِ، خُبْرًا﴾** [الكهف: ٦٨] تنبية على أنَّ الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة بالشيء علمًا، وذلك صعب إلا بفيض إلهي.

## ١١ - مفهوم التمحيق:

من محض (م ح ص) أصل واحد صحيح يدلّ على تخلص شيء وتنتفيه. ومحضه محسناً: خلصه من كلّ عيب. ومحض الذهب بالنار: أخلصه مما يشوبه. والتمحيق: التنقية والاختبار والابتلاء. وقد ورد اللفظ مررتين **﴿وَلِيمَحَصَ اللَّهُ أَذْنِينَ أَمَّا مُؤْمِنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفَّارُ﴾** [آل عمران: ١٤٧]. **﴿وَلِيَتَّقَىَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيَمَحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾** [آل عمران: ١٥٤]. فهو تعالى يمحض المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم بابتلاعهم بالشدائد. والآية الأخرى فكان التمحيق للقلوب، مصدر المعرفة وذاك بالاختبار؛ فالتمحيق يقال في إبراز شيء عن ما هو متصل به، وهو هنا كالتزكية والتطهير والفحص، غير أنَّ الفحص يقال في إبراز شيء عما هو منفصل عنه، والمحض عما هو متصل به.

## ١٢ - مفهوم التمييز:

من ميز (م ي ز) أصل صحيح يدل على تريل شيء من شيء. وميّزته تمييزاً وميّزته ميّزاً وامتازوا تمييز بعضهم من بعض. فميّز الشيء فضل بعضه عن البعض، فهو بمعنى الفرز والعزل.

ورد اللفظ في أربعة مواضع بصيغة الفعل فقط، كلها بمعنى الفرز والعزل، فالتمييز قوة عقلية لإدراك الفروق واستيعاب المتشابه. بمعنى أن المتكلّم يميّز هذا الجنس من سائر الأجناس التي توقع الإبهام. ويبيّن التمييز عند الفقهاء وقت عرفان المضار من المنافع. والتمييز بين المشبهات نحو ﴿لَيُمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الظَّيْ﴾ [الأنفال: ٣٧]. وفي المختلطات نحو ﴿وَأَتَنْزَلُوا إِلَيْهِمْ أَيْمَانَ الْمُتَجَرِّمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

## ١٣ - مفهوم التفكّر:

(ف ك ر) تردد القلب في الشيء، يقال: تفكّر إذا ردّد قلبه معتبراً. وقيل: إعمال النظر في الشيء؛ ورجلٌ فكيّر: كثير الإقبال على التفكّر. وقد ورد لفظ التفكّر بصيغه ثانية عشرة مرّة، والتفكّر تصرّف القلب بالنظر في الدلائل فيما يمكن أن يحصل له فيه صورة؛ لذا كان الله تعالى متنهاً عن التفكّر في ذاته. ولم يرد في القرآن اللفظ بالمصدر، لكن ما تصرّف منه من أفعال، والتفكّر والتذكّر والتدبّر والتأمل والاستبصار والاعتبار معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتفرق في شيء. وقد نوع القرآن بين الآيات الآمرة بالتفكير في ميادين شتى كالخلق، من خلق السموات والأرض وخلق ما بينهما وما فيها: ﴿أَلَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا

حَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ ﴿[آل عمران: ١٩١]. كما دعا إلى التفكّر في اختلاف ألوان الناس وتعدّد لغاتهم مع أنّ خلقهم من أصل واحد: ﴿وَمَنْ إِيمَانِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاحًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [الروم: ٢١] فجعل الزواج والتناسل وإلقاء المودة بين طرفين مختلفين من الآيات التي يجب التفكّر فيها.

#### ٤ - مفهوم التدبر:

من دبر (د ب ر) أصل واحد، وهو آخر الشيء وخلفه، وتشذ عنه كلمات يسيرة. والدُّبُرُ خلاف القبل. والتدبر أن يُدبر الإنسان أمره، والتدبر عتق الرجل عبده أو أمته عن دُبُرِه. والتَّدَبَّرُ النظر في عاقبة الأمر. والتفكير فيه. وقد ورد لفظ دبر في ستة وأربعين موضعًا على ستة أوجه، منها: الظهور: ﴿فَلَا تُؤْلُهُمْ أَذْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥]؛ و﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ زُبُرُهُ﴾ [الأنفال: ٦]. وأديان الآباء الباطلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَى أَذْبَارِهِمْ﴾ [محمد: ٢٥]، وعقيب الشيء: ﴿وَمَنْ أَلَّى فَسَيْمَهُ وَأَذْبَرَ الشَّجُورَ ﴾ [ق: ٤٠]. والذهب: ﴿وَالْأَلْيَلُ إِذَا ذَبَرَ ﴾ [المدثر: ٣٣]. والأخير: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأعراف: ٤٥]؛ أي أصلهم إلى آخرهم. والتفكير: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَاهُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. وتصريف الأمور: ﴿وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَسِيقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يوحنا: ٣١]، ﴿يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ كُلِّ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]. والتدبر هو النظر في عواقب الأمور، وتدبر الأمر تأمله، والنظر في أدباره، وما يؤول إليه في عاقبته ومتهاه، ثم استعمل في كل تأمل. والتدبر في القرآن ورد بصيغتين "يتدبرون" و"يدبروا".

## ١٥ - مفهوم التذكرة:

من ذكر (ذكراً) أصلان عندهما يتفرع كلّ الباب. الأول: هو الذّكر خلاف الأنثى. والآخر: ذَكَرْتُ الشيءَ خلاف نسبيته، ثمّ حصل عليه الذّكر باللسان. والذّكر: العلاء والشرف، والذّكر: الحفظ للشيء، والتذكرة ما يستذكر به الحاجة، والاستذكار الدراسة والحفظ.

ورد لفظ ذكر باستقاقاته قرابة مائتين وأربع وسبعين مرّة على ثمانية عشر وجهاً، هي: الخبر: ﴿هَذَا ذَكْرٌ مِنْ مَّيِّهِ وَذَكْرٌ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الأنبياء: ٢٤] والوحي: ﴿أَلَقَّ الْذِكْرَ عَلَيْهِ مِنْ يَبْيَنَا﴾ [القمر: ٢٥]. والقرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. والتوراة: ﴿فَسَنَثُو أَهْلَ الذِكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]. واللوح المحفوظ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الْزَّيْرَوْرِ مِنْ بَعْدِ الْذِكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. والبيان: ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الْذِكْرِ﴾ [ص: ١]؛ والتفكير: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّتَكْتَبَ﴾ [ص: ٨٧]؛ والصلة: ﴿فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. والتوحيد: ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤]. والشرف: ﴿وَإِنَّمَا لَذِكْرُ لَكَ وَلَقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، والموعظة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. وإظهار الأمر: ﴿أَذَكَرْتُ فِي عِنْدِ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]؛ والتذكير بعد البيان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَنِحَشَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ لِذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. والتكلّم: ﴿إِذَا قَضَيْتُمُ الْأَصْلَوَةَ فَذَكَرُوا اللَّهَ قِيمًا وَمُعْوِدًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. والعمل الصالح: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. والحفظ: ﴿خُذُوا مَا أَتَيْتُكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣]. وفيه: الذكر بمعنى الرسول.

وقد جاء في التصارييف تفسير الذكر على ستة عشر وجهاً في القرآن الكريم وذلك لضرورة تحصيص الدلالة تأدية للمعنى المراد، فقد جاء دالاً على الطاعة والعظة والقرآن والبيان والخبر، وجاء بمعنى التفكّر، وجاء من المادة لفظ "مذكّر"، وبمعنى العلم في قوله تعالى: ﴿فَسَتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [غافر: ٤٤]، وبمعنى الدراسة والحفظ في [البقرة: ٦٣]. أمّا التذكير فهو محاولة استرجاع الصور المحفوظة، وهو بالحقيقة التفات النفس إلى عالمها وتكون صورة له في الذهن يُشهر بها، وضدّه الغفلة والنسيان. والتذكير يسبق الذكر، والتفكّر والتذكّر متقاربان، لأنّ التفكّر تأمل في ما علم، والتذكّر استحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد الذهول عنه أو غيابه كيما يتفكّر فيه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَقْوَا إِذَا مَسَّهُمْ طَلاقٌ مِّنَ الشَّيْطَنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فالتفكير يحصل العلم، والتذكّر يحفظه ويزيد عليه. وكل الصيغ وتراتيب الآيات التي فيها لفظ التذكير تنحصر في بيان أمور العقيدة، والمقارنة بين أهل الإيمان والكفر، والنظر في عواقب الأمور ومحاسبة النفس. وتأتي في الأغلب مرتبطة بأولي الألباب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدَكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَيْ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَيْ﴾ [الرعد: ١٩].

## ١٦ - مفهوم الحفظ:

(ح ف ظ) أصل واحد يدل على مراعاة الشيء. يقال: حفظت الشيء حفظاً، وحفظ القرآن: استظره، والله هو الحفيظ: الذي لا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض، والملائكة الحفظة: الذين يحصون أعمال العباد من الملائكة. والحفظ نقىض النسيان.

ورد اللفظ باشتراقاته قرابة أربع وأربعين مرّة على ستة أوجه، هي:  
العلم: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. والصيانة  
والغفة: ﴿فَالَّذِي لِحَدَثَ قَاتَلَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].  
والتعهد والحماية: ﴿وَجَعَلَهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارِبٍ﴾ [الصفات: ٧]. والشفقة:  
﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا عَكْدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]. والضمآن:  
﴿فَأَزَّسْلَ مَعَنَّا أَخَانَا نَكْتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]. والشهادة:  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَهُوَفَلَيْنَ﴾ [الأنفطار: ١٠]. فالحفظ ضد النسيان،  
وهو ضبط الشيء في النفس، أو هيئة للنفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه  
الفهم، والحفظ من أسماء الله تعالى وهو الحافظ؛ فعالب بمعنى فاعل، ﴿فَأَلَّ  
أَجْعَلَنِي عَلَى حَزَّائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]؛ والحافظة من أسباب  
قوّة العقل؛ وضعفها ضعف في الذاكرة ونقص في المعرفة؛ والحفظ استحكام  
المعقول في العقل، يلي الشعور والإدراك ويعقبه التذكر والذكر في مراتب  
وصول العلم. وقد ذم الله من يحفظ ما لا يفهم ولا يعي، حتى وصفوا بالحمار  
يحمل أسفاراً، أي يشق ظهره بكتب لا يدرى ما هي، كما أنّ العلم من غير  
حفظ بناء على جرف هاو، وضعف في مقام الجدال، وقد ذم من يدعى العلم  
وهو لا يستوعب منه إلا الشتات؛ فالعلم ما حوى الصدر لا ما ملا القمطر.

## ١٧ - مفهوم الوعي:

(وعي) الكلمة تدلّ على ضمّ شيء. ووعيت العلم أعيه واعياً؛ حفظه  
وجمعته. والوعيُّ: حفظ القلب، والوعيُّ: الحافظ الكيس الفقيه.

ورد باشتراقاته سبع مرّات على ثلاثة أوجه، هي: الأواني الحافظة:

﴿فَبَدَا يَأْوِعَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءَ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦]. والكتهان: ﴿بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الاشتقاق: ٢٣]. والتدبر والتذكرة: ﴿إِنْجَعَلَهَا لَكُمْ ذِكْرًا وَتَعِيَّهَا أَذْنُ وَعِيَّةً ﴿١٦﴾﴾ [الحقة: ١٢]. فالوعي يأتي بمعنى الجمع والحفظ، وبمعنى الوعاء، الذي يحفظ فيه الحاجيات من ذلك في الآية: ﴿وَمَعَ فَوَاعِنَ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٨]؛ وجاء بمعنى التفكير والتدبر لما يحفظ في سورة الحقة: ١٢؛ بمعنى أذن عاقلة لما يقال، حافظة له، فالوعي يجمع بين الحفظ والفهم، وهو أن تحفظ في نفسك الشيء بعد علمه وفهمه.

## ١٨ - مفهوم الوجودان:

(وج د) يدل على أصل واحد، وَجَدْتُ الضالةِ وِجْدَانًا، ووُجِدتُ زِيدًا كريماً: علمت. وللوُجْدان دلالة الارتفاع والظهور؛ وَجَدْتُ، من أفعال القلوب بمعنى علمت ويتعدى إلى مفعولين. وقد ورد لفظ وجد بصيغه في مائة وستة مواضع من القرآن الكريم، وهو على وجهين: وجدان الضالة: ﴿كَلَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. وعلم: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ الْأَنَاسَ عَلَى حَيَوَنٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿قَالُوا حَسِبْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤]. وللفظ "وَجَدْنَا" من الألفاظ المشتركة التي تدل على أكثر من معنى. والوجود أضرب: وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو وجدت طعمه أو صوته. وجود بقوّة الشهوة نحو وجدت السبع. وجود بقوّة الغضب كوجود الحزن والسطح. وجود بوساطة العقل، كمعرفة الله تعالى ومعرفة النبوة، الوجود بمعنى العلم.

## ١٩ - مفهوم النسيان:

من نسي (ن س ي) أصلان صحيحان: يدلّ أحدهما على إغفال الشيء، والثاني: على تركه. فالأول نسيت الشيء إذ لم تذكره، نسياناً، ومنه النسي، والنسيان، وهو ضد الحفظ. وقد ورد لفظ النسيان بصيغه خمساً وأربعين مرّة على وجهين: الترك: ﴿فَإِذَا قَاتَلُوكُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ بِمَا يَرَوْنَ هُنَّ أَكْفَافٌ وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].  
وضد الحفظ: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَيْنَا أَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَسَوَّى لِقَاءَ يَوْمِهِ هَذَا﴾ [طه: ١١٥].  
وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى؛ فهو ما كان أصله عن تعمّد، وما عذر فيه لم يكن عن تعمّد، وإذا نسب إلى الله تعالى فهو تركه وإياهم، مجازة لهم بتتركهم في جهنم من غير رحمة، كما في ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم﴾ [التوبية: ٦٧]؛ أمّا ما رفع عنه القلم فهو غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد، وقال بعضهم النسيان: زوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الحافظة.

## ٢٠ - مفهوم السهو:

(س ه و) معظم الباب يدلّ على الغفلة والسكون. فالغفلة، يقال: سهوت في الصلاة أَسْهُوْ سَهْوًا. فالسهو غفلة يسيرة كما هو في القوّة الحافظة؛ والنسيان زواله عنها كليّة، إلا أنهم يستعملونها بمعنى واحد تساحماً منهم. وقد ورد لفظ السهو بصيغه ﴿سَاهُوْت﴾ مرتين في قوله تعالى: ﴿فُلَّ الْخَرَاصُونَ ١٠﴾ [الذاريات: ١١]، و﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْكَ ٤﴾ [الذاريات: ١١]، و﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْكَ ٤﴾ [الماعون: ٥]. فالسهو خطأ عن غفلة وهو على ضربين، أحدهما: أن لا يكون من الإنسان جوابه ومولاته، والثاني أن يكون منه مولاته، وبين السهو والنسيان والغفلة تقارب معانٍ مع فروق

بينهما، فالسهو جعل في غفلة القلب عن الشيء بحيث يتبهأ بأدني تنبية، أمّا النسيان فزوال الصورة عن القوّة المدركة مع بقائها في الذاكرة، كما لا يكون إلا لما علم من قبل ويحتاج على تحصيل جديد.

## ٢١ - مفهوم الغفلة:

من غفل (غ ف ل) أصل صحيح يدلّ على ترك الشيء سهواً. وربما كان عن عمد، غفلت عن الشيء غفلة وغفوّلاً، إذا تركته ساهياً. وأغفلته إذا تركته على ذكر منك له. والتَّغَافُلُ والتَّغَفُلُ: تَعْمَدَهُ، وغَفَلَةً؛ تغفيلاً: ستره. وقد ورد في القرآن باشتقاته خمساً وثلاثين مرّة، بمعنى السهو الذي يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ. إما للطبع عليه، أو لعقاب أو لنقص في الذاكرة. كما أنّ الله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُغْفِلُ عَنْ أَعْمَالِهِ﴾ [آل عمران: ٩٩] و[البقرة: ٧٤]، فالغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه، و قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِلِينَ﴾ [آل المؤمنون: ١٧].

## ٢٢ - مفهوم الشكّ:

(ش ك) أصل واحد، مشتق بعضه من بعض، ويدلّ على التداخل، شككته بالرمح؛ إذا طعنته، ومنه الشكّ الذي هو خلاف اليقين، سمي بذلك كأنّ الشاكّ شاكّ له الأمران في مشكّ واحد، وشكّ الشيء: لصق بعضه بعض وإتصال. وشكّ عليه الأمر: التبس، وارتتاب.

وورد في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً، ولا أوجه له في كتب النظائر المتوافرة لنا، أمّا معناه فيدور على أنه أخص من الجهل، ويأتي دائمًا مع

الحرفين "في" و"من"، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَلَّا يَنْعَمُوا فِي شَكٍ مِّنْهُ مَا  
لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا إِنَّا أَنْظَلْنَا وَمَا قَنَطُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧]. فالشك المخالف  
للديقين هو ما صاحبه حرف المعنى "في"، فإن سبق الحرف "في" لللفظ جاء  
بعد اللفظ حرف المعنى "من" للتبيين أو للجنس؛ لأن الشك دائمًا يكون بين  
جزئين أو قضيتيين. أما إن سبق لفظ الشك حرف المعنى "في" فلا نجد الحرف  
"من". فال الأول يكون اسمًا، أما الثاني فيكون فعلاً، و"في" هنا تحدد محل  
الشك. و"من" في الصورة الأولى تحدد الحالة النفسية. فالشك مخالف للديقين،  
وقد ورد في القرآن في آيات عدّة، منها: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَأَلِّ  
الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وكان خلاف الشك ﴿لَقَدْ  
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤]، الحق الذي لا مرية فيه. و﴿أَنْهَمْنَا أَنْ تَعْبُدَ  
مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّا لَنَا شَكٌ مِّمَّا تَعْنَى إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود: ٦١]؛ أي مخيف، وليس  
كل شاك مرتباً والعكس صحيح. ﴿أَفَ إِلَهُ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
[إبراهيم: ١٣]. فهنا اقتضت همزة الاستفهام تقديم المشكوك فيه على لفظ  
الشك مع حذف الحرف "من" لتحديد المشكوك فيه.

## ٢٣ - مفهوم الريب:

(ري ب) أصييل يدل على شك وخوف، والريب ما رابك من أمر،  
وأربنته: جعلت فيه ريبة؛ وربته: أوصلتها إليه. وأراب الرجل صار ذاريبة  
 فهو مُرِيب، ورَيْبُ المتون حوادث الدهر.

ورد لفظ الريب باشتراقاته في سبعة وثلاثين موضعًا على ثلاثة أوجه،  
هي: الشك: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ١]. والحوادث: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

تَبَرَّصُ بِهِ رَبَّ الْمَنْوَنِ ﴿٢﴾ [الطور: ٢٨]. والخسرة: ﴿لَا يَرَأُلُّ مُذَكَّرُهُمُ الَّذِي يَتَوَرِّبُهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبه: ١١١]. وكل ما جاء في القرآن من ريب فهو شك إلا ﴿رَبَّ الْمَنْوَن﴾ [الطور: ٢٨]، قال تعالى عن كتابة الدين: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْقَنَ أَلَا تَرَبَّوْ﴾ [البقرة: ٢٨١] فالكتابة أعدل وأحفظ وثيقة بين المتدانين، وهي تدفع الشك بينهما وكذا الخوف؛ لأن سبب الكتابة هو الخوف من ضياع مال الدائن كله أو جزء منه وهذا الخوف متولد عن الشك في المستدين، في العاجل أو الآجل؛ لذا كان أحسم الطرائق هو توثيق العاملة المالية بينهما بالكتابة والاستشهاد فينقطع الريب. والشك سبب للريب وليس العكس. وهو مبدأ الريب، كما أن العلم مبدأ اليقين. فالريب ما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوعاً ما. ويقال رابني الأمر ولا يقال: شكني. والريب قد يحيى بمعنى القلق والاضطراب والكذب، فالصدق طمأنينة وسكون النفس للأمر، أما الريبة فلا تكون إلا من الكذب، وأوما لم يحدد الحكم عليه فتولد عن ذلك خوف.

## ثانياً: مفاهيم الحس

### ١ - مفهوم الحس:

(ح س) أصلان: فال الأول غلبة الشيء، والثاني حكاية صوت عند توجُّع وشبهة. فال الأول الحَسُّ: القتل، والحسيس القتيل. وأحسستُ؛ أي علِمْتُ بالشيء، والثاني: قولهم حَسًّا. كلمة تقال عند التوجع. وفي القاموس: الحَسُّ: الجلبة، والقتل، والاستصال، ونفض التراب عن الدابة بالحسنة. وبالكسر: الحركة، وأن يُمْرُّ بك قريباً فتسمعه ولا تراه، والحسُّوس:

الجاسوس. وحواس الأرض: البرد، والبرد، والريح، والجراد، والمواشي.  
وأحسست وأحسيت: ظنت ووجدت وأبصرت وعلمت.

ورد لفظ الحس بصيغه ست مرات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي:  
القتل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ كُمَّ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذَا تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].  
والإدراك بالحساسة: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ أَلْكُفَرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارَ إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢]. والبحث: ﴿ يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ ﴾ [يوسف: ٨٧].  
وأما أحسسته فحقيقة أدركته بحساستي، ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ أَلْكُفَرَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [مريم: ٩٨]؛ والحس المشترك هو القوة التي ترسّم فيها صور الجزيئات المحسوسة. والإحساس هو إدراك الشيء، مكتنفاً بالعواض الغريبة واللواحق المادية مع حضور المادة ونسبة خاصة بينها وبين المدرك. ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ أَلْكُفَرَ ﴾ [آل عمران: ٥٢] وحسّ الثلاثي له معان ثلاثة، هي: القتل، أو المسع، أو الإلقاء بالحجارة. والإحساس إن كان للحسّ الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحسّ الباطن فهو الوجданيات.

## ٢ - مفهوم الشعور:

من شعر، (شع ر) أصلان معروfan يدلّ أحدهما على نبات، والآخر على علم وعلم. فال الأول: الشّعْرُ معروف، والجمع أشعار. والواحدة شّعرة، والشّعّار الشّجّر إذا ملأ الأرض. منه: داهية شّعراء وداهية وبراء. والباب الآخر: الشّعّار الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضاً. والأصل قولهم شّعرت بالشيء إذا علمته وفطنت له، وليت شّعري أي ليتنبي علمت. أصله من الشعر كالذرية والفتحة، ويقال سمّي الشاعر بذلك لأنّه

يفطن لما لا يفطن له غيره. والشاعرية واحد الشعائر وهي أعلام الحج وأعماله. والشعور هو العلم والعقل والفهم والدرائية والإدراك بالحواس.

ورد لفظ الشعور باشتقاقاته في خمسة وأربعين موضعًا على خمسة أوجه، هي: ما تَمَّا على البشرة: ﴿وَمِنْ أَصْوَافُهَا وَأَتْبَارِهَا وَشَعَارِهَا﴾ [التحل: ٨٠] والصناعة: ﴿وَالشَّعَرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاقِونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، والإدراك: ﴿وَمَا يَتَعْرِكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، والكذب: ﴿بَلْ أَفَتَرَنِهِ بَلْ هُوَ شَاعِر﴾ [الأنياء: ٥]. ومعالم الدين: ﴿إِنَّ الْصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقد ورد بدلالة المعرفة بصيغة الفعل فقط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَنْجَاهُ وَلِكُنْ لَا شَعُورُكُنَّ﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياه علموا أنهم أحياه، فلا يجوز أن ينفي عنهم العلم، ويجوز أن يقال: ﴿لَا شَعُورُكُنَّ﴾ لأنه ليس كل ما علموه يشعرون به، وكم من أمر يقع ولا يحس به ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْتَهُ وَأَنْتُمْ لَا شَعُورُكُنَّ﴾ [الزمر: ٥٥]، وهذا كلّه يتضمن أصله اللغوي. فالشعر ا اسم للعلم الدقيق المستشعر أولاً، غير أن قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿بَلْ أَفَتَرَنِهِ بَلْ هُوَ شَاعِر﴾ [الأنياء: ٥]، حمله المفسرون على أنهم رموه بالشعر المنظوم المقفى، ورمواه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب، وهذا قال تعالى في وصف عامة الشعراء ﴿وَالشَّعَرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاقِونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

### ٣- مفهوم الإيجاز:

من وجد، (وج س) الكلمة تدل على إحساس بشيء، وسَمِع له. تَوَجَّسَ الشيء: أحَسَّ به فتسَمَّع له. والوَجْسُ: الفزع يقع في القلب، والوا Higgins:

الهاجس، وتوَجَّس الطعام: تذوّقه قليلاً.

ورد اللفظ بصيغة الماضي ثلاث مرات في القرآن الكريم، بمعنى الإحساس بالفزع أو الخوف أو بما يقع في القلب منه فيشعر به ويضمره ولا يظهره، وقد ورد في [هود: ٧٠] و[طه: ٦٧] و[الذاريات: ٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ كلّها مقرونة بالخوف المضرر، ﴿فَمَمَّا رَأَىٰ يَدِيهِمْ لَا تَصِلُّ إِلَيْهِ نَسْكَرُهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَاتِلُوا لَا تَخَفَ﴾ [هود: ٧٠]. لأن الهاجس مبدأ التفكير، ثم يكون الهاجس الخاطر.

#### ٤ - مفهوم الإيناس:

من أنس، (أن س) أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش، يقال: آنسْتُ الشيء إذا رأيته أو سمعته. آنسه ضدّ أو حشه، والأنيس: المؤانس، وكل ما يؤنس به. وقد ورد فعل آنس سبع مرات في القرآن الكريم، أربع منها في النار التي آنسها موسى عليه السلام إذ سار بأهله في البرية: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَنْكُحُوهَا إِلَيْكُمْ إِنَّكُمْ تَأْنَسُونَ﴾ [طه: ١٠]. والإيناس في تكلّم الآيات: الإبصار البَيْنَ الذي لا شبهة فيه، ومنه "إنسان" لأنّه يتبيّن به الشيء، والإنس لظهورهم، والجن لاستارهم، وقيل هو إبصار ما يؤنس به. ومن الإيناس بمعنى العلم جاء بصيغة الماضي ﴿وَبَثَلُوا أَلْيَكَحَ حَتَّىٰ إِذَا بَعَلُوا أَلْيَكَحَ﴾ النساء: ٦. فإنَّ آنسَتُمْ مِنْهُمْ رُشَدًا فَادْفَعُوهُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِنْ شَرَكُوكُمْ وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ [النساء: ٦]. فالإيناس يأتي بمعنى الرؤية، كما يأتي بمعنى العلم والألفة والاستزان والإحساس. وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه، فالاستئناس هو الأنس الحاصل من جهة المجالسة، وهو خلاف الوحشة.

## ٥- مفهوم اللمس:

(ل م س) أصل واحد يدل على تطلب شيء، تلمست الشيء، إذا طلبته بيده. واللمس أصله باليد ليعرف مسْ الشيء، ثم كثُر ذلك حتى صار كُل طالب مُلتمساً، ولمسَت إذا مَسَّتْ، ولمس الجارية: جامعها، واللمس، وتلمس: تطلب مرّة بعد أخرى. وقد ورد لفظ اللمس خمس مرات في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هي: الطلب: ﴿وَأَنَا لَمَسْتَنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْتَهَا مُلْتَسِّتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهِيدًا﴾ [الجن: ٨]، ﴿قَبْلَ أَرْجَعُوا وَرَاهُوكُمْ فَالْمَتَسُوسُوْرُ﴾ [الحديد: ١٣]. والتحسس بالجارية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِطَائِسٍ فَلَمْسُوهُ يَأْتِيهِمْ لِقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرُ مُّنِينٍ﴾ [الأنعام: ٧]. والجماع: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، و[المائدة: ٦]، فاللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس، ويُعبر به عن الطلب، ويُكتنّى به وبالملامسة عن الجماع، وقرئ لمستم ولا مستم حملًا على المسّ وعلى الجماع.

## ٦- مفهوم اليد:

(ي د) أصل بناء اليد للإنسان وغيره، ويستعار في المِنَة، فيقال: له عليه يدُ. ويجمع على الأيدي واليُدُّ القوّة، وقد ورد لفظ اليد باشتقاته في مائة وعشرين موضعًا من القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: الجارحة: ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْكَلُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِ﴾ [المائدة: ١١]. والملك: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْقُونَ أَوْ يَعْقُوا الَّذِي يَبْدِئُهُ عُقْدَةُ الْتَّكَاح﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والقوّة: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَحْمِ وَيَعْوَبَ أُولَى الْأَيَّدِيِّ وَالْأَبْصَرِ﴾ [ص: ٤٥]. والندم: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]. والكرم والإنعم: ﴿بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَاتٍ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

فاليد غالب دلالتها على الجارحة، واستعيرت اليُد للنعمـة والقوـة، كما نسبـت أفعال الإنسان وجـرائره كلـها إلى الـيد على جهة التـغـلـيب ﴿ذـلـك بـما قـدـمـت يـدـاك وـأـنـ اللـهـ لـيـسـ بـظـلـمـ لـلـعـيـدـ﴾ [الـحـجـ: ١٠]، وـقولـه ﴿فـوـيـلـ لـهـمـ وـمـا كـنـبـتـ أـيـدـيـهـمـ﴾، فـنسبـته إلى أـيـدـيـهـمـ تـنبـيهـ على أـنـهـمـ اـخـتـلـقـوهـ ذـلـكـ، كـنـسـةـ القـولـ إلى أـفـواـهـهـمـ في قـولـهـ عـزـ وـجـلـ ﴿ذـلـكـ قـوـلـهـمـ بـأـفـوـهـهـمـ﴾ [التـوـبـةـ: ٣٠] تـنبـيهـاـ على اـخـتـلـافـهـمـ. كما دـلـتـ الـيـدـ أـيـضـاـ على الـقـوـةـ وـالـقـدـرـةـ وـالـسـلـطـانـ وـالـجـاهـ وـالـوـقـارـ وـالـحـفـظـ وـالـنـصـرـ وـالـإـحـسـانـ، كـلـهاـ أـوـصـافـ لـأـعـمالـ الـيـدـ.

## ٧- مـفـهـومـ المـسـ:

(مـ سـ) أـصـلـ صـحـيـحـ وـاحـدـ يـدـلـلـ عـلـىـ جـسـ الشـيـءـ بـالـيـدـ. وـمـسـسـتـهـ أـمـسـهـ. وـالـمـسـوسـ: الـذـيـ بـهـ مـسـ كـأـنـ الـجـنـ مـسـتـهـ، وـالـمـسـوسـ منـ المـاءـ: ماـ نـالـتـهـ الـأـيـديـ. وـفـيـ الـقـامـوسـ: مـسـسـتـهـ أـمـسـهـ مـسـاـ وـمـسـيـسـيـ. وـحـاجـةـ مـاسـةـ: مـهـمـةـ، وـقـدـ مـسـتـ إـلـيـ الـحـاجـةـ. وـلـاـ مـسـاسـ: لـاـ تـمـسـ.

ورـدـ لـفـظـ مـسـ باـشـتـقـاقـاتـهـ وـصـيـغـةـ فيـ قـرـابـةـ وـاحـدـ وـسـتـينـ مـوـضـعـاـ منـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـىـ أـرـبـعـةـ أـوـجـهـ، هـيـ: الـجـمـاعـ: ﴿ثـمـ طـلـقـتـمـوـهـنـ مـنـ قـبـلـ أـنـ تـمـسـوـهـ﴾ [الأـحـرـابـ: ٤٩]، ﴿وـلـمـ يـمـسـسـنـ بـئـرـ﴾ [آلـ عمرـانـ: ٤٧]. وـالـإـصـابـةـ: ﴿مـسـ ءـابـاءـنـاـ أـصـرـاءـ وـالـتـرـاءـ﴾ [الأـعـرـافـ: ٩٥]، ﴿لـاـ يـمـسـنـاـ فـيـهاـ نـصـبـ وـلـاـ يـمـسـنـاـ فـيـهاـ لـغـوبـ﴾ [فـاطـرـ: ٣٥]. وـالـحـبـلـ: ﴿الـذـيـكـ يـأـكـلـونـ أـلـبـواـ لـأـيـقـمـونـ إـلـأـكـمـاـ يـقـومـ﴾ [بـالـقـرـةـ: ٢٧٥]. وـالـتـقـاءـ الـبـشـرـةـ: ﴿قـالـ الـذـيـ يـتـخـبـطـ الـشـيـطـنـ مـنـ أـلـمـيـنـ﴾ [بـالـقـرـةـ: ٢٧٥].

فَأَذْهَبْ فَلَكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ ﴿٩٧﴾ [طه: ٩٧]. فالمس هو التقاء البشرتين، والمسك باليد، وكني به عن النكاح. وعن الجنون، وعن كلّ ما ينال الإنسان من أذى. وجاء في القرآن كناية عن الجماع، بصيغة: "يتASA"، "تمسوهن"، "يمسسني"، والتقاء البشرتين "مساس"، والجنون "المس".

## - مفهوم السمع:

(س مع) أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن من الناس، وكلّ ذي أذن، والأذن وما وقر فيها من شيء تسمعه. والسمع قوّة إدراك الأصوات، ويعبرّ به عن الجارحة والفهم والطاعة.

ورد لفظ السمع بصيغه واشتقاته مائة وخمساً وثلاثين مرّة، على وجهين: إدراك الأصوات: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، والإيمان بالقلب: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأفال: ٢١]، فالسمع قوّة في الأذن قد تؤدي إلى الفهم، وقد لا يصل إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمِعاً وَأَبْصَرَّا وَأَفْئَدَّا فَمَا أَنْتَ عَنْهُمْ سَمِعْهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْهَدَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]. ويعبرّ عن الأذن والإفهام والطاعة وعن فعل السمع بالسمع؛ نحو قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ فُؤُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمِعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وكلّ نفي للسمع فهو نفي للاستجابة لا لإدراك الأصوات؛ لأنّ الثاني تسقط به الكلفة ولا مقام للمحجية على المخاطب الأصم؛ لذا وصف الله تعالى من لا يستجيب له ولا لأنبيائه بالميّت ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الْدُّعَاءَ﴾ [الروم: ٥٢]، فالسمع أربعة أنواع، هي: سمع الإدراك، متعلق بالأصوات، وسمع الفهم والعقل: متعلق بالمعنى، وسمع الإجابة، وسمع القبول

والانقياد: ويتعدّى بـ"من" وـ"اللام".

## ٩- مفهوم الإنصات:

من نصت (ن ص ت) كلمة واحدة، تدلّ على السكوت، وأنصَتَ لاستماع الحديث، وَنَصَتَ يَنْصِتَ. وأَنْصَتَهُ: سكت واستمَعَ لحديثه. وقد ورد اللفظ بصيغة الأمر مررتين في القرآن الكريم، هما: ﴿وَإِذَا فَرِيَتِ الْقُرْمَانَ فَأَسْتَمِعُوا إِلَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ﴾ [الاحقاف: ٢٩]. فآية الأحقاف فيها الأمر بالاستماع والإنصات، والفرق بينهما أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاستغلال بما يشغل عن استماعه، أمّا الاستماع بأن يُلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبّر ما يستمع إليه، ومن لازم هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً؛ لهذا رتب سبحانه حصول الرحمة عليهما. فالإنصات أخص من الاستماع، ويكون بتوجيه النفس والتفكير والتكيز على شيء واحد للتدبّر فيه.

## ١٠- مفهوم الصمم:

من صمّ، (ص م) أصل يدلّ على تضام الشيء وزوال الخرق، منه الصَّمَمُ في الأذن، وهو انسداد الأذن وثقل السمع. وقد ورد لفظ الصم بصيغه خمس عشرة مرّة على وجهين: انسداد الأذن: ﴿مَئُلَ الْقَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]. وترك الإصغاء إلى الحق: ﴿وَحَسِبُوا أَلَا تَكُونُ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]. فالصمم فقدان حاسة السمع، وبه يوصف من لا يصغي إلى

الحق ولا يقبله، ﴿صُمْ بِكُمْ عُمَّ﴾ [البقرة: ١٨]. وغالباً ما جمع النفي خاصة السمع؛ فكل صمم في القرآن فهو عن سماع الإيمان، والقرآن خاصة، والحق، إلا في [الإسراء: ٩٧]، و[هود: ٢٤].

## ١١ - مفهوم الأذن:

(أذن) أصلان متقاربان في المعنى متبعادان في اللفظ. أحدهما: **أذنُ** جارحة، والأخر: العلم. وعنهم يتفرع الباب كلّه، فأمام التقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع، والأذن معروفة، وتقابل للرجل السامع من كلّ أحد **أذن**، والأصل الآخر: العلم والإعلام. تقول العرب: قد أذنتُ بهذا الأمر؛ أي علمت. وأذنني فلان أعلمني والمصدر **الإذن والإيدان**. والأذان وهو اسم التأذين.

ورد لفظ أذن مائة مرة وواحدة، في ثانية عشرة منها كانت بمعنى الأذن الجارحة، **﴿أَنَّ النَّفَسَ بِالنَّفِيسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ﴾** [المائدة: ٤٥]، والسماع لكلّ أحد: **﴿وَمِمْمُمُ الْبَيْكَ يُؤَذِّنُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾** [التوبه: ٦١]. والمناداة: **﴿فَأُلْوَانُ نَعَّمَ فَأَذَنَ مُؤَذِّنٍ بِنَاهِمَ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّلَمِيِّنَ﴾** [الأعراف: ٤٤]. والعلم أو الأمر: **﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ يَأْفِكَ بِتَابِعَةً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [غافر: ٧٨]. والإذن أصله العلم والسماع، وجاء في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار **﴿وَأَذَنَ قَرْنَتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْجَعْلِ الْأَكْثَرَ﴾** [التوبه: ٣]، والإيدان: هو إيقاع الخبر في الأذن، ويقال: آذنتك بالأمر فآذنت، أعلمتك فعلمت. والأذان والأذن: الإصغاء لما يسمع ويحصل بوساطته كثير من العلم، حتى صار

كالمبدأ فيه أمّا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَرِيدُكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي شَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، قوله: ﴿وَفِي ءادَاهُمْ وَقُرَّ﴾ [الأعراف: ٢٥]، إشارة إلى جهالهم لا إلى عدم سمعهم، فليسوا بضم معطلين عن إدراك الأصوات، بل هم معطلين عن الاستجابة لما يسمعون.

## ١٢ - مفهوم البصر:

(ب ص ر) أصلان أحدهما العلم بالشيء، يقال: هو بصير به. وال بصيرة: البرهان. وأصل ذلك وضوح الشيء. يقال: بصرتُ بالشيء إذا صرت به بصيراً عملاً، وأبصرته إذا رأيته. أمّا الأصل الآخر منه البصر: وهو أن يضمّ أديم إلى أديم، يخاطان كما تخاط حاشية الثوب، والبصّرة فالحجارة الرخوة. والبصّر حس العين، وال بصيرة عقيدة القلب والقطنة واللحجة. واستبصّر: استبان، والتّبصّر: التأمل والتّعرّف. وال بصيرة هي تكامل العلم والمعرفة بالشيء.

وقد ورد لفظ البصر بصيغه مائة وخمسين مرّة في القرآن الكريم؛ حيث ورد مصدراً وفعلاً بكل تصارييفه، وكان على أربعة أوجه، هي: بصر القلب: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ﴾ [يونس: ٤٣]. وبصر العين: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، واللحجة: ﴿وَفَدَكُثُّ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]؛ والاعتبار: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ويتعدّى فعله بالباء ﴿قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصِرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. وال بصيرة في اللغة على أضرب: العليم الخبير بالشيء، ولم يرد بهذا المعنى في القرآن إلا مختصاً بالله تعالى في اثنتين وأربعين آية، اقترن بأسماء وصفات أخرى، هي: السميع: ﴿لِزُرْيَدَةِ، مِنْ أَيْنَنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]،

والخبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]، والأعمال: ﴿وَاللَّهُ يُعْلَمُ بِمَا كَسَبُوكُمْ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦٥] فالسمع ربط بالأقوال، والبصر ربط بالأفعال الظاهرة والباطنة، لكن الباطنة غالباً ربطت بالعليم والخبر كما في آية: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ حِيلَّا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

## ١٣ - مفهوم الرؤية:

(رأي) أصل يدلّ على نظر وإبصار بعين، أو بصيرة؛ فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء، وتراءى: القوم إذا رأى بعضهم بعضاً. والرؤيا: النظر بالعين وبالقلب. ورأيته رؤيا ورأيا، والرؤيا ما رأيته في منامك. ورأيته: أبصرته، وتأتي بمعنى: الظن والعلم فتعدى إلى مفعولين. تقول: رأيت زيداً خارجاً، أي: ظنت زيداً خارجاً، وبمعنى العلم: رأيت زيداً منطلقاً، والرأي هو الفكرة والاعتقاد.

ورد لفظ الرأي بصيغه واستدقاته ثلاثة وتسعة وعشرين مرّة في القرآن الكريم على ستة أوجه، هي: العلم: ﴿وَبَرِيَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، والمعاينة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ تَعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المافقون: ٤]. والنظر: ﴿أَتَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَنَا مِنَ الْحَكِيمَاتِ﴾ [النساء: ٥١] والخبر: ﴿أَتَمْ تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [آل عمران: ٣٥٨]، والعبرة: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ مُسْخَرَتِ فِي جَوَّ الْكَمَاءِ﴾ [النحل: ٧٩]؛ والسمع: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَمْوَضُونَ فِي أَيَّتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وأصل الرؤية النظر بالعين والقلب، والرأي مصدر، رأى الشيء يراه رأياً ورؤيا، ويفرق بينهما أنَّ رأى البصرية تنصب مفعولاً واحداً، ورأى

القلبية تنصب مفعولين. والرؤيا في النوم، والرؤوية في اليقظة، والرأي يعلم بالقلب ولا يُرى بالعين. وقد وردت **﴿أَلَمْ تَرَ﴾** بمعنى رؤية القلب؛ بمعنى العلم والإدراك كذلك، قوله: **﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [الأنعام: ٧٥]. وقال: **﴿فَسَيِّرِي أَنْهُ عَلَكُوكَ﴾** [التوبية: ١٠٥] والوهم نحو **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقْتُوا عَلَى الْأَنَارِ﴾** [الأنعام: ٢٧]. والتفكير **﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾** [الأنفال: ٤٨] وقد يصح الرؤية البصرية. وبالعقل **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى﴾** [النجم: ١١].

#### ٤ - مفهوم النظر:

(نَظَر) أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعايشه، ثم يُستعار ويُتسَعُ فيه، فيقال: نظرت إلى الشيء، أنظر إليه إذا عايتها، ونظرته؛ أي انتظرته، والناظر: العين، والناظران: عرقان على حرف الأنف. والنظر: حركة الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه؛ ونظر إلى الشيء: أبصره، ونظر في الأمر تفكّر فيه، وأحاطه حفظاً وتأملاً.

ورد لفظ نظر بصيغه واستعاقاته مائة وتسعة وثلاثين مرّة على أربعة أوجه، هي: الرحمة: **﴿خَلِيلِينَ فِيهَا لَا يُحْقِفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾** [آل عمران: ٨٨]. والانتظار: **﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِيَحَّةٌ وَجَهَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِضُّونَ﴾** [يس: ٤٩]. والاعتبار: **﴿أَلَّا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبْلِ كَيْفَ خُلِقُوا﴾** [الغاشية: ١٧]. والرؤبة: **﴿وَجُوْهَةٌ يَمْبَثُ نَاضِرَةٌ إِنِّي رَبِّهَا كَانِطِرٌ﴾** [القيامة: ٢٣]. فالنظر هو الإقبال على الشيء بالبصر، ومن ذلك النظر بالقلب؛ والانتظار: الإقبال على الشيء بالتوقع له. والرؤبة وإدراك المرئي، فقد تنظر إلى الشيء ولا تراه، وقد تنظر إليه وتتأمله كأنك تفحصه بنظرك من البصر أو البصيرة.

وأكثر ما جاء من مادته في القرآن "البصر والبصيرة" لأنه يؤدي إلى التفكير والتدبر. لكن ورد في مادته معانٌ أخرى كالانتظار والأنظار ﴿فُلَّ أَنْظِرُوا إِلَيْأَنْتَ مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ حُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]. وجاء معنى النظر بالبصيرة في آيات كثيرة، منها: ﴿فُلَّ سِرُّوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِنْقَبَةُ الْمَكَدَّيْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، و[الأعراف: ١١] و[يونس: ١٠١]. وهو هنا تقليل البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، قد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية.

## ١٥ - مفهوم المشاهدة:

من شهد، (ش ه د) أصل يدلّ على حضور وعلم وإعلام، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: حضر الناس. والشهود: جمع الشاهد، والشاهد: اللسان والملك. وشهاد: بين وأعلم لمن الحق، وعلى من هو. والشهيد: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهد له أو تشهد له، والشهادة: الخبر القاطع. ورد لفظ شهد بصيغة واستثنائه مائة وستين مرة على سبعة أوجه، هي: الشهيد بالبلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُتُولِكَ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. والملك الحافظ: ﴿وَجَاهَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. وأمّة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُوُنُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والقتيل في سبيل الله: ﴿مَنْ أَنْتَيْنَ وَالْأَصْدِيقَيْنَ وَالشَّهَادَةَ﴾ [النساء: ٦٩]. والحاضر: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [٧٢]

[النساء: ٧٢] والشاهد المبين للحق: ﴿وَأَشْهِدُوا دَوْنَى عَدْلٍ مُّنْكَرٌ﴾ [الطلاق: ٢]. والشركاء: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]. وأصل الشهادة في اللغة من الحضور والشهود، والمعاينة، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]؛ وتكون الشهادة بالبصر أو البصيرة، والشهيد هو المحتضر؛ سمي بذلك لحضور الملائكة إياه. والشاهد غير الحاضر؛ لأن الشاهد يلزمـه العلم بما يشهد عليه على غير الحاضر.

## ١٦ - مفهوم العمى:

العين والميم وحرف العلة أصل واحد يدلـ على ستر وغطـية. العمى: ذهاب البصر من العينين، ورجل أعمى، وامرأة عمياء، وقوم عمون. ويقولون في هذا المعنى: ما أعمـاه، ولا يقولون ذلك في عـى البصر. وقد ورد لفظ عـى بصـيـعـه واستـقاـفـاتـه ثـلـاثـاً وـثـلـاثـينـ مـرـةـ في القرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـوـجـهـ،ـ هـيـ:ـ عـىـ الـقـلـبـ:ـ ﴿فَإِنَّمـاـ لـاـ تـعـىـ الـأـبـصـرـ وـلـكـنـ تـعـىـ الـقـلـوبـ الـتـيـ فـيـ الـأـصـلـوـرـ﴾ [الحج: ٤٦]، ﴿وـمـاـ سـتـوـيـ الـأـعـمـ وـلـأـصـيـرـ﴾ [فاطـرـ: ١٩]. وعـى الـبـصـرـ:ـ ﴿أـنـ جـاءـ الـأـخـنـ﴾ [عبـسـ: ٢]، ﴿لـيـسـ عـلـىـ الـأـعـمـ حـرـجـ﴾ [النورـ: ٦١]. وأـعـمـىـ عنـ الـحـجـةـ:ـ ﴿فـهـوـ فـيـ الـأـخـرـةـ أـعـمـ وـأـضـلـ سـيـلـاـ﴾ [الإـسـرـاءـ: ٧٢].

## ١٧ - مفهوم العين:

(عـ يـ نـ) أـصـلـ وـاحـدـ،ـ يـدـلـ عـلـىـ عـضـوـ،ـ يـبـصـرـ وـيـنـظـرـ.ـ قـالـ الـخـلـيلـ:ـ الـعـيـنـ النـاظـرـ لـكـلـ ذـيـ بـصـرـ،ـ وـتـجـمـعـ عـلـىـ أـعـيـنـ وـعـيـوـنـ وـأـعـيـانـ،ـ وـمـنـ الـبـابـ:ـ الـعـيـنـ الـذـيـ تـبـعـهـ يـتـجـسـسـ الـخـبـرـ،ـ وـالـخـارـيـةـ النـابـعـةـ مـنـ عـيـوـنـ الـمـاءـ،ـ وـلـقـيـتـهـ عـيـانـاـ:ـ مـعـاـيـنـةـ لـمـ يـشـكـ فـيـ رـؤـيـتـهـ إـيـاهـ.ـ وـالـعـيـنـ بـالـكـسـرـ:ـ بـقـرـ الـوـحـشـ،ـ وـالـأـعـيـنـ:ـ ثـورـهـ.

ورد لفظ العين بصيغه خمساً وستين مرّة على ثلاثة أوجه، هي:  
الجارحة: ﴿كَافِرٌ يَرَوْنَهُمْ مُشَاهِدِيَّهُمْ رَأَى الْعَيْنَ﴾ [آل عمران: ١٣]، ﴿وَأَيَّضَتْ  
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُرْنِ﴾ [يوسف: ٨٤]. ومنبع الماء: ﴿فَتَلَّنَا أَضْرِبُ بِعَصَالَكَ الْحَجَرَ  
فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ أَثْنَتَ عَشَرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. والحفظ والرعاية: ﴿وَلَقِيتُ عَيْنَكَ  
مَحَنَّةَ مَيِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]. وتطلق على الباصرة ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾  
[المائدة: ٤٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

## **الباب الثاني**

**العلم والمعرفة في القرآن الكريم**



## الفصل الأول:

### المعرفة في القرآن الكريم

#### أولاًً: تعريف المعرفة:

أورد التهانويّ جملة تعريفات للمعرفة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:  
العلم بمعنى الإدراك مطلقاً، تصوّراً كان أم تصديقاً. وإدراك البسيط تصوّراً  
للماهية، أو تصديقاً بأحوالها. وإدراك المركب، سواء كان تصوّراً أم تصديقاً.  
وإدراك الجزئيّ، والكلي مفهوماً كان أم حكمًا. وإدراك الجزئيّ عن دليل.  
وإدراك بعد جهل.

#### ١ - التعريف اللغويّ للمعرفة:

قال ابن فارس: عرف أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتبع  
الشيء، متصلًا ببعضه البعض، والآخر على السكون والطمأنينة. والمعرفة ضدّ  
النكرة، وتحجّم على معارف، ويأتي اللفظ في معرض المدح بِجَوْدَةِ الرأي،  
وِحْدَةِ الفطنة، وشدةِ الذكاء.

#### ٢ - التعريف الاصطلاحيّ في العرف:

كلّ اسم خصّ واحداً بعينه من جنسه، فهو معرفة؛ أي ما وضع ليدلّ  
على شيء بعينه، كالمضمرات، والأعلام، والمبهمات، وما حُلّي بالألف واللام.  
وهي أول فرض افترضه الله على خلقه بقوله تعالى: ﴿وَمَا حَكَمْتُ لِجِنَّةً وَالْإِنْسَانَ  
إِلَّا لِعَبْدِنِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالمراد المعرفة الإيمانية. وعند أهل الكلام  
والمنطق: المعرفة تقال للإدراك المسبوق بالعدم، ولثاني الإدراكيين إذا تخللها

عدم، وتقى لحصول صورة الشيء عند العقل، وللاعتقاد الجازم المطابق للثابت، ولإدراك الكلّي والمركب.

### ٣- التعريف الاصطلاحي في الشرع:

ورد لفظ المعرفة في القرآن في أربعة وعشرين موضعًا، وتكرر سبعاً وستين مرة بصيغه، وأكثر ما جاء من هذه المادة ما يدلّ على "المعرفة الحسية" التي تقع على الصفة الظاهرة وتُميّزها". قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ أي يعرفونه بِكَلَّةٍ، بنعنه وصفته بين غلامهم، وضد المعرفة الإنكار، كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوهُ﴾ [المؤمنون: ٦٩]. ولكن اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَيَنْجَاهُمُ الْجَنَّةَ عَرْفَهَا لَمْ﴾ [٦٦] [محمد: ٦] بمعنى طيبها وزينها، وقيل: بینها وعرّفها، وعلى المعنى الثاني لا تخرج عن مدلولها اللغوي. وبالتأمل في آيات "المعرفة"؛ نجد أن لها خصائص تُميّزها في المعنى والاستعمالات اللغوية. فهي ترد في القرآن على أنها إدراك مكتسب بدليل أو علامة، كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْوَعْدِ وَالْأَقْرَام﴾ [الرحمن: ٤١]، وقوله: "﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَصَرَةَ الْعَيْمِ﴾" [المطففين: ٢٤]. والسمة هي العلامة، وتكون الأدلة ظاهرة على المعرفة، سواء أكانت عقلية أم نقلية، فهذه المعرفة علم عن دليل خيري أو سمعي، أما المعرفة عن أدلة عقلية ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِ الْعِزَّةِ مَا يَنْهَا فَعَرَفُونَهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [آل عمران: ٨٣]، ويمكن ضمها إلى الإدراك الحسيّ، مع قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْقَنَ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنُ﴾.

## **ثانياً: طبيعة المعرفة:**

### **١ - مفهوم طبيعة المعرفة:**

المعرفة صفة للحّي، وهي علاقة تقوم بين ذات عارفة وموضوع معروف، فالمراد من "طبيعة المعرفة" تحديد تلك العلاقة وبيان عملية المعرفة، والعلاقة بين الإنسان وما يحيط به من خلال عناصر ثلاثة، هي: وجود عالم خارجيّ، وواقع من حوله، وجود ذهن خاصّ به "نفسه". وهذه العلاقة المعرفية، مرتبطة بغاية الوجود الإنساني على وجه الأرض، وقضية بقاءه، فالمعرفه إذن لازمة من لوازم الوجود، وتقوم هذه العلاقة في وعي الإنسان المميز، وقد تَتَّخذ شكل الأفكار أو العقائد عند الإنسان، وما يهمنا هنا هو علاقة المعرفة بالوجود؟ وأيهما أسبق؛ الماهية أم الوجود؟ وإذا كانت مكتسبة فهل نعرف الماهية، أم نعرف الصور، أم المثال؟ ومن ثمة: فهل هو تعرف الكليات أم الجزئيات؟ وأين تكون هذه الكليات؟ وما نوع وجودها؟ ثمّ ما أدوات كسب المعرفة؟ وكيف نكتسبها؟

### **٢ - طبيعة المعرفة في القرآن الكريم:**

ما سبق نقول: إنّ المعرفة في القرآن الكريم هي: المعلومات والمفاهيم اليقينية، والأحكام والمدركات والتصورات الجازمة التي نكونها، أو نتوصل إليها عن شيء ما، نتيجة ما نتلقاه عن طريق الحسّ أو العقل، أو عن طريقهما جمِيعاً. وهي العلم اليقينيّ، الذي يكتشف فيه المعلوم؛ انكشفاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك.

## أ- أصل المعرفة:

كل شيء مردُه إلى الله سبحانه، إيجاداً وخلقًا وأمراً، كونيًّا أم شرعياً. والمعرفة مخلوقة لله تعالى، ونعمته منه، يمْنَ بها على الإنسان بما خلق فيه من استعدادات لها؛ من فطرة تبحث عن الحقّ، وأدوات لتحصيل المعرفة؛ أي إنَّ الله عزٌّ وجل جعل سنته تتكرر؛ بحيث إذا نظر الإنسان أو إذا تحققت شروط معرفته حصلت له هذه المعرفة بتمام أركانها وشروطها. فالإنسان مدين لله في خلقه وتعليمه. ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَكُمْ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَقْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فحصول المعرفة يكون بالنظر والعلم، فتوافر السبب، مع توافر شروطه وانتفاء موانعه يوفر المسبب، وإلا سقطت القوانين الكونية وفسدت حياة الناس، وما خالف نادراً لا يقاس عليه؛ لأنَّ الأولى البقاء على الأصل، والكييس لا يقيس على الشاذ.

والخلاف حول حصول العلم بين الفرق الإسلامية منيق من الاختلاف في فهم الآيات الكريمة التي تتحدث عن أصل المعرفة الإنسانية؛ تلك المعرفة التي علّمها الله سبحانه لأول مخلوق من البشر وهو آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَمَ اللَّهُ أَدَمَ الْأَنْسَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]، قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَكُمْ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]. وتحدي الله للملائكة بـيـلـمـ يـعـطـواـ دـلـلـةـ عـلـىـ اـمـتـيـازـ آـدـمـ عـلـيـهـ بـزـيـادـةـ عـلـمـ، وـالـامـتـحـانـ دـلـلـةـ عـلـىـ كـرـامـةـ آـدـمـ، وـجـلـلـةـ اللـهـ وـقـدـرـتـهـ، وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ الـمـعـرـفـةـ مـتـوـقـفـةـ عـلـىـ مـعـلـومـاتـ مـسـبـقـةـ، وـهـذـاـ مـاـ أـشـارـتـ إـلـيـهـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ بـوـضـوـحـ ﴿وَعَلَمَ اللَّهُ أَنْسَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] فالمنبع الرئيس للمعرفة المعلومات السابقة التي

رُكِبت في الإنسان الأول، وهي أصل المعرفة.

### بـ- المعرفة المكتسبة والضروريّة:

مَمَّا حاول العلماء طرحه عِنْهَا تعلّمه آدم: هل لقَنه الله العلم كُلَّهُ أم أصول المعرفة؟ هل كانت طريقة تعليمه إياه بإلقاء العلم الضروري في نفسه مع خلق القدرة على النطق، ومن ثُمَّ تكون اللغة أو المعرفة تلقينية، أو تعليميّة، وما طريقة التعليم أو تكوين اللغة واستقاء المعرفة الأولى؟

### - المعارف الأولى للإنسان الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]؛ فيها دلالة أنَّ الله سبحانه عَلِمَ آدَمَ اللُّغَةَ الدَّالَّةَ عَلَى حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ، أو صورها الذهنيَّةِ المأخوذة عن وجودها. لأنَّ الاسم من المفهومات التي يتوقف تعلُّقها على تعلُّق مسمَّها؛ ولا يكون الاسم بلا مسمى، فلا بدَّ أنْ يُتصوَّر المسمى أولاً، فإذا رأيك الاسم متضمناً لإدراك مسمَّاه، وفهم المسميات من فهم المراد بأسماها، فالأسماء لا تلقى إلا على مسميات؛ سواء كانت عيناً قائمة بذاتها، أم صفة في غيرها، فالتسمية تطلق على صفات وخصائص ما؛ بحيث إذا ما ذكر الاسم تواردت صفاته وخصائصه تلقائياً.

والدَّلالة نوعان: لفظيَّة؛ وغير اللفظيَّة، وكل منها ثلاثة أنواع: وضعية، وعقلية، وطبيعية (عادية).

### - المعارف البشرية بعد المعارف الأصلية:

لا يشترط في المعرفة المكتسبة أن تكون كُلَّها قائمة على الأدلة المنطقية، وهذا لا يعني إبطال عمل العقل في المعرفة، ولكن الفطرة أعمَّ من أن تقتيد في تحصيلها

للمعرفة بالدليل المنطقى، المرتب والمركب من مقدمات منطقية، فقد تكون هذه الأدلة على أوضح ما تكون، ومع ذلك ينكر الشخص معرفته بالحقيقة.

وللفطرة من الاستعدادات للتوجّه نحو الخير ما يعينها على إدراك الحق والميل نحوه، فلها منطقها الذي هو أعمّ من منطق العقل المقنن. وهذا ما نلمحه في الأدلة التي أقامها الله سبحانه وتعالى على وحدانيته؛ حيث كانت على وجهين، الأولى: أدلة كونية، تدرك بطريق النظر في الآفاق، وأدلة كونية تدرك بالنظر في الأنفس؛ إذ قال تعالى: ﴿سَرِّيْهُمْ أَيَّتَاهُ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَنْجَحُ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ مَا يَأْتِي لِتُعَقِّبُنَّ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَيِّنُونَ﴾ [الذاريات: ٢١-٢٠]، فجمع سبحانه بين نظر الأنفس إلى ذاتها وإلى الأدلة الكونية في الخارج، ومن ثم فإن وجود الأدلة غير كاف للمعرفة ما لم يحصل التوجّه من النفس نحو الإفادة من هذه الأدلة لتحصيل العلم والمعرفة أو الإيمان، فمن طمس على بصيرته بالمعاصي وتعطلت عنده أجهزة الاستقبال الفطرية والاستعداد للانتفاع بالدليل والإفادة منه لا ينفع إقامة الأدلة عليه، ولا يحصل عنده علم، سوى أن يكون حجّة عليه لا غير.

ولعل استعمال القرآن في كثير من آياته كلمة "لعل" في باب المعرفة يدل على أنّ وجود الشروط الخارجية لاكتساب المعرفة قد لا يعني أن يتعلم الإنسان بحكم الضرورة، وأن يصل إلى الحقيقة، فالحقيقة العقلية التي يستطيع الإنسان اكتسابها تعتمد على قابلية الاستقبال لها". ولكي نفهم مراتب حصول المعرفة كما وردت في القرآن علينا أن نقسمها على حسب المراتب العامة للهداية وإقامة الحجّة، أو مدارك الناس الدنيوية، ومقامها السمع

والبصر والعقل، ثم يليه المداية الثانية؛ ومردّها إلى الهدى الرباني. وهذه مقامات متتصاعدة درجات يقابلها مقامات متنازلة دركات في من أصله الله.

فحصول العلم له علاقة بتوجّه النفس أو الإرادة، نحو الإفادة من الحقّ، وبالدليل الذي هو منه من الله تعالى، فحصول المعرفة الأولى لإقامة الحجة لازم وقطعيّ، وحصول المعرفة الثانية للاهتداء لازم متعلّق بميل النفس نحوه، ثم حصول المعرفة الثالثة بزيادة الهدى والإيمان والتقوى لازم عن الثانية، وهو من عند الله لا دخل للإنسان به، إلّا اتخاذ أسباب المعرفة الثانية، أمّا الأولى؛ فقدّر الله بأن منحه القدرة والإرادة، فكان محيراً، وفي الثالثة كانت منه زيادة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُعَذِّبَنَ حَتَّىٰ يَتَعَظَّ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ [النساء: ١٦٥] فهذا مقام المعرفة الأوّل، وهو بيان لا يستثنى فيها أحد إلّا من رفع عنه القلم.

والعلوم الدنيوية المقصود منها قسمان؛ الأول في الدنيا، ويحصل للمؤمن وللكافر باتخاذ أسباب الحصول عليه التي سخرها الله للناس جميعاً، إلّا أنّ للمؤمن زيادة فضل في الأجر الدنيوي بالأخروي، والتوفيق أكثر إن اتخذ تلك الأسباب. أمّا المقصود الثاني وهو الآخروي فالكافر محروم منه، والمؤمن كلّما أدرك مقومات السير في الأرض زاد إيماناً، وارتفعت درجاته في الآخرة. وهذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سُوِّا مَا ذُكِرَ رُوِيَهُ فَتَحَتَّ عَلَيْهِمْ آبَوَابَ كُلِّ شَهْرٍ حَتَّىٰ إِذَا فِرِحُوا إِمَّا أُوتُوا أَخْدَثَهُمْ بَعْثَةً إِلَّا هُمْ مُلْسُونَ﴾ [الأعاصم: ٤٤].

والتمكّن من كلّ شيء لا يكون إلّا بتوافر شرطين: القدرة والحكمة. والقدرة تكون في توافر الأسباب الماديّة الأولى من مواد وطاقات بشرية، وقدرات أمنية لحماية المقدرات، أمّا الحكمة فتكون بتوافر المعرفة والعلم،

وحسن استعمالها، والتسيير الجيد، والاستغلال الكامل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ  
أَهْلَ الْقَرَىٰ إِمَّا مَأْتُوا وَأَتَقْوَى لَفَتَحًا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْذَتْهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالاستخلاف في الأرض له غاية تكمن في العبودية، بينما طبيعة المعرفة في المفهوم الفلسفـي بشرية مادية، وعلى ذلك فإن أعلى أنواع المعرفة في المفهوم القرآني هو الإيمان بالله ويقابلـه الكفر؛ فالقرآن يتناول مسألة المعرفة مع القلب واللبـ والرؤـاد أكثر من غيره؛ ليدلـ على أنـ المقصـد ليس المعرفـة العقلـية النظرـية البعـيدة عن هـدى الفـطرـة واستـعدادـاتها.

ومن هنا نرى أنـ عملية البحث عن المعرفـة تتعاونـ فيها وسائلـ الحسـ الظـاهـرةـ والـبـاطـنةـ، والأـدـواتـ التي تـسـتـخدـمـهاـ الحـواسـ، وـمـواـزـينـ العـقـلـ الفـطـرـيـةـ وـالـمـكـتبـةـ، وـمـعـارـفـهـ السـابـقـةـ التي اكتـسـبـهاـ بـنـفـسـهـ وـالـتيـ تـلـقاـهاـ عنـ غيرـهـ ما اكتـسـبـهـ الآـخـرـونـ، يـضـافـ إـلـىـ ذـلـكـ الـوـحـيـ، فـتـكـونـ الـعـارـفـ ماـ بـيـنـ فـطـرـيـ وـضـرـوريـ وـنـظـريـ، وـالـأـوـلـ خـلـقـ فـيـ إـلـيـانـ مـنـذـ وـلـادـتـهـ لـاـ تـغـيـرـ لـأـصـلـهـ، وـالـثـانـيـ: ماـ يـكـونـ إـدـرـاكـ الشـيـءـ فـيـ ضـرـوريـاـ؛ بـحـيثـ يـضـطـرـ إـلـيـهـ مـنـ غـيرـ نـظـرـ وـلـاـ اـسـتـدـلـالـ، وـيـمـثـلـ الـقـضـاـيـاـ الـأـوـلـيـةـ، أـمـاـ الـثـالـثـ: ماـ يـكـونـ إـدـرـاكـ فـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ نـظـرـ وـاسـتـدـلـالـ وـإـعـالـ الذـهـنـ، كـالـعـلـمـ بـأـنـوـاعـ الـعـارـفـ وـالـعـلـومـ، فـالـحـسـ مـثـلاـ يـشـعـرـ بـلـذـعـ النـارـ، فـيـكـوـنـ ذـلـكـ لـدـيـ إـلـيـانـ خـبـرـاـ مـاـ حـولـ النـارـ، وـهـكـذاـ تـوـارـدـ التـجـارـبـ فـيـ حـيـةـ إـلـيـانـ، وـيـكـسـبـ مـنـهـاـ مـعـارـفـ عـنـ طـرـيقـ الـإـحـسـاسـ الـمـباـشـرـ لـلـظـاهـرـةـ. وـهـذـهـ الـحـواسـ هـيـ بـمـثـابةـ مـنـافـذـ لـلـفـكـرـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـمـادـيـ الـمـحـسـوسـ. ثـمـ تـنـقـلـ تـلـكـ الـمـعـارـفـ إـلـىـ مـنـطـقـةـ إـدـرـاكـ الـفـكـرـيـ، وـتـسـجـلـ

الذاكرة ما تؤكّده الحواس بالتجربة، وبعد ذلك يبدأ الفكر عمله فيها سجّلته الحافظة من صور، كما يستفيد الفكر من المعرف السابقة لبناء فكره وتطويره.

والقرآن الكريم يقرّ بمعارف السابقين، ويدعو إلى إقامة وحدة لمعارف الوحي بين أتباع الرسل، وذلك بالاعتماد على أسلوب التصديق والهيمنة، بأن يوافق كُلّ معرفة لم يطرأ عليها تحريف أو انتحال، ثمّ الميمنة عليها بها ورد فيه. فالمعرفة في أصلها طارئة مع حدوث أدواتها ووسائلها الداخلية والخارجية، والإنسان أوي استعداداً وقابلية للعلم، لكن العلم صفة طارئة لا ذاتية فيه، بمعنى أنّ "العلم وإن كان صفة للإنسان؛ إلا أنه ليس عنصراً ذاتياً فيه، ولكنه معنى قائم بالعالم".

#### ت- المعرفة القرآنية معرفة خصائص لا ماهية:

يرى بعض الباحثين أن الفلسفة مستوى من التعميم يحاول أن يردد مفردات القيم السلوكية والمعارف والعلوم على اختلافها إلى قيمة واحدة، ومهما تها استخراج ما هو مضمون في أحکامنا واعتقاداتنا لنقلها من حالة الكمون إلى حالة العلن، ويظن البعض أنّ هذا التحديد لمعنى الفلسفة يقود إلى الزعم الصادق بأنّ للفكر الفلسفـي علاقة وثيقة بالدين، وأنّ الفلسفة نشأت في صورة نقدٍ فكريٍ للمعتقدات الدينية والأخلاقية.

يرشدنا القرآن الكريم إلى الحقائق الظاهرة التي تستفيد منها في العلم والعمل، فكلّ مسألة لا ينبي إليها عمل لا يستحسن الخوض فيها، والدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البقرة: 190]

[١٨٩]، فوقع الجواب بما يتعلّق به العمل؛ إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الـهـلـلـاـلـ: لم يـبـدـوـ فيـ أـوـلـ الشـهـرـ دقـيـقاًـ كـالـخـيـطـ، ثـمـ يـمـتـلـئـ حتـىـ يـصـيرـ بـدـراًـ، ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ حـالـتـهـ الأـولـىـ؟ـ وـمـنـ الـأـدـلـةـ كـذـلـكـ قولـهـ تـعـالـىـ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَأْنِوْعُ عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْوِيْكُم﴾ [المائدة: ١٥١]، وـقولـهـ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلِمَّا رَأَيُوكُمْ مُّهَاجِرِيْنَ﴾ [الإسراء: ٨٥]. فـحـقـيقـةـ الـأـشـيـاءـ وـكـنـنـهـاـ وـمـاهـيـتـهـاـ لـاـ يـعـلـمـهـاـ إـلـىـ اللهـ سـبـحـانـهـ، وـمـنـ ثـمـ كـانـ تـمـيـزـ منـهـجـ الـبـحـثـ الـإـسـلـامـيـ أـنـ اـعـتـرـفـ بـوـجـودـ الـأـشـيـاءـ فـيـ عـالـمـيـ الغـيـبـ وـالـشـهـادـةـ، وـجـعـلـ فـيـ إـمـكـانـ الـكـيـنـوـنـةـ الـعـارـفـةـ أـنـ تـسـتـدـلـ عـلـىـ جـوـدـهـاـ.ـ وـلـكـنـ كـنـهـ الـأـشـيـاءـ لـاـ يـقـعـ فـيـ دـائـرـةـ الـمـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـةـ؛ـ لـأـنـ اللهـ يـعـلـمـ أـنـ مـعـرـفـةـ الـكـنـهـ لـاـ تـسـتـلـزـمـهـاـ مـهـمـةـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـحـيـاةـ.

فالـتـعـرـيفـاتـ قدـ تـدـرـكـ بـطـرـيـقـ تـقـرـيـبيـ،ـ كـمـاـ لـوـ طـلـبـ معـنـىـ الـإـنـسـانـ.ـ فـقـيلـ إـنـهـ هـذـاـ الـذـيـ أـنـتـ مـنـ جـنـسـهـ،ـ فـيـحـصـلـ فـهـمـ الـخـطـابـ مـعـ هـذـاـ الفـهـمـ التـقـرـيـبيــ حتـىـ يـمـكـنـ الـأـمـتـالـ،ـ وـعـلـىـ هـذـاـ وـقـعـ الـبـيـانـ الـقـرـآـنـيـ،ـ فـيـكـوـنـ تـفـسـيـرـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ بـمـفـرـدـاتـهاـ لـغـةـ مـنـ حـيـثـ كـانـ أـظـهـرـ فـيـ الـفـهـمـ مـنـهـاـ.ـ فـالـصـلـةـ الـتـيـ يـدـعـوـ إـلـيـهاـ الـقـرـآنـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـمـعـرـفـةـ وـبـيـنـ الـإـنـسـانـ الـذـيـ يـعـرـفـ وـيـعـلـمـ هـيـ التـيـ تـهـمـلـهـاـ مـنـاهـجـ الـبـحـثـ الـتـيـ يـسـمـوـنـهـاـ عـلـمـيـةـ فـيـ هـذـاـ الزـمـانـ،ـ فـتـقـطـعـ مـاـ وـصـلـ اللـهـ مـنـ وـشـيـجـةـ بـيـنـ النـاسـ وـالـكـوـنـ الـذـيـ يـعـيـشـونـ فـيـهـ،ـ فـالـنـاسـ قـطـعـةـ مـنـ هـذـاـ الكـوـنـ،ـ لـاـ تـسـتـقـيمـ حـيـاتـهـ إـلـاـ حـيـنـ تـبـنـضـ قـلـوبـهـ بـنـبـضـهـ.ـ وـالـمـهـجـ الـإـيـمـانـ لـاـ يـنـقـصـ شـيـئـاًـ مـنـ ثـمـارـ الـمـهـجـ الـعـلـمـيـ فـيـ إـدـرـاكـ الـحـقـائقـ الـمـفـرـدةـ،ـ وـلـكـنـهـ يـزـيدـ عـلـيـهـ رـبـطـ هـذـهـ الـحـقـائقـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ،ـ وـالـبـحـثـ فـيـ الـخـصـائـصـ رـبـحـ لـلـوقـتـ وـتـوـفـيرـ لـلـجـهـدـ وـزـيـادـةـ لـلـفـائـدـ،ـ فـيـكـوـنـ الـطـرـيـقـ قـصـيـراًـ وـالتـائـجـ مـهـمـةـ،ـ وـتـوـافـيـ الـجـهـدـ الـمـبـذـولـ لـتـحـصـيلـهـاـ.

## ثـ- المعرفة والوجود:

يدعو القرآن الكريم إلى البدء من الوجود إلى المعرفة، وليس العكس، لأنه لا يوجد بحث مجرّد ولا معرفة مجرّدة، وإنما الإيمان قضيّة تظهر إلى الوعي من أعماق النفس. والعقيدة في مجتمع ما إنما تلقن وتسير الحياة وفقها قبل طور الوعي الفردي للشخص، والإنسان يؤمّن بعقيدة قبل أن يصوغ نظرية في المعرفة. من هنا يكون دور المعرفة هو مناقشة قناعات الإنسان واعتقاداته، فما كان منها صادقاً أقره وما كان غير ذلك رفضه، وتتدخل هنا عوامل البيئة والتربية، بالإضافة إلى الفطرة، فالمعرفة علم ووعي بالاعتقاد، والوجود أوسع من دائرة المعرفة ويتجاوزها.

فالمعرفة إدراك للمعتقدات وما تستلزم في نظام الحياة. وأصولها في القرآن هي أصول للمعرفة الإنسانية، وخصائصها صادرة عن الوجود بكونه سبباً وهي المسبّب. فالوجود حاوٍ لدائرة المعرفة ويتجاوزها، والمعرفة علم بما يستلزم الاعتقاد من شريعة، ونظام يتسم به الوجود.

والقرآن الكريم أيقظ الفطرة البشرية من أجل الإيمان بوحدانية الله في الوجود، وانفراده في الخلق له، فوجوده سبحانه والوجود بصفة عامة أسبق من الإنسان وإدراكه؛ فالوجود مؤثّر، والمعرفة أثره الحاصل في النفس المدركة بعد مباشرة العمليات الإدراكية. والقرآن يقرّر إثبات وجود خارجيّ عينيّ مستقل عن الذات العارفة وإدراكتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وأعقبها ﴿وَعَلَمَ إِذَا دَخَلَ الْأَهْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. فالآياتان تشيران إلى استقلال الأشياء من سماوات وأرض

وملائكة عن الإنسان؛ وأنها قد خلقت قبله، فكان وجودها سبباً للمعرفة، وال موجودات الخارجية تنقسم بالنسبة إلى الإنسان إلى قسمين: موجودات في عالم الشهادة: وهي الأشياء التي تحيط بالإنسان في عالم الطبيعة، من جماد ونبات وحيوان وإنسان، ويدركها بحواسه. وموجودات في عالم الغيب: وذلك كاللوح المحفوظ والجنة والنار والعرش، والوحي الذي أنزل كان إيقاظاً للإنسان كي يقرأ باسم رب الذي خلقه، وخلق الوجود الذي هو منه، قال تعالى: ﴿أَقْرَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَصِيقٍ﴾ ﴿أَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْمَ﴾ ﴿الَّذِي عَمَّ إِلَقَ﴾ ﴿عَمَّ الْإِنْسَنَ مَا لَهُ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ١-٥].

فالوجود أعمّ من الإدراك المعرفي؛ لأن المعرفة والعلم ليسا إلا نوعاً من أنواعه، ووجود العالمين: الغيب والشهادة، عقيدة رئيسة في القرآن الكريم، وهي من أقوى الأدلة على نسبية المعرفة وحدودية الإدراك كما وكيفاً. فالله سبحانه بيّن أنّ ما رزقه للإنسان إنما لأداء دور الاستخلاف في الأرض للوصول إلى تحقيق العبودية لله تعالى. وأعلى الناس معرفة هو النبي عليه الصلاة والسلام أمره الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَقَقَ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ٧٦].

### ثالثاً: ميدان المعرفة

جاء تقسيم المعرفة في القرآن على ميدانين، هما: الغيب والشهادة، وهذه الثنائيّة منسجمة مع الوجود، على مسلمة مفادها أنّ الله تعالى يمثل الطرف الأول في هذا الوجود، في حين تمثّل عناصر هذا الكون طرفه الثاني". وهذه الازدواجيّة مقاربة لإزدواجيّة الطاقات الحسيّة والطاقات العقلية، و مشابهة لها

ازدواجية الفطرة الإنسانية في معرفة مجال المعرفة، فمجال عالم الشهادة يكون بالإيمان بالمحسوس، و المجال عالم الغيب بالإيمان باللامحسوس، و المجال عالم الغيب معقول من حيث مبدأ التسليم بوجوده، ولكنه من ناحية أخرى خارج عن نطاق العقل في كيفيته وتفاصيلاته، وهكذا نجد أن هذه المعرفة لذين المجالين هي إيمان مزدوج. فالطاقة الحسية والعقلية معاً تمارس نشاطها في عالم الشهادة، ولكن الطاقة الحسية يقتصر عملها على ميدان المحسوسات، على غير الطاقة العقلية. وقد تكلّم الله تعالى عن الكون فيوصفه عوالم متعددة، كما في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْن﴾ [الفاتحة: ۲]. مما يؤكّد أنّ ثمة عوالم كثيرة من حيث العدد، ييد أنها من حيث النوع عالمان؛ عالم غيب وعالم شهادة، ﴿عَلَمُ الْغَيْبِ وَالنَّهَدَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ﴾ [الرعد: ۹].

## ١ - العلاقة بين ميدان الشهادة وميدان الغيب:

لا شك أن إيراد أحد المصطلحين يستلزم الآخر عند كل المؤمنين بهما؛ لأنّ الإيمان بعالم الغيب يكسب المعتقد له قوّة التهاسك، واستمرار الأمل في الحياة وبعد الممات، واتساعاً لمصادر المعرفة وغاياتها. وأيات عالم الشهادة في القرآن الكريم تزود المؤمن بنوع من التهاسك المتجلي في ميدانين، هما: الآفاق والأنفس؛ إذ جعل الله تعالى هذين الميدانين من مستويات تجلية آياته، وإثبات نصره لأوليائه، وموقع لتفكير الإنسان وتدبّره كيما يطمئن بعالم الشهادة على صحة ما ورد عن عالم غائب عنه.

فمرحلة الإيمان بعالم الشهادة تمثل مرحلة وعي لفهم ما أمر الله سبحانه به، وذاك مقتضى العقل والفطرة وعين الصواب. وحين يحدث ذلك الوعي؛ فإن

التوازن يتحقق للإنسان على مختلف المستويات، ويتحقق عندها منهج القرآن في أمره الناس بالنظر في سير الأمم والأحداث في الأرض، كيما يروا عالم الشهادة؛ من خلال إيمانهم بحقيقة ما جاء في عالم الغيب، فالمنهج المعرفي القرآني يرمي إلى إيجاد المتعلّم المستوعب لقوانين الشهادة المستمدّة من عالم الغيب؛ ليتحقق الارتباط الإيجابي بين الغيب والشهادة، ولا يتم ذلك إلا بتخصيص قدر مناسب من مفردات المحتوى، مع الربط بينهما وبين عالم الغيب.

مما سبق يمكن إبراز التكامل بين العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة، في مظهرتين: "الأول: وجود أدلة عالم الغيب في عالم الشهادة. والثاني: بروز المخلوقات من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، ثم تنتقل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب بانتظام واطرداد، فمفهوم الغيب والشهادة في القرآن هو المفهوم الذي يحدد معنى الحياة والوجود وغایتيهما، وعلاقة ذلك بها وراء الحياة وما وراء الوجود؛ إذ إنّ مفهوم الغيب والشهادة هو الإطار الأشمل الذي يحدد معنى العقل الإنساني ودوره في الحياة الإنسانية وحدود هذا الدور و مجالاته.

## ٢ - عالم الغيب

### أ- التعريف اللغوي للغيب:

(غ ي ب) أصل صحيح يدلّ على تسلّر الشيء عن العيون. ويقال: غابت الشمس تغيب، غيبةً، غُيوبًا، ووَقَعْنَا فِي غَيْبَةٍ وَغَيَابَةٍ؛ أي هبطةٌ من الأرض يُغلب فيها ﴿وَالْقُوَّةُ فِي غَيَّبَاتِ الْجَهَنَّمِ﴾ [يوسف: ١٠]. والغيبة: الواقعة في الناس من هذا، لأنها لا تقال إلا في غيبة. ويدور معنى اللفظ على ما خفي وتسّر عن المُعْنَى، وكلّ ما اشتقت منه يرجع إلى هذا الأصل؛ لذا سنجد

التعريفات الاصطلاحية تساير هذا.

## بــ التعريف الاصطلاحي:

الغيب: الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهة العقل.  
والغيب المكتنون والغيب المصنون، هو السر الذاتي وكنهه الذي لا يعرفه إلا هو؛ وعند الأصفهاني: هو ما لم يقم عليه دليل، ولم ينصب له أماره، ولم يتعلّق به علم مخلوق. وقيل: الغيب: هو الخفي الذي لا يكون محسوساً، ولا في قوّة المحسوس كالمعلومات بديهية العقل أو ضرورة الكشف. وتطلق كلمة الغيب على كل شيء غاب عن إدراك حواس الخلاق كلهم أو بعضهم، أمّا الله سبحانه؛ فلا شيء في الوجود كله هو غيب بالنسبة إليه، بل كل ما في الوجود هو من عالم الشهادة بالنسبة إليه.

ورد لفظ الغيب في القرآن ثلاثاً وخمسين مرّة، أربع مرات منها بصيغة الجمع "الغيوب"، ومرة واحدة بصيغة "غيبة"، قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِدِينَ﴾ [النمل: ٢٠]؛ فاستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان ﴿وَمَا يُمِنُّ غَائِبَةً فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥].  
والغيب في قوله تعالى: ﴿مُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]؛ ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بدهة العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد. قال تعالى: ﴿حَفِظْنَاهُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]؛ أي لا يفعلن في غيبة الزوج ما يكرهه. ويُقسّم الغيب إلى أقسام، منها: قسم نصب عليه دليل فيمكن معرفته، كذات الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأحوال الآخرة، إلى غير ذلك، وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته كما قال

تعالى: ﴿وَعِنْهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقسم هو الغيب الإضافي؛ وهو درجتان؛ غيب مكانيٌ وغيب زمانيٌ، فالمكانيٌ ما غاب عنك بعده عن نظرك، أمّا الزمانيٌ فما ضي لم تدركه؛ إمّا وجوداً أو معرفة، ومستقبل آت، وحال وقوعه هو غيب في حقّ من كان غائباً عنها.

### ت- خصائص الغيب:

منها أن عالم الغيب يمثل عالم اللاحموسوس، وأن عالم الشهادة قد يكون ما فيه غيّاً إضافياً؛ أي ينجزّ حسب المضاف إليه، ومنه قسم عظيم من عالم الغيب خصّ الله عزّ وجلّ به نفسه، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِنْدِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة. ومنه مفاتيح الغيب ﴿وَعِنْهُ مَقَاتِلُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ومنه ما أطلع عليه من ارتضى سبحانه ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَقَنَا مِنْ رَسُولِنَا﴾ [الجن: ٢٧]؛ ومن صفات عالم الغيب استغراق علمه للجزئيات والكليات معاً ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ لَا يَعْزِزُ عَنْهُ مِنْ قَالُ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَنْفَكُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْتَبُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سيا: ٣]، فشمول علم الله للغيب كله صفة خاصة به جل جلاله. ومن الغيب قسم قابل لأن يكون من عالم الشهادة؛ إذا تهيأت للمخلوقات شروط مشاهدته.

### ث- أدوات معرفة الغيب:

ينطلق منهج المعرفة في عالم الغيب من مدركات حسية؛ متتجاوزاً الإطار المادي المحدود، ليتفاعل مع المبادئ الأولية للعقل، فيتمكن من إدراك قضايا الغيب الكبرى من ألوهية وربوبية وأسماء وصفات ونبوة، على نحو من المعرفة العلمية. ويإمكان العقل معرفة بعض الكليات، كوجود الله تعالى،

والنبوة، بوصفها طريقاً إلى المعرفة الغيبية، ولكن أياً من الحس أو العقل لا يقوى على أن يصل إلى معرفة تفصيلية عن عالم الغيب؛ لأن طريق ذلك هو الوحي فحسب، ولا طريق إلى المعرفة التفصيلية بالحس أو العقل. فالخبر اليقين "الوحي" هو مصدر هذه المعرفة، وهذا ينعكس على المنهج المعرفي في الإسلام، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ وَلِكِنْ جَعَلْنَا نُورًا تُهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عَبْدِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

حينما يدعو القرآن الناس إلى الإيمان بأصول الغيب بوجههم إلى ذلك عن طريق البحث العلمي، ويختمهم على استخدام أدواتهم المعرفية؛ للتفكير والتدبر في دلائل القدرة وسعه العلم الدالة على قدرة الخالق، ويرشدهم إلى أنّ هذه الدلائل منبثقة في السماء والأرض، وفي أنفسهم، وفيما حولهم ﴿أَفَلَمْ يُنَظِّرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهَمُهُ كَيْفَ بَنَنَاهَا وَرَبَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُروجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَأَقْبَلَنَا فِيهَا رَوَسِيَّا وَأَبْنَانِنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رُوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّثِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ - ٨]، ففي هذا إثارة للعقل الإنساني بما يوصله إلى الاطمئنان للخبر المتواتر، ويقوده هذا إلى الركون لتفاصيلات الغيب، وأنّ لا طاقة له بها؛ إذ لم يستوعب ما هو في مجده في الشهادة، وعجز عن كثير مما هو فيها، فكيف به مع ما هو خارج عن نطاقه؟! وهذا يصدق في الغيب الذي لا يصبح من عالم الشهادة، أمّا ما يمكن أن يدرك؛ فيصبح من عالم الشهادة، فالبحث فيه يطاله الحس والعقل.

### - مبادئ الغيب:

يمثل ميدان الغيب مصدراً لمعرفة يتلقّاها الإنسان بكونه مستقبلاً للمعرفة، ويمكن تحديد مبادئ عالم الغيب، في أن الوجود ذو غاية خيرّة،

وأن علاقات الوجود الكلية غير خاضعة لإرادة الإنسان؛ وأن وجود الله تعالى يمثل أهم معطى في عالم الغيب بالنسبة إلى الإنسان، وأن الدار الآخرة تمثل محصلة حسابية وجزئية نهائية لما قدمه الإنسان في الدنيا، وأن الإرادة الإنسانية وفق علم الله وأمره، وأن المداية والضلال في حياة الإنسان مصير فردي يسبق في علم الله حين وهب الإنسان الحرية في الاختيار؛ لذا لا معنى للتواكل والقول بالجبر ومظاهر العجز، وأن الوحي هو المصدر الذي يمدّ الإنسان بحاجاته المعرفية الغيبية، وأن العقل والوحي يتكملان لتحقيق موقع الإنسان في عالم الشهادة، وسعيه إلى تحقيق الغاية منها بعالم الشهادة، وعلى هذا الأساس يتم تصميم المنهج بعيداً عن الثنائيات العقيمة للدين والدولة، والعقل والنقل، والأصالة والمعاصرة.

### ٣- عالم الشهادة:

الغيب في الاصطلاح خلاف الشهادة، والغيب ما غاب عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب. فميدان الشهادة يعقل بالتعاون مع الحواس، فيكون الكون ميداناً لعالم الشهادة في كلّ ما كان محسوساً. مع كون النظر إلى هذا الميدان مبنيّ على التكامل والتوازن، لأنَّ الخلافة قائمة على مواجهة عالم الشهادة والتعامل معه بحسبانه ميداناً للإنجازات العظيمة؛ عن طريق تسخير القوانين المودعة فيه، من خلال عقلانية حاسمة قائمة على أساس السببية والتوافقية والتعامل المباشر مع أجزائه.

### أ- التعريف اللغويّ:

شهد: (ش ه د) أصلٌ يدلّ على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء

من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة، التي تجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والإعلام. ومن أسماء الله الشهيد؛ أي الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد هو الحاضر، فالعلم إذا عُدّ مطلقاً كان الله هو العليم، وإذا أضيف في الأمور الباطنة فهو الخبر، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، والشهادة خبر قاطع تقول منه: شهد الرجل على كذا، فالشاهد هو العالم الذي يبيّن ما علمه، والمشاهدة: المعاينة.

### ب- التعريف الاصطلاحي:

ورد لفظ شهد بمشتقاته مائة وأربع وعشرين مرّة، في سبعة أوجه، فالمشاهدة وردت في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ إِلَيْهِمْ شَهُودٌ﴾ [البروج: ٧]؛ أي حضور. وتكون الشهادة إما بالبصر، أو بال بصيرة، فهي خبر قاطع يؤدي معنى الإقرار والحجّة، مع وجود العلم بذلك، ولكن الشهود بالحضور المجرّد أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَشَهَدُوا حَلْقَهُم﴾ [الزخرف: ١٩]؛ يعني مشاهدة بالبصر، وقوله: ﴿سَتَكْبِثُ شَهَدَتُهُم﴾ [الزخرف: ١٩]؛ تنبئهاً بأنّ الشهادة تكون عن علم وحضور، وقوله: ﴿مَا أَشَدَّتُهُمْ حَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا حَلْقَ أَنفُسِهِم﴾ [الكهف: ٥١]؛ أي ما جعلتهم ممّن اطلعوا بصيرتهم على خلقها، وقوله: ﴿وَأَنْتُ شَهِيدُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]؛ أي تعلمون، وقوله: ﴿عَنِيلُ الْقَيْبِ وَالشَّهَدَةِ﴾ [الرعد: ٩]؛ أي ما يغيب عن حواس الناس وبصائرهم وما يشهدونه بهما.

### ت- أقسام الشهادة:

عالم المحسوس في مجال الإدراك، هو ميدان الآفاق وميدان الأنفس؛ إذ

هـما مشاهدان ومحسوسان، وورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿سَرِّيْهُمْ إِيْنَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَفْسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقْقُ﴾ [فصلت: ٥٣]. نقل الشوكاني في تفسيره عن بيان معنى الأفق جملة من كلام السلف: قال ابن يزيد: الأفاق آيات السماء. وقال قتادة والضحاك: وقائع الله في الأمم. وقال عطاء: يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح وغير ذلك، " وزاد ابن كثير: الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وقال الرازبي: الآيات الفلكية الكوكبية، وأيات الليل والنهار، وأيات الأضواء والإظلال والظلمات، وأيات عالم العناصر الأربعـة، وأيات المواليد الثلاثة.

ثـ- العلاقة بين ميدان الآفاق وميدان الأنفس:

هنا لك علاقة جلية بين الميدانين من خلال اجتماعهما في الذكر كلما ورد أحدهما، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا أَسْهَدُتُهُمْ حَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا حَلَقَ أَنفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَحِدًّا مُضْلِلَيْنَ عَصْدًا﴾ [الكهف: ٥١]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ مَا يَنْتَ لِتُعْقِبَنَ﴾ [٢٠] و﴿فَإِنَّكُمْ أَفَلَّا تَبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١-٢٠]. والقرآن يرينا تكامل الميدانين؛ إذ إن الكون مسخر للإنسان، نافياً بذلك نظرية الصراع بين الإنسان والكون، ومنه نلمس الترابط في المنهج المعرفي؛ فمعرفة الميدانين تحدث تكاملاً للمعرفة، فالإنسان يسعى إلى الخلافة واستعمار الأرض بحثاً عن السعادة والرفاهية، وهذا يقتضي إدراك سبل تسخير الآفاق، وإدراك سبل فهم النفس الإنسانية و حاجياتها، وكلما توسع الإنسان في فهم الكون زاد تسخيره له، فتطوّر الإنسان مبني على قدرته وكفاءته في التعامل مع الكون والأنفس،

من خلال معرفته بمواطن الصلاح ومواقع الفساد، سعيًا نحو الخير العام للإنسان كيما يرقى في المعرفة، ويعلو في درجات الإفادة مما توفر له من طاقات في الآفاق والأنفس.

#### **رابعاً: ضوابط المعرفة في القرآن الكريم**

من خلال التأمل في كتاب الله تعالى تظهر العناية بالتفكير المنضبط، في جانبيه الأخلاقي والعلمي؛ ذلك أن الانضباط الخلقي في مسألة المعرفة لا يكفي، فلا يُقبل من الباحث أن يكون أميناً في نقله للمعلومات من غير أن يستكمل أجزاءها، ولا يكفي الانضباط العلمي في مسألة المعرفة، فلا بدّ من ضوابط أخلاقية وعلمية تُسرِّي على قواعد المعرفة جميعها؛ فالقرآن الكريم يهدي إلى محاسن الأمور في المعارف، ويحدّ الحدود التي تصيب المنهج المعرفي، كيما لا يشطط عن هدى الوحي الرامي إلى خير البشرية في الدنيا والآخرة، فالقدح في الشع، أو انتقاد العقل، كلاماً آفاناً تنخر التطور المعرفي، والتكمال بين المصادر المعرفية. فكان لِزاماً جمع ضوابط تُيسِّر البحث وتتنّزَّهه من الأخطاء الهاダメة لمنهجية البحث السليم.

##### **١ - الضوابط الأخلاقية للمعرفة في القرآن الكريم:**

تكمّن أهمية الكلام عن الضوابط الأخلاقية للمعرفة بوصفها محدداً معرفياً لضمون العمل الأخلاقي. فالقرآن الكريم تبرز فيه القيم الأخلاقية على كونها "أحكامًا، أو مبادئ فطرية في عقل الإنسان بعد ولادته، من خلال حركة الإنسان في الحياة، ولا يعني هذا أنَّ الإنسان ينساق دائمًا إلى امتهالها،

بل قد يخالفها، لكنه يبقى عالماً بها، شاعراً بمخالفته لها، وهذا من علامة فطريتها، إذا كان غاية المعرفة تمكين الإنسان من الخلافة والعمارة، وفق منهج الله تعالى، فالقرآن الكريم هو مصدر للأخلاق والقيم التي يجب أن يسير عليها المستخلف؛ لتكون الأحكام الشرعية ضوابط وحدود للتعامل مع الآخر، والتعامل مع الكون بصورة المختلفة الجامدة والحيّة؛ كي لا يسعى الإنسان إلى خراب الكون والإفساد في الأرض بتحصيله لمعرفة من غير أخلاق، ولا ضوابط توجه تلك المعرفة نحو الصواب والخير.

### أ- النهي عن التنازع:

هناك فرق بين التنافس والتنازع، فالأول محمود بذل المقصد؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْنَافِينَ الْمُنَنِفُسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أمّا التنازع فنهایته التفرق؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْزَعُوا فَنَقْشَلُوا وَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأفال: ٤٦]. فالخلاف قسمان؛ مأذون فيه، بل هو أحد أوصمة التراث العلمي للمسلمين؛ وهو يمثل الثورة العلمية والثروة المعرفية، وفيه تعمق لإدراك الحق وتحصيل الفوائد العلمية والعملية. وميدان هذا المسائل الاجتهادية التي يتسع لها الاختلاف، لكن القرآن الكريم قد نهى في غير ما آية عن مسلك بعض أهل الكتاب الذين تبانت أحكامهم جملة من أصول الدين عندهم، مع توافق المعرفة على نحو يَّعنِّي، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاحْتَلَلُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنُتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَدَائِ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] فمن أخطر الإصابات الذاتية التي يمكن أن تلحق بالنخبة والأمة على حد سواء: انتقال علل التدين التي كانت سبباً في سقوط الأمم السابقة وانقراضها عندما افتقد

العلم أخلاقه وأهدافه الخيرة، فتتحول من معرفة بالله إلى وسيلة باغية، وأصبح سبباً في تمزيق الأمة وتفريق الدين.

وقد عُلم من نبأ الأولين في الحياة الفكرية والعقدية أنّ أسباب الاختلاف كثيرة، وكلها خطا الإنسان خطوات في سبيل المدنية والحضارة؛ اتسعت فرجات الخلاف، حتى تولّد المذاهب والطوائف والديانات، وغير ذلك، ومنشأ المذموم منه يكون في اتباع الهوى؛ "﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ إِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَنَ الْفَلَلِيْمِ﴾" [البقرة: ١٤٥]، فمن يهتم بالوحى هو من يخالف الهوى "﴿أَفَنَّ كَانَ عَلَىٰ بِيَنَتِهِ كَمْ زُيَّنَ لَهُ سُوءُ حَمْلِهِ، وَأَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾" [محمد: ١٤] فالقرآن والسنة هما مصدر المعرفة الرئيسيّين. والخلاف الذي يصادم الوحي ويعارضه هو اتباع للهوى، إما لحبّ الدنيا، أو بغضّاً لأهل الإيمان، وتکبراً واستعلاءً بما عنده من علم، قال على لسان قارون: "﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيهَا عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾" [القصص: ٧٨]. وهذا يعني أنّ المعرفة الإسلامية موصولة بالله تعالى، فهي ربانية المصدر، وربانية الوجهة والمسلك.

## بـ- الموضوّعيّة:

نقصد بالموضوّعيّة هنا تخلي الإنسان عن عواطفه وانفعالاته التي لا يقوم عليها دليل نقلّي أو عقلي تجاه مسألة من المسائل التي يحتاج فيها إلى اتخاذ قرار أو إصدار حكم؛ شريطة أن تكون القضية -موضع الطرح- مما تختلف فيه الأفهام ويقبل فيه النقاش، وهي على هذا معيار أساسي من معايير البحث، يقوم على الصدق والعلم والأمانة والبعد عن الأهواء الشخصية. فالإنسان عندما يكون بصدّد التعامل مع فكرة أو معلومة، فإنّ الموضوّعيّة

في مثل هذه المواطن مطلب عزيز جدًا يصعب تحققه.

ورد اصطلاح "الموضوعية" في القرآن الكريم، وفق القواعد الشرعية التي وضعها الرحيم لضبط إصدار الأحكام والتعامل مع الآخر. فالله تعالى ذكر أحوال الأمم، وبين ما لهم وما عليهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً يَتَّلَوْنَ إِيمَانَ اللَّهِ وَأَنَّهَا أَلَّا يَلِيقُهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمِنَهُ يُقْنَطِرِ بِيُؤْدِهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمِنَهُ يُدِينَكَ لَا يُؤْدِهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَادِمَتْ عَيْنَهُ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]، وبما أنّ المنهجية القرآنية دعت المسلم إلى التجدد والقسط، مع بيان مخاطر ترك هذا الخلق النبيل، فالتحلي بال الموضوعية يجب أن يكون بمعايير ربانية لا مجال فيها للتشنجات وردود الأفعال، ولا مكان للحظوظ البشرية الدينية، والأهواء الأرضية الترابية، فلا يمكن أن يقال على من تمسك بالمعايير الشرعيّي أنه غير موضوعي، فقد "أصبح الكثير منهم يُعرف الموضوعية بأنها تجريد الباحث من كل اعتبار قيمي وعقدي". ومن لوازم الموضوعية، "الأمانة العلمية"، ومفهومها واسع يشمل قضايا عدّة، منها العلمية بإثبات المقال للقائل، والمحاسبة على القول لا على لازم القول، ﴿يَأَتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا يَخْوِنُونَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَخَوِّنُوا أَمْنَتْكُمْ وَأَتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

### ت- التحذير من الكتمان:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْسِوا الْعَقَ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُوا الْعَقَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٦] [البقرة: ٤٢]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْمُونُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطْوَنِهِمْ إِلَّا أَلَّا يَأْكُلُونَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمةِ وَلَا يُرَبِّكِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٧٤] [البقرة: ١٧٤]، فالكتمان محظى على من وجب

في حقه الجواب؛ لأن من العلم ما يجب كتمه في حق بعض الناس لدعائي عامةً بالزمان أو المكان، أو دواعي خاصةً، مراعاة لقدرة الاستيعاب وأجواء الإشكال كيما يفهموا عن المتكلم؛ فلا يخاطبوا إلا على قدر عقوتهم كي لا يُكذبَ الله ورسوله.

### ثـ- عدم الانتقائية في المعرفـ:

قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَصْبَى الْكَتَبِ وَكُفَّارُونَ إِلَّا بَعْضٌ فَمَا جَاءَهُمْ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرَقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَنْقَادَةِ يَرْدُونَ إِلَّا أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، وفي هذا تربية على توسيع المدارك وتنمية النظرة الكلية لدى المتعلم والباحث؛ لتجنب الواقع في النظارات التجزئية والتبعيـية الضـيـقة، ولن يتحقق ذلك ما لم يسهم المنهج بعناصره وأطرافـه جميعـها في تقديم جملـة من الخبرـات والمـعارف الـهادـفة إلى تـحقـيق هـذه الـقيـمة، غيرـ أنـ التـحـذـير منـ الـانـتقـائـيـة لا يـنـافـيـ الدـعـوةـ لـالتـصـفـيـةـ وـالتـربـيـةـ، وـالمـرادـ منـهاـ نـزعـ الأـفـكـارـ الـمـدخـولةـ، وـرـدـ الزـائفـ منـهاـ.

### جـ- اجتناب الـظنـ:

القرآن الكريم لا يقيم وزناً لمعرفة قائمة على الـظنـ والـتـخـرـصـ، مهمـا كـثـرـ أـهـلـهـاـ، فـبـيـنـ أـنـ الـحـقـ لـيـسـ بـكـثـرـةـ مـتـبـعـيهـ، وـبـالـبـاطـلـ لـاـ يـتـجـلـ بـقـلـةـ مـرـيـديـهـ ﴿وَلـنـ تـطـلـعـ أـكـثـرـ مـنـ فـيـ الـأـرـضـ يـعـسـلـوكـ عـنـ سـرـيـلـ اللـهـ إـنـ يـتـعـمـونـ إـلـاـ الـظـنـ وـإـنـ هـمـ إـلـاـ يـخـرـصـونـ﴾ [١٣]، ﴿وـمـنـهـمـ أـمـيـمـ لـاـ يـعـلـمـونـ الـكـتـبـ إـلـاـ أـمـاـقـ وـإـنـ هـمـ إـلـاـ يـظـلـونـ﴾ [١٤]، ﴿الـأـنـعـامـ: ١١٦﴾، فـهـذـهـ آـيـاتـ بـيـنـاتـ عـلـىـ أـنـ الـمـعـرـفـةـ الـحـقـقـةـ تـقـضـيـ الدـقـةـ لـبـلوـغـ الـيـقـينـ.

## حـ- حظر التزييف والافتراء:

نبه القرآن الكريم إلى ضلال أهل الكتاب المتمثل في التزييف والتلبيس وخلط الباطل بالحق، فقال: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَبِ لَمْ تَلْسُوْنَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. وتوعدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُرُوا بِهِ ثُمَّ نَأَقْلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَبُوا أَنَّكَنَبْتُ أَنِيدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [٢٩] [البقرة: ٢٩]؛ فالتحريف جريمة أخلاقية، ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْتَهُونَ أَسْنَتُهُمُ الْكِتَبُ لِتَحْسُبُوهُ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]؛ فتقرر أن إقصاء المعرفة السليمة الصحيحة يتبعه بالضرورة إحلال المعرفة المزيفة؛ واستبدال الحق بالباطل. فحيثما يكون المنهج المعرفي مبنياً في مصدره على حقائق يقينية نقية عندها ستكون النتائج سليمة معافاة من الأمراض الاجتماعية المتفشية كالغش والخداع والنفاق، والتجزؤ على الكذب، والتكلم بغیر علم ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصْنُفُ الْأَسْنَاتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَكْلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

## ٢- الضوابط العلمية للمعرفة في القرآن الكريم:

### أ- عدم قبول القول إلا بدليله:

يؤكد القرآن في منهجه العلمية أهمية الشبه من صدق المعلومة التي تبني عليها المواقف. ويكون التتحقق منه بالدليل النقلي أو العقلي، والمراد بالنقلي ما جاء في كتاب الله أو في سنة نبيه محمد ﷺ، أما العقلي فما كان من المسلمات العقلية التي لا مجال لإنكارها، خاصة إذا كانت هذه المسلمات مما

يمكن للعقل أن يدركه. من هنا جاءت المطالبة بالدليل على صدق ما يدلي به الإنسان في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى، خاصة في المواطن التي تحتاج إلى إثبات بسبب الخلاف فيها. وقد ورد مصطلح الدليل بألفاظ عدّة، منها العلم، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَعْلَمْكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَا إِنْ تَنْعِيْعُوهُ إِلَّا أَلَّأَنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]؛ وقال: ﴿أَتَتُوْفِيْكُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْتُرَقُ مِنْ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الاحقاف: ٤]؛ أي بقيّة من علم يصل بها إلى صحة ما تقولون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تغُّ عن المدعى شيئاً، وفي البرهان: ﴿أَإِلَهٌ مِّنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قُلْ هَا تُؤْتُ بِرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وفي السلطان: ﴿هَتُولَّهُ قَوْمًا أَتَخْدَدُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ لَّهُ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ بَيْنَ﴾ [الكهف: ١٥]. وفي الحجّة: ﴿وَتِلَكَ حُجَّتَنَا إِنَّا يَنْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣] و: ﴿سَلَّمَتِي إِسْرَائِيلَ كُمْ إِنَّا يَنْهَا مِنْ مَا يَمْبَتِي﴾ [البقرة: ٢١١]، وفي البينة: ﴿وَإِذْ كَفَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنَّكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وفي البصيرة: ﴿فَدَّجَأَ كُمْ بَصَارُ مِنْ رَّيْكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

## بـ- عدم خوض الإنسان فيما لا يعلم:

وهذا ضابط علميٌّ قرآنيٌّ لصاحب التفكير العلمي الذي يعرف ذاته ويعرف قدراته وإمكاناته، فلا يتحدث في قضية لا يعرفها، وسباه القرآن "خوضاً"؛ لكونه يورث الخلل في الحكم والتباطُ في النتيجة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوْصُونَ فِيهِ إِنَّنِي فَأَعْرِضُ عَنْهُمْ حَتَّى يَعْنُصُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَلَمَّا يُنْسِيَنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْذِكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]؛ وقال: ﴿وَلَا تَنْقُضْ مَا تَلَّمَّذَ لَكَ

بِهِ، عَلِمَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْغُولًا ﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

## ت- العناية بالمصطلحات وفهم لغة العلوم:

وهذا من أهم مستلزمات المنهج العلمي في التفكير، ومن ضوابط المنهج المعرفي؛ لذا قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ إِمَّا قُلْ لَهُمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَشْتَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ إِلَيْنَا فَقُلُّوْكُمْ وَلَنْ تُقْبِلُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَلِكُمْ مِّنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَبَّهَا الَّذِينَ إِمَّا تُؤْمِنُوا لَا تَقُولُوا رَعَنَا وَثُوْلُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَعْنَا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. فقد كان المسلمين يقولون حين خطابهم الرسول عند تعلمهم أمر الدين "راعنا"؛ أي راع أحوالنا، قاصدين المعنى الصحيح، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسداً.

فنهي الله المؤمنين عن هذه الكلمة؛ سداً لهذا الباب، فيه. وفيه هداية إلى الأدب، واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع من التشويش، أو احتمال لأمر غير لائق. فاللفظ حين يُقال تكتفه ظروف، وملابسات، وبيئة، وأزمان، وأفكار، ومواقف، وتخصصات، هي التي تحدد المراد منه في غالب الأمر، فإذا أخذ بمحرداً أوقع صاحبه في الخلل والتبخّط، وأوداه في مغبة سوء الفهم. والمصطلح يفهم بما تواضع عليه أهله، والعناية بالمصطلحات جزء من ضابط علمي يرسم به الباحث المسلم؛ لأنّه قبل إصدار الحكم، وفهم اللغة التي يتحدث بها الآخرون.

ذلك لأنّ الناس لهم من ألفاظهم مرادات حية ينطقون بها، وليس من المنهجية العلمية التي جاء بها القرآن الكريم أن يهاجموا، أو تصدر عليهم

الأحكام قبل التثبت من مصطلحاتهم التي يتفوّهون بها، لكون اللسان والنطق مغراً لما في ضمير المتحرّك، "كما أنّ المتخّصصين في جوانب المعرفة المختلفة لهم مصطلحاتهم الخاصة بهم عندما يتحدّثون، ومعرفتها أمرٌ مهمٌّ" فلا يعترف لأيّ كان بالعلم ما لم يضبط لعلته؛ أي مصطلحات ذلك الفن، وليس بغريب أن "تؤدي المصطلحات دوراً أساسياً ومحوريّاً في إشكال الإبداعات الفكرية جميعها، وما يتصل بها من حاورات ومطارحات، وكلما اتسعت الرؤية وتشعبت منافذ الحديث وتعقدت القضايا ازدادت خطورة المصطلحات؛ حيث يمكن لها أن تجيّل الحقائق وتختزل المعاني ببراعة لتركيزها في الذهن، وتضبط قواعد الحوار الفكريّ وأدابه، كما أنها من جانب آخر يمكنها أن تزيد الإشكاليّات تعقيداً، وأن تكون عاملاً من عوامل تغييب الرؤية واضطراب قواعد الحوار الفكريّ وأدابه، "بل إنّ من خططها -في زمن الصراع العقديّ والفكريّ والثقافيّ بين الأمم- أنها يمكن أن تزاحم المصطلحات الأصيلة للأمة المسلمة في شتى مناحي حياتها، تمهدًا لترحيل ما تعبّر عنه من معتقد، أو فكر، أو خلق إسلاميّ أصيل.

### ثـ- التناسب بين المجال المعرفي والمنهج العلمي المستخدم:

لأهمية هذا التناوب جاء مثال له في القرآن ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلِائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتِهِمْ وَسَتُسْأَلُونَ ﴾١٩﴾ [الزخرف: ١٩]. فقد خرج المشركون على الناس بمنهج معرفيٍّ مفاده: أنّ الملائكة إناث، وفي مواطن آخر يقولون بأنهم "بنات الله"! كما حكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ أَمْ لَهُ الْأَبْنَىٰ وَلَكُمُ الْأَبْنَىٰ ﴾٢٠﴾ [الطور: ٣٩]، فجاء الرّد رائعاً جلياً في قول الحقّ جلـ

ذكره: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُم﴾ [الزخرف: ١٩]. ومعنى ذلك أنّ هذا المنهج المعرفي الذي يزعم أنّ الملائكة إناث وأنّهم بنات الله، يحتاج إثباته إلى مجال علمي دقيق يوصل إلى نتيجة علمية دقيقة، ولا يمكن أن يكون هناك مجال علمي غير المشاهدة ليدور الأمر بين واحد من الاحتالين: إما أنّ هؤلاء كانوا مع الله ورأوا خلق الملائكة، وإما أنّهم لم يكونوا مع الله ولكنهم رأوا الملائكة بعد ذلك. الجواب: لا، فيكون كلامهم عبارة عن تخرّصات وظنون، قال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ لِلْحَنَنَ وَخَلْقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنْتَتِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَكْنَهُ وَتَعَلَّى عَنْهَا يَصْفُونَ﴾ [١٠١] ١٠١ الأنعام: ١٠١-١٠٠] وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ ١٠٢ فافتراوهم كان بغیر علم ولا منهج علمي يناسب مجالمهم المعرفي؛ لأنّ ذلك من عالم الغيب الذي لا يملكون أدوات معرفته، وقياسهم بالشاهد على الغائب باطل هنا، بل حتى قياس الأولى كان استعمالهم له فاسد، فنسبوا لأنفسهم الكمال والله تعالى النقص من حيث لا يعلمون، معتقدين التقديس والتزييه.

فضورة تناسب المجال المعرفي مع المنهج يؤكّد عليه الكثير بقولهم: "ليس هناك علم أو تقدّم علمي إلا عن طريق البحث، وتقدّم البحث العلمي يعتمد على المنهج، يدور معه وجوداً وعدماً، صدقاً وزيفاً".

#### جـ- التناسب بين المجال المعرفي وطاقات العقل وقدراته:

فمن المعلوم بالضرورة أنّ طاقة العقل لا تتحصي كلّ شيء، وأنّ له حدوداً لا يدركها. هذا يكون مع مطلق العقل، مع ثبات تفاوت إدراك العقول من الأدنى إلى الأعلى؛ لذا بين الله تعالى أن ذاته العليّة، والروح،

وقيام الساعة، وعالم الملائكة، ونزول الغيث، وما تغيب الأرحام، وما يتعلّق بكسب الناس وأجال الأمم والأفراد زماناً ومكاناً ما لا يطيق العقل البحث فيه؛ لأنّه لم يُكلّف ولم يهياً فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّكُمْ لَا يَجِدُهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ نَقَّتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِكُمْ إِلَّا بِعَنْهُ يَسْأَلُوكُمْ كَانَكُمْ حَقِيقُ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَادَ تَحْسِبُ غَدَّاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾ [العنان: ٣٤]. فعلَ كُلُّ مسلم أن يُزِّم العقل بزمام الدين، وألا يبدد قدرات العقل وطاقاته فيها لا يتحقق له من ورائه فائدة، بل عليه أن يبحث فيها حدّده له خالقه، وعليه أن يركّز بحثه في حدود طاقاته وقدراته وفق الضوابط الشرعية التي نصّ عليها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ليسلم من الزلل ويتفنّع بما يبحث فيه في أمور دينه ودنياه.

## ـ الإحاطة بالقضية والحصر:

إصدار الحكم على قضية ما يقتضي دقة التصور لها، وهذا مبني على الإحاطة بجوانبها؛ كي لا تتفضّل الأحكام بوجود ما هو خارج عن التصور الأولى؛ لذا يُعدّ التفكير الشمولي ضروريّاً لجمع أجزاء القضية وحصرها تحت حكم واحد شامل لأجزاءها كلّها. "والمقصود بالتفكير الشامل هو ذلك الأسلوب الذي يتناول الظاهرة من جوانبها جميعها ويتحرّى أجزاءها جميعها وما يتعلّق بها". فاتخاذ موقف أو إصدار حكم على فكرة أو شخص أو جماعة أو مذهب من خلال نظرة جزئية يجعل القرار والموقف والحكم نوعاً من

الظلم والتّجني. وهو خلاف لأمر الله تعالى في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا  
كُوْنُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شَهِدَاهُ إِلَى قَسْطٍ وَلَا يَجِدُونَ<sup>كُمْ</sup> شَنَعًا فَوْمٌ عَلَى أَلَّا تَعْدُوا أَعْدُوا  
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّعْوِي وَأَنَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وتشريع القرآن الكريم على أصحاب هذا المنهج واضح في سورة يونس  
﴿بَلْ كَذَبُوا إِيمَانَهُمْ بِمَا تَرَوُ عَيْنِيهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ كَذَبُ الدِّينِ مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِنْظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَيْنَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، فالظاهر مقرونة بالحكم في القرآن الكريم؛  
لذا كان إدراك أجزائها ضروريًا ليضبط الحكم الصادر عليها، فبعد بيان  
الأحكام كما في سورة النساء أعقب ذلك بحكم موضوعي، حاصله التعريف  
بالغاية والفائدة من تطبيق الأحكام والأوامر الإلهية ﴿رَبِّ الْأَنْبَيْتِ لَكُمْ  
وَهُدًى يَعِلَّمُ مُسْنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

ينبني على الإحاطة بالقضية من جوانبها جميعها، واشتمال الحكم  
لصورها كلّها؛ ألا يعمم على غير أجزائها، وما لا يدخل في دائرة تصورها،  
فالحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً، والعلة منوطه بصورة المسألة؛ لذا كان  
الاستثناء في الأحكام آكد حال اختلاط الصور وتقارب المسائل، فالقاعدة  
تحصر ما كان تقتضي للتماثل، والحكم يشمل أفرادها جميعها، لكن ما خرج  
عنها يستثنى من الحكم، هذا الضابط العلمي القرآن يقصر الأمر عند وقوعه  
على صاحبه، والأفعال على ما شابهها؛ لذا نجد أنَّ الله تعالى يبيّن لنا حال  
القضاء بين الناس، أو إصدار الأحكام عليهم حال التعامل أن تلحق الجريمة  
بصاحبها ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرٌ وَزَرُ أُخْرَى وَإِنْ تَعْمَلْ مُثْقَلَةً إِلَى حِيلَهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ ولو كان  
ذا فُرْقَةً﴾ [فاطر: ١٨]، فليست زلة العالم مسوّغاً لزاج مثله معه، ولا انحراف

فرد من طائفة أو فرقة أو ملة دليلاً على انحراف أصحابه، لكن الحكم يتعلّق بعلته ويشتت على صورة قضيته، وأصحابه يحملون وزره ﴿لَيَسُوا سَوَاءٌ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابُ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّلَعُونَ إِيمَانَهُمْ أَتَيْلَ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٤٠]، فلم يعمّم على الجميع لأنّ من أهل الكتاب من يؤمن بالقرآن الكريم، وحين ذكر المنافقين كان بصيغة التبعيض.

### - تلقي المعرفة من مصادرها الصحيحة، مع الانفتاح على خبرات الآخرين:

تلقي المعرفة المتكاملة يجب أن يكون من مصادرها، فلكلّ معرفة وحيّة - على اختلاف فروعها - مصادرها التي تؤخذ منها، ولكلّ معرفة بشرية - على اختلاف فروعها - مصادرها. فنجده القرآن الكريم يرشد إلى المصادر حال الاستفسار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا بِرَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلَّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. فإن كانت المعرفة مادية كان العود إلى أهلها فيها أحّق من غيرهم، والتفكير في مجالها بأدواتها ومناهجها التي تبني بالغرض للحصول على نتائج صحيحة. فأهل الذكر هم أهل التخصص في أيّ جانب من جوانب المعرفة، ما دامت منافع معرفتهم مشروعة، فكان الوقوف على حضاراتهم وعلومهم ومعارفهم المتراكمة من طائق الأخذ عنهم؛ لتوسيع المدارك والإفادة من الإبداعات ما لم تعارض نصاً أو تنافي شرعاً للمسلمين.

فترى في القرآن النبيّ الرسولَ وكلِيمَ الله موسى عليه السلام يتعلّم ممّن هو أقل منه شهرة ومتزلاً؛ الخضر عليه السلام ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعِمَّنَ مِمَّا عِلْمَتْ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، وابن آدم العاقل يتعلّم من الغراب غير العاقل ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَبًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهِ كَيْفَ يُوَرِّي سَوَاءَهُ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، بل إنّ المولى سبحانه أقرَّ كلام الملكة بلقيس قبل إسلامها، فحكى عنها: ﴿قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَمَهَا أَذَلَّهَا﴾ [النمل: ٣٤]، قال سبحانه: ﴿وَكَذَّلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٢٥] [النمل: ٣٤].

فالمنهجية العلمية الوعائية تلتقط الصواب من كُلّ واحد، ما دام خيراً لا يصادم ما هي عليه، بغض النظر عن صفات قائله وخصائص مصدره، لكن يجب التأكيد أنّ الأخذ من الآخر له ضوابطه، فمخاطر الأخذ عن الآخر لا تقودنا إلى "عدم القدرة على التمييز بين الغزو الثقافيّ والتبادل المعرفيّ... وإقامة هذا الحاجز من تخوّف الغزو الثقافيّ حرم العقل المسلم الكثير من المعارف وارتياد الآفاق التي تمكّنه من اختصار فجوة التخلف، والمساهمة في التغيير الحضاريّ". فالقرآن الكريم يقرب معارف السابقين، ويدعو إلى إقامة وحدة معارف الوحي، معَ اعتماده أسلوبَي التصديق والهيمنة، وذلك بأن يوافق كُلّ معرفة فيها لم يطرأ عليها تحريف أو انتحال "من غير أن يعني ذلك التصديق أو تلك الهيمنة التوقيع على كُلّ معرفة فيها، بقطع النظر عن سلامتها من الخطأ، بل يُعمل فيها منهجه التقديرِي التمحيسيّ كي يتميّز السليم فيها من المنحرف، في صورة عملية استرجاعيّة شاملة لذلك الميراث تتضمّن نقدِه وتحليلِه وتطهيرِه مما أحقَّ به من إضافات واجتهادات تتنافى مع مضمونه".

فالقرآن نزل مكملاً وناسخاً لما قبله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيَّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتُبْ مُوسَى  
 إِيمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَائِراً عَرَبِيًّا لِيُشَذِّرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشَرِّدَ لِلْمُحَسِّنِينَ  
 ﴿١٢﴾ [الأحقاف: ١٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مُرْيَمَ نَبِيًّا إِنَّ رَبِّيَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا  
 بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرِيدَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَمْهُمْ أَهْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وفي هذا إقرار  
 بمبدأ التراكم المعرفي، وأن يبني اللاحق معارفه على ما ترك السابق. كما أنّ فيه  
 إثبات الهيمنة والتصديق على جميع ما سبقه من معارف مصدرها الأصلي هو  
 الوحي لأنّه للناس كافة، فكانت تشريعاته وعقائده حكماً على غيرها، ومعياراً  
 يصدق به غيرها؛ لأنّه أصول ثابتة راسخة في درجات عليا من اليقين.

نستفيد من هذا المنهج في تعاملنا مع ميراث الأمم الغابرة، وميراثنا  
 العلمي، فلا ريب في أنّ فيها الصواب والخطأ، فهي اجتهادات رامت بلوغ  
 الحقيقة فأنتجت ميراثاً ضخماً ثقل حمله على من خلفهم. فالقرآن وحي رباني  
 وما ترك علماؤنا اجتهاد إنساني على هدى الوحي، فيما كان على وفاق معه  
 قبلناه وما جانبه رددناه.



## الفصل الثاني:

### العلم في القرآن الكريم

يُعدّ العلم من أكثر الألفاظ وروداً في القرآن الكريم، بالتعيين أو بما يرادفه أو ما يرشد إليه، ولم يأمر الله تعالى نبيه بأن يدعو بالزيادة إلا في العلم. ومسألة الوقوف على دلالات العلم بغية تحديد المفهوم يتطلب الخوض في مباحث كثيرة لتجلية الدلالات الاصطلاحية، ويتصدر المبحث المعجمي أولى تلك المباحث، مع بيان الأقسام والفرق التي تميزه عن غيره، وتكونين الحقل الدلالي للنحو الناتج من علاقاته مع غيره ضمن حقله الدلالي المعجمي، فاللفظ وسيلة لتحميل المعنى، والمفهوم يُكون خصائصه بالسياق.

#### أولاً: تعريف العلم وأقسامه:

##### ١ - التعريف اللغويّ:

العلم تقىض الجهل، وهو الإدراك أو المعرفة عامة، أو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة. قال أهل اللغة: سمي العلم علمًا من العلامة؛ وهي الإشارة، ومنه معالم الشوب والأرض، والمعلم: الأثر يستدلُّ به على الطريق. والعلم من المصادر التي تجمع. يقال: رجل عالم وعليم، وعلم بالشيء والأمر: شعر به، وعرفه، وأتقنه، وأحاط به، وأيقنه، وميزه. فتقول: "علمت زيداً" إذا أردتَ بها عِلْمَ الشخص فقط، وكُنتَ أولاً لا تَعْرِفُه. والعليم بمعنى العالم. والعلم يتعدّى بنفسه وبالباء، ويزاد في مفعوله قياساً **﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٩]، **﴿أَلَمْ يَلْعَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾** [العلق: ١٤]

(١٤)

ولا يتعدّى بـ (من) إلا

إذا أريد به التمييز ﴿وَأَنَّهُ يَعْلَمُ الْمُقْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ويستعمل (علِّمْتُ) ويراد به العلم القطعي: فلا يجوز وقوع (أن) الناقبة بعده. ويستعمل ويراد به النص القوي فيجوز أن يعمل في "أن"، واستعمال العلم بمعنى المعلوم شائع، وقد يكتنِي بالعلم عن العمل.

## ٢- التعريف الاصطلاحي:

يعَرَّفُ العلم بأنه إدراك الشيء على حقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني: هو الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه. فالأول يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى: ﴿لَا نَعْلَمُوْهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُم﴾ [الأفال: ٦٠]، والثاني المتعدى إلى مفعولين نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ عِلْمَهُمْ هُنَّ مُؤْمِنُونَ﴾ [المتحنة: ١٠]. وعرفه الجرجاني بأنه: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. سُمِّيَ الله تعالى نفسه بالعالم والعليم والعلامة، ووصف نفسه بأنه يعلم وعلِّم، وأنَّ له عِلْمٌ وهو ذو العِلْم. والله تعالى علام الغيب، لا يخفى عليه خافية، فهو يعلم ما يكون وما لا يكون وما لو كان كيف يكون. كما يعلم إيمان المؤمنين وكفر الكافرين وذنوب العاصين، وهذا علم لا تُجَب به حجَّة، ولا تقع عليه مثوبة ولا عقوبة، وهذا أكثر ما في القرآن. والله تعالى علمه سبب لوجود العالم، والعالم سبب لعلم الإنسان؛ لأنَّ وجود الأشياء سبب للعلم بها أيما كانت صورة هذا الوجود ذهنيًّا أم خارجيًّا. وعلمه تعالى علم للباطن والظاهر، وهذا ما ورد في آيات عدَّة. كما اختص الباطن باسم الخير واللطيف، والظاهر بالسميع وال بصير، فكان من تأكيد الإحاطة والمحاججة بعلمه تعالى أنه يعلم ما خفي وصادق وما جلي وبيان

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الملك: ١٤]. وعلم الله تعالى قديم وليس بضروري ولا مكتسب، وعلمه تعالى متزه عن الوقت والزمان، فجميع الزمان من الأزل إلى الأبد بالنسبة إلى ذاته العالية متصل، لا يخفى عنه منه شيء كلياً أو جزئياً؛ لأن نسبة المقتضى لعلمه إلى الكل واحد. فمهما طرأ على الرمان لا يحدث له علم جديد به، بل هو مكشوف له أولاً.

غالب ما ورد في تعاريفات العلم نجده اجتمع على أنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو ما يُمثل اليقين والحكم الجازم غير القابل للتشكيك. وكلها تفرق بين العلم والتخيل من جهة إدراك الشيء على ما هو عليه تصوراً في الذهن، وواعقاً في الحسّ، وبمقدار التطابق بينهما يكون العلم دقيقاً. المعنى الحقيقي لفظ العلم هو الإدراك، وهذا المعنى متعلق وهو المعلوم، وله تابع وهو الملكة، فأطلق لفظ العلم على كل منها، إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجازاً مشهوراً.

### ٣- أقسام العلم:

يقسم علماء الأصول العلم إلى قسمين: علم قديم: وهو ما يختص بالله عزّ وجلّ، وعلم حادث: وهو ما يختص بالخلق. وهو نوعان، علم ضروري، وهو ما لا يقع عن نظر واستدلال؛ كالعلم الواقع بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة، والثاني هو: علم مكتسب: وهو الموقف على النظر والاستدلال؛ أي يحتاج إلى قدر الذهن والتعلم، هذا المعنى من قوله ﷺ: "إنما العلم بالتعلم." وهذا العلم يتفاوت فيه الناس على حد قوله تعالى: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْيَمْ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]؛ كلّ له قدر باختلاف ما قدر، وما قدر عليه. فالعلم الضروري هو

الحاصل للناس كُلّهم في أحواهم العادّية، وهو ما أنزل على صورته الشرائع السماویة من الله عزّ وجلّ؛ إذ كانت مرسلة على خطاب يعيه الذكي والغبي، ويُنفع به العالم والبليد، فكانت أصول الدين حجّة على كُلّ ذي عقل بالغ مهما كانت مرتبة فهمه؛ لأنّ الضروري من البدھيّ، وهو ما لا يُحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، أمّا النظريّ فمنه تفاصيل العبادات من أركان وشروط، وفهم مسائل النحو، وتحاليل المركبات، وغيرها من مسائل العلوم الدقيقة.

والعلم من وجه آخر ضربان، هما: النظريّ والعمليّ، فالنظريّ: ما إذا عُلِمَ فقد كَمِلَ، نحو العلم بموجودات العالم، أمّا العمليّ فهو: ما لا يتمّ إلا بِأَنْ يَعْمَلَ، كالعلم بالعبادات.

## ثانياً: مراتب العلم وضوابطه:

### ١ - مراتب العلم:

العالم الخارجيّ هو علّة العلم، والحواس هي الوسيلة الوحيدة للنفس المدركة للاتصال بالوجود المشهود، فعليه؛ فإنّ أَوَّل مراتب وصول العلم هو الإحساس؛ وهو اتفعال الحواس مع المحسوسات بالتلقّي للمعطيات الحسيّة الناتجة عن المؤثّرات الحسيّة. تنتقل تلك المعطيات نحو النفس، وهنا تتدّرّج صعوداً من العمليّات الإدراكيّة الأوّلية البسيطة إلى ما هو أعقد، ثمّ الإدراك: وهو تمثّل حقيقة الشيء عند المدرك، ثمّ الحفظ: وهو استحکام المعقول في العقل، ثمّ التذكّر: وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات، ثمّ الذكر: وهو رجوع الصور المطلوبة إلى الذهن، ثمّ الفهم: وهو التعلق غالباً

بلغت من مخاطبك، ثمّ الفقه: وهو العلم بعرض المخاطب من خطابه، ثمّ الدرائية: وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات، ثمّ اليقين: وهو أن تعلم الشيء ولا تخيل خلافه، ثمّ الذهن: وهو قوّة استعدادها لكسب العلوم غير الحاصلة، ثمّ الفكر: وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ، ورجوعها من المبادئ إلى المطالب، ثمّ الحدس: وهو الذي يتميّز به عمل الفكر، ثمّ الذكاء: وهو قوّة الحدس، ثمّ الفطنة: وهي التنبه للشيء المراد معرفته، ثمّ الكيس: وهو استنباط الأنفع، ثمّ الرأي: وهو استحضار المقدمات وإجالة الخاطر فيها، ثمّ التبيّن: وهو علم يحصل بعد الالتباس، ثمّ الاستبصار: وهو العلم بعد التأمل، ثمّ الإحاطة: وهي العلم بالشيء من وجوهه جميعها، ثمّ الظنّ: وهو أخذ طرق الشك بصفة الرجحان، ثمّ العقل: وهو جوهر تدرك به الغائبات بالوسائل والمحسوسات بالمشاهدة.

ولابن القيم تقسيم آخر لمراتب العلم يبدأ من الأعلى على أوجه المداية الخاصة والعامة: الأولى: مرتبة تكليم الله عزّ وجلّ لعبد يقطة بلا وساطة، بل منه إليه، وهذه أعلى مراتبها، كما كلام موسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكَلِّمِيَا﴾ [النساء: ١٦٤] والثانية: مرتبة الوحي المختص بالأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا  
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَآلِيَّتَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، والثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه. فهذه المراتب خاصة بالأنبياء، لا تكون لغيرهم، والرابعة: مرتبة التحديث، هذه دون مرتبة الوحي الخاصّ، وتكون أيضاً دون مرتبة الصدّيقين، كما كانت

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة؛ فعمر بن الخطاب". والخامسة: مرتبة الإلقاء، قال الله تعالى: ﴿فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكُلُّاًءِ الْيَنَاءِ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنياء: ٧٩]، والستاء: مرتبة البيان العام، وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلهه وشواهده وأعلامه، وهذه المرتبة هي حجّة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضلّه، إلا بعد وصوله إليها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْلِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَا مُحَمَّدًا يَقُولُونَ﴾ [التوبه: ١١٥] والسبعين: البيان الخاص، هو البيان المستلزم للهداية الخاصة، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء، وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب، فلا تختلف عنه الهداية البته، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَحْنَ مَنْ عَلَى هُدَنَا مُهُومٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضْلِلُ﴾ [النحل: ٣٧]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبْبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] فالبيان الأول شرط، وهذا موجب. والثانية: مرتبة الإسماع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمْعُوهُمْ وَلَوْ أَسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْهُمْ مَعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَمْوَالُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْعِعٍ مَنْ فِي الْقُوَّرِ﴾ [إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ] [فاطر: ٢٢]، والتاسعة: مرتبة الإلهام، قال تعالى: ﴿وَقَنْصِنَ وَمَا سَوَّنَهَا﴾ [فَلَمَّا هَا جُورَهَا وَنَقَوْنَهَا] [الشمس: ٨، ٧]، أمّا جعله فوق مقام الفراسة: فقد احتاج عليه بأنّ الفراسة ربيها وقعت نادرة كما تقدم، والنادر لا حكم له، وربما صعب عليه فلم تطاوعه، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيدي، يعني في مقام القرب والحضور. والعشرة: الرؤيا الصادقة وهي ستة وأربعين جزءاً من أجزاء النبوة. وفي سبب التخصيص قيل إنّ أول مبتداً

الوحى كان الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة، ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاثة عشرين سنة، فنسبة ذلك إلى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً، وفي رواية هي جزء من سبعين.

## ٢- ضوابط العلم:

الانضباط الخلقي في العلم لا يكفي وحده، كما أن الانضباط العلمي في مسألة التفكير لا يكفي، فلا يقبل عرض قضية مكتملة وهي تتعارض مع الفضيلة والأخلاق. من أهم الضوابط ما يأتي:

### أ- الموضوعية:

وذلك بأن يكون التنظير العلمي والقوانين مبنية على دراسات عميقة مستمدّة من أدلة قطعية، فيتخلّى عن عواطفه وانفعالاته خاصة في العلوم الإنسانية التي تخضع للآراء الاجتهدية القابلة للأخذ والعطاء، ويتحرّى العدل في الأحكام، وهي على هذا "معيار أساسي من معايير البحث على الصدق، والعلم، والأمانة، والبعد عن الأهواء الشخصية".

### ب- الأمانة العلمية:

وهذه القاعدة مبنية على حفظ حقوق الناس، سواء المادية أو المعرفية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُرُّ وَلَا تَعْنَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، فالأمانة العلمية من أكد الأمور في النقل، وذلك بالاعتراف بفضل من أخذ عنه، هذه الأمانة العلمية تُضم إلى خلق الصدق الذي يعكس ما في أعماق الشخصية المحترمة لنفسها والمحترمة لغيرها، وأيات الصدق

متعددة، منها ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَكُوئُنُوا مَعَ الصَّدِيقِينَ﴾ [التوبه: ١١٩]، فكان الصدق من خصال التقوى والإيمان ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْتَهُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

## ت- أدب الخلاف:

قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَّا سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنِيدَلَهُمْ بِإِلَيْهِ هِيَ أَحَسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥]، والجدال بالتي هي أحسن يكون بترك الفاظلة في الخطاب التي لو استعملها خير الخلق مع خير أصحابه لانفضوا من حوله ﴿وَتَوَكَّنَ فَطَأَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فالمناظرات لقصد الخير وإبلاغ الحق، فلا يصح فيها استفزاز الخصم والطعن في النوايا وتسيفيه الأحلام، بل من أخلاقها الإشادة بما للخصم من الفضل والعلم، والتلطف واللين في القول، وقد ورد في القرآن النهي عن إثارة الآخرين ﴿وَقُلْ لِرَبِّادِي يَشُوُّلُ أَلَّيْ هِيَ أَحَسَنُ إِنَّ الشَّيْطَنَ يَنْزَعُ بِيَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٢]، وهذا كان منهج الأنبياء يتميز بالرفق والبيان والتلطف في الجدال والإيضاح للحق ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [٤٣] فَقُولًا لَهُ، قَوْلًا لَنَا لَعْلَهُ يَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٤٤] [طه: ٤٣، ٤٤].

## ث- الدليل قبل التنظير والتقعيد:

فالتبني وصدق النقل لا يكفي ما لم يكن الأساس المستند إليه صحيحاً؛ لذا كان المنهج القرآني قائماً على المطالبة بالدليل - أولاً - على صحة أيّ ادعاء، وسمات أهل الحق تتبع الدليل ثم الاعتقاد، وسيم أهل الباطل الاعتقاد المبني على ما تشتهي الأهواء أو ميراث الآباء، ثم البحث عن الدليل لتصبح تلك السوالف بالرداء الشرعي العلمي، وذلك إنما هو التهاب لمخرج

من مواجهة الصواب والحقيقة، لا قصدًا نحو الحق والهداية. والدليل قد يكون نقلياً، وقد يكون عقلياً، أو حسياً، ولكل مسألة ما يناسبها من الأدلة والمسالك، وما يصلح في علم لا يصلح في غيره لزوماً。﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عَلَيْهِ فَتَحْجُجُوهُ لَا إِنْ تَنْبِعُونَ إِلَّا أَلَّا أَنْخُرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وللدليل مسميات عدّة في القرآن، منها العلم وأثارة من علم كما سلف، ومنها الكتاب، ومنها البرهان، ومنها السلطان، ومنها الحجّة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتَنَا أَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٢]. والآية: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُمْ مَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ أَيَّامِ بَيْتَةِ﴾ [البقرة: ٢١١]. والبينة: ﴿وَإِذَا كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [المائدة: ١١٠]. والبصائر: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

#### جـ- العناية بلغة العلم:

يراد بهذا فهم مصطلحات العلم المتخصص فيه والعناية بالمصطلحات المهمّة؛ لأنّها النفسيّ على العقول والقلوب. فالمصطلحات نشأت حاجة الناس إليها، ثمّ تطّورت حتى صارت عاملاً مفيداً وخطيراً في التأثير في فهم الناس، فهي مفاتيح للعلوم، ولها تأثير سلباً وإنجحاً في العلوم والسلوك، وهي وسيلة لتركيب المعاني الظاهرة والباطنة في مصطلح باشتماله على أفكار عدّة، فيوجه العقل إلى معنى يراد منه من قبل، فالمصطلح يجعل العقل لا يتوجّه إلى الفكر إلا على ما جعل واتفق وما تواضع أهله عليه. فاللفظ حين يقال تكتيفه ظروف، وملابسات، وبيئات، وأزمان، وأفكار، وشخصيات، وثقافات، كلّها تحدد المراد منه في غالب الأمر، فإن أخذ مجرّداً عن ذلك أوقع

في الخلل والتخبط.

## ـ تناسُب القدرات المعرفية مع مجال البحث:

أدوات العلم لدى الإنسان لها قدرات محدودة و مجالاته متهدية؛ لذا كان للسمع فاصل لا تدرك فيه الأصوات، وللعين مجال لا تبصر فيه الصور، وللعقل حدود لا يعيها، فمن ضوابط العلم أن لا يبحث الإنسان فيها لا طاقة له به؛ لأن ذلك من إضاعة الوقت وإهدار الجهد. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ الْجِلَالِ لَوْقَنَهَا إِلَّا هُوَ نَقْلٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِغَنَّثٍ يَسْأَلُونَكَ كَانَكَ حَفِيْظٌ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

## ثالثاً: النظرة الشاملة للعلم في القرآن الكريم

المتفحّص لكتاب الله تعالى والمتدبر لأياته يجد مواطن كثيرة تبسط النظرة الشاملة للعلم؛ حيث يعمّ مطالب الدنيا والآخرة معاً. ففيه كل ما يتعلق بالقضايا الإنسانية، وعلى رأسها الوجود نشأةً وتطوراً ونهاية، وقضية التوحيد، وما يتعلق بالكون من سماء ونجوم وكواكب، ودعا إلى التفكير فيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومُ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَكَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيْكَتَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وشمولية العلم تتّضح جلياً في سورة العلق، والتأمل للأية الأولى ﴿قُرَا إِيَّاسِرِكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فالآية صدرت بفعل الأمر (إقرأ)، للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، بازّهم وفاجرهم، والمفعول به هنا غير مذكور! ! مما

يدلّ على إرادة عموم القراءة، قال الشوكاني في تفسيره: والأمر بالقراءة يقتضي مقروءاً.

فالقراءة هنا ربانية في المبدأ والوسيلة والغاية، وهذا ينفي الانحرافات العنصرية، والتقليد الأعمى، والتعصب للعرق أو الجنس أو التوجّه أو الفكر. فالقراءة هنا تكتسب بُعد العالمية، شاملة لـكُل حاجيات الناس كافة في حالمهم ومعادهم. وتعليق حصر منهج القراءة بالربانية كان في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، فهو ربكم خالقكم، وهو العالم بما خلق وما يناسبه، فكان ذا شرعية في تحديد المنهج. والمتدبّر لكتاب الله تعالى يجد العلم فيه يدور - في الغالب - على محاور ثلاثة لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها، أو لها: ما يتعلّق بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وما يتعلّق بها من قضايا العبادة، وثانيها: ما يتعلّق بقضايا الكون، وما أودع الله فيه من الحكم والأسرار، وثالثها: فما يتعلّق بأحوال الأمم من حيث منظومة علاقاتها بالخلق والمخلوق. وكلّ بعد من هذه الأبعاد تتعلّق به علوم متخصصة، فالبعد الأول: تتعلّق به علوم الشريعة على اختلاف تخصصاتها، والبعد الثالث: الثاني: تتعلّق به العلوم الطبيعية على اختلاف تخصصاتها، والبعد الثالث: تتعلّق به العلوم الإنسانية على اختلاف تخصصاتها كذلك. هذه الصورة هي التي تعطي شمولية للعلم في القرآن الكريم، فلا مادية ملحدة، ولا لا اهوية رهbanية مغالية في المثالية، فالتوزن من خصال التوسط والوسطية في القرآن الكريم. والدنيا مسخرة لصالح الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلْلًا فَأَتَشْوَأْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُّهُ مِنْ رِزْقٍ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

يقسم العلماء العلم إلى ثلاثة أقسام، هي: علوم الشريعة، وعلوم الكون، والعلوم الإنسانية.

## ١ - علوم الشريعة:

تشمل شعائر الدين وأصوله من عقيدة وعبادات، فهذه الغاية منها فهم مهمة الإنسان في الكون وعلاقته مع ربه وإدراك مصيره، فالله تعالى خلقه ليعبد ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجِنَّةً وَلِإِنْسَانًا إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتحقيق هذه الغاية يقتضي فهم المهمة وإدراك الأوامر والنواهي، فلا بد أن تطبق الشعائر على أساس علمية واعية. وعلوم الشريعة كثيرة ومتعددة، منها: علم العقيدة وهو الفقه الأكبر، ثم الفقه، وهو معرفة الأحكام الشرعية المترتبة المتعلقة بالعبادات والشعائر والمعاملات المالية والشخصية والحدود والعقوبات، وغيرها من علوم الشرع.

## ٢ - علوم الطبيعة:

أو علوم الكون، وهي المتعلقة بتسهيل أمور الناس على ظهر هذه الأرض، وهي قاسم مشترك بين الأمم، والمعرفة فيها تراكمية، يبني فيها الآخر على ما توصل إليه الأول. سماها ابن خلدون بالعلوم العقلية؛ وهي جزء من العلوم العقلية، وكل إنجاز للعلم يكون آية عنه وحجّة له تؤكّد فضل الله عليه، فالبحث في علوم الدنيا هو أساس العمارة وقيام الحضارة والسير في الأرض، فكل أمر في القرآن بالنظر في النبات أو الأنفس أو السماء إنما ينسحب ضمناً على هذه العلوم، بل التمكين في الأرض لا يكون إلا بقوّة

في العدد والعدة، وهذا لا يكون إلا عن قوّة اقتصاديّة ماليّة وصناعيّة، وقوّة حضاريّة وعلميّة، فالاستجابة لله في الأخذ بهذه العلوم لمن فتح له الباب فيها هو تعبدِي. ومسؤوليّة المسلمين في نشر الدعوة والقيام بالحقّ وقيام دين الله لن يكون بمثاليّة خياليّة، بل ذلك كله يستشعر منه الأمر بالقيام الحضاري في جوانبه جميعها، فانحطاط المسلمين دنيوياً هو فتنته للكفار، ودليل على عدم كرامتهم عند ربهم بزعم المخالف لهم؛ لذا كان دعاوهم ﴿رَبَّنَا لَا تَمْغُلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المتحنّة: ٥] ويستشعر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَبَثَثْنَا فِيمَا أَتَانَاكُمْ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكُمْ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

### ٣- العلوم الإنسانية:

وهي عدة فروع، منها: "علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة والتاريخ والاقتصاد" وغيرها، وهذه العلوم لم تكن مستقلة ذات تصنیف مفردة في صدر الإسلام؛ فالقرآن الكريم "قد أعطى إجابات قاطعة عن أصل الإنسان، وعن الغاية من وجوده، وعن تكوينه وخصائصه وحرি�ته ومسؤوليته، وعن عمله ومصيره، وعن علاقته حسب وضعه في البنية الاجتماعية، وعن تأثيره وتأثره بالأشياء والأحياء، وعن سلطانه على الأشياء والأحياء، وعن حدود هذا السلطان، وكل هذه الموضوعات التي أصبحت اليوم في الغرب مجموعة من العلوم المتخصصة في النفس والمجتمع.

فالعلوم الإنسانية قائمة على دراسة موضوع هو "إنسان ما" في "بيئة ما"؛ لذا كان ما يصلح في مجتمع لا يُرجى لغيره دائمًا، وعليه فتحن في غاية الغنى

عن كثير من الأبحاث الإنسانية التي كان موضوعها الإنسان الغربي بضلاله وانحرافه، وليس من العدل أن تقدم تلك الأبحاث لأمتنا على أنها نهادج للعلوم الإنسانية، إلا إذا كنّا نعرضها كنموذج للعبث الذي يسمى علمًا، وللضياع الذي يسمى حضارة، وللفساد الذي يسمى تقدّماً.

### **الفصل الثالث:**

## **المقارنة بين المعرفة والعلم**

يتطلب الوقوف على دلالات العلم والمعرفة بغية تحديد مفهومهما، الخوض في مباحث العلماء الفكرية متعددة الألوان والاتجاهات اللغوية والعقدية؛ لأنهم يتصرّرون باللّفاظ ويطّعون معانيها لأفكارهم، وينقلون دلالتها إلى عرفهم؛ لذا كان الرجوع إلى الأصل اللغوي مهمّ لفهم الدلالة وتحديد الحقل الدلالي لضبط المصطلحين. وللعلم درجات من حيث الشك والظنّ واليقين، وفيه حركة للفكر في المقولات، كما أنّ فيه اندماج فكر وخطر، وسرعة بديهة وذكاء، وقد يكون العلم علىًّا مجرّدًا سطحيًا، وقد يكون علمًا مستغرقاً عميقاً أو فقهاً. لذلك كله نجد أنّ للعلم أو المعرفة مرادفات كثيرة، وكان لكلّ مرادف علاقة بالعلم الشامل من جهة ما، واحتياص من جهة أخرى.

### **أولاًً: الفروق اللغوية والاصطلاحية**

تحديد الفروق بين العلم والمعرفة يكون بالبحث في الدلالات المعجمية والاستعمالية، وتحليل مادة كلّ منها، ومتابعة الأصول باستقراء المادة في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

#### **١ - الفروق اللغوية:**

نتيجة للتداخل بين مصطلحى العلم والمعرفة فلا مندوحة من تبيّن المصطلحين لضبط الفروق بينهما، ولأنّ لكلّ مصطلح علاقة بأصله اللغوي

كان لزاماً علينا الرجوع إلى المعاجم.

فالعلم سُمي علمًا من العلامة؛ وهي الدلالة والإشارة، أمّا المعرفة ف فهي من العرف ضد النكر، والعرفان خلاف الجهل. وتعَرَّفَتْ ما عند فلان، مصدره التعرُّف: تَطَلُّب الشيء. والمعرفة حاصلة بعد عدم، وذلك العدم هو إما جهل أصلي بالشيء أو لنسيان بعد معرفة، فكان عدماً بين معرفتين، فكأنّ الشيء كان مختفيًا عن الذهن، ثم تجلّى أمامه بارتفاعه وعلوّه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة، والمعرفة فعلها يقع على مفعول واحد، فتقول: عرفت الدار، قال تعالى: ﴿فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُمْ مُنْكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، ويقتضي فعل العلم مفعولين: ﴿فَإِنَّ عِلْمَهُمْ مُؤْمِنَةٌ﴾ [المتحنة: ١٠].

هناك قرب بين معنى العلم ومعنى المعرفة، ذلك أنّ كلاً منها يُعد دلالة على شيء، وإن كانت المعرفة تدلّ على ما ارتفع، وتأتي بمعنى المجازاة، وفي المعرفة علم بسبب المجازاة، وفيها علم وعمل. ومن ثمّ كانت معرفة الله تعالى: العلم اليقيني به، وعمل ما يتناسب مع قدره سبحانه، والمعرفة تشمل في معانيها الاعتراف والإقرار، وهما علم وأدلة.

## ٢- الفروق الاصطلاحية:

المعرفة عند بعضهم أخصّ من العلم؛ لأنها علّمٌ بعْن الشيء مُفصلاً عنها سواه، وكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، لأن لفظ المعرفة يُفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يُفيد ذلك. والمعرفة تقال فيها يُتوصل إليه بتفكير وتدبر، وتستعمل فيما تدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، تقول: عرفت الله،

والعلم يستعمل فيما يدرك ذاته. وحال الإبهام تقول عرفت زيداً، ولا تقول علمت زيداً.

وقيل العلم يكون بالاكتساب فخصّ به الإنسان، والمعرفة بالجلبة؛ وقيل: العلم أخصّ من المعرفة لأنها قبله؛ إذ تكون مع كلّ علم معرفة، وليس مع كلّ معرفة علم. والمعرفة هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وتتميّز من باقي معطيات الشعور؛ من حيث أنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين. فالمعرفة تقال على استثناء المحسوب المُدرَك، خصوصاً إذا تكرّر إدراكه، فيقال لذلك الإدراك الثاني بهذا الشرط (معرفة). والمعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضروريّاً فطريّاً، وقد يحتاج إلى النظر والاستدلال. وقيل: إنّ المعرفة نتيجة العقل: "العقل غريزة، والمعرفة عنه تكون".

ويرى البعض أنّ المعرفة لا تكون إلا مكتسبة، والعلم يقال لإدراك الكلّي أو المركّب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط. والمعرفة تصرف إلى ذات المسمى، أمّا العلم فينصرف إلى أحواله من فضل ونقص؛ لذا جاء الأمر في القرآن بالعلم من غير المعرفة، وميّز بينهما. يقابلها في الضدّ الجهل والهوى، أمّا المعرفة فهي ضدّ الإنكار والمحظوظ.

ورد كلاً اللفظين في القرآن الكريم، فلفظ المعرفة كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِيقَ﴾ [المائدة: ٨٦]، وفي ﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، أمّا لفظ "العلم" فهو أوسع إطلاقاً، كقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿ [محمد: ١٩] ، قوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ رِزْقِنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ، وغيرها كثيرة.

والله سبحانه وصف نفسه بأنه "عالم"، و"عليم وعلام ويعلم"، وأخبر أنّ له علمًا، فالفرق بين إضافة العلم إلى الله تعالى وعدم إضافة المعرفة يرجع إلى المعرفة نفسها ومعناها.

## ثانيًا: المصطلحات المرادفة للعلم والمعرفة في القرآن الكريم

أخذ العلم مفهوماً جامعًا لمعانٍ كثيرة؛ لأنّ العلم أو المعرفة علاقة بين عالم ومعلوم، وبين ذات عارفة، فهو من جهة ذاتيّ، ومن جهة أخرى موضوعيّ؛ أي له موضوع متتحقق في الخارج، وهو درجات تبدأ من الحسّ إلى التجريد العقليّ، ثمّ الحفظ والتذكرة، ثم التفكّر والتدبّر. وله درجات من حيث الشكّ والظنّ واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أنّ فيه انقداح فكر وخطر، وسرعة بديهة وذكاء، وقد يكون العلم علمًا مجرّدًا سطحيًا، وقد يكون علمًا مستغرقاً عميقاً أو فقهًا.

وهنا نقف على أهم هذه المرادفات، ومنها: الأذن: العلم، الاسم من أذن يأذن، مصدره بمعنى الإعلام، وقد ورد في القرآن بأكثر من صيغة دالاً على معنى الإعلام والإخبار. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأذَنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَرِيذَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]؛ ومنها البصیر: العليم بالشيء الخبر به: ﴿ قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه: ٩٦]؛ أي علمت ما لم يعلموا. والحس: مأخوذه من إصابة الحاسة، من الثلاثي حسّ، والإحساس

الوجود المشاهدة، ﴿يَتَبَّقَّى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ أي: فتعرّفوا منها وتطّلّبوا خبرها، والحكمة: هي العلم بالأمور العملية فقط، والعلم أعمّ منها. والخبر: وهو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر. والخبر بالضمّ، هو العلم بالشيء مع بيانه ﴿وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَى مَا لَمْ تُحْكِمْ بِهِ حُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨]؛ والخبرة: المعرفة ببواطن الأمور. والإدراك: والإدراك هو اللقاء والوصول، والذكر: وهو هيئة للنفس، بما يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]. والرأي: النظر بالعين والقلب، والسؤال: استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، والشعور: علم الشيء عن علم حسّ، ومنها: وما يشعركم: ما يدرّيكم. والظنّ: علم يحصل من مجرد أمارة، والظنّ والشكّ والتوجّز نظائر، إلا أنّ الظنّ فيه قوّة على أحد الأمرين دون الآخر. والعقل: ضدّ الجهل، وهو مجموعة علوم لأجلها يمتنع الحيّ عن كثير من المقيّبات، ويفعل كثيراً من الواجبات. ﴿وَتَلَكَ الْأَمْمَلُ نَضَرُّبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهُمَا إِلَّا الْكَلِيلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. والفقه: هو العلم بالشيء والفهم له والفتنة، ﴿وَطَبِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبه: ٨٧]؛ والفهم: هو سرعة الفطنة وتوقيدها، وسرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها؛ والنظر: هو الإقبال على الشيء بالبصر، والوعي: معناه الجمع والحفظ، وجاء بمعنى التفكّر والتدبّر ولما يحفظ، ﴿لَنْجَلَّهَا لَكُلُّ نَذْكَرَةٍ وَعَيْنَاهَا أُذْنٌ وَعِيْنَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]. واليقين: يعبر عن التتحقق وإزاحة الشكّ والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بوجه أو ظنّ أو تخمين أو ارتياط. واليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان شاكاً

فيه، وذلك بعد أن تكثّر الدلائل وتوافق وتطابق فتصير سبباً لحصول اليقين على سبيل الثقة؛ لذا كان كُلّ يقين علمياً، وليس كُلّ علم يقيناً. فهو فوق المعرفة والدراسة، ولا يقال معرفة يقين؛ لأنّ اليقين من صفة العلم.

## **الباب الثالث**

**أدوات اكتساب المعرفة وطرائقها**

**ومصادرها في القرآن الكريم**



الفصل الأول:

## أدوات المعرفة في القرآن الكريم

طرائق المعرفة: هي الوظائف الإدراكية والقوى النفسية المعرفية من عمليّات الإدراك، والأذن هي الأداة والعضو الجسميّ، وظيفتها السمع وهو ما وقر فيها؛ أي هو قوّة مركبة في عصب الأذن من شأنها أن تدرك الصوت، وهذا ما ورد عند طائفة من العلماء والنظرار كالراحل ابن القيّم والكتابي وغيرهم.

لم يرد في القرآن الكريم عن المعرفة بالحواس -كأدوات غالباً- إلا مشاعر الأذن والعين، وحاسطيّ السمع والبصر، أمّا اليد واللمس فدلالتها المعرفية كانت على أنها مقومة للإدراك البصريّ بالكتابة أو المعاينة.

### أولاًً: وظيفة الحواس وقدرتها المعرفية

يقسّم أهل الأصول العلم إلى اضطراريّ واكتسابيّ؛ فالحواس هي أبواب المعرفة الأولى، والحسّ أول مراتب الإدراك؛ وأجمع أكثر أهل التحقيق على أنّ النفس هي المدركة، والحواس نواقل للمعلومات؛ أمّا القول ببنسبة الحواس وأنّها مصدر خطأ، فالبعض يغلو فيه، وبعضهم الآخر لم نفهم تقييدهم لهذه النسبة بجعلها دليل الخطأ وحجّة في عدم بلوغ اليقين بها.

يرى كثير من الباحثين في الفلسفة والفكر بفروعها أنّ الحواس تحطّط ولا تصل إلى اليقين، ويتبّعون في ذلك آراء بعض الفلاسفة القدماء وفلاسفة

ال المسلمين و مفكريهم و علمائهم، ومنهم كثير كالغزالى، وابن حزم، وغيرهما. واستدلّ بعضهم بخطأ الحواس بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْنَاهُمْ سَرَبٌ يَقْبَعُ  
يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩]. والأدلة في هذا تتكرّر. فالحواس نسبية، والمعروفة (الحسنة اليقينية) هي التي تقدم شهادة الحسن مؤكدة قاطعة عندما تتواءر شهادات الحسن هذه، وتتفق مع الحواس الأخرى ولا تتعارض مع أصول العقل وقوانينه، ولكن الحواس الخمس لا تستطيع الإحاطة بكل شيء، ولو قدر لأي من الناس غير هذه الحاسة لربما اكتشف أشياء كثيرة مغيبة عنا. وقد اكتشف العلماء أنّ الفضاء مملوء بالصور التي لا نستطيع مشاهدتها بالنظر المجرّد؛ لعدم وجود قدر من الانسجام والتواافق بين وضعها ووضع أبصارنا، وهذه في السمع كذلك؛ فهناك مستوى يعلو عن مستوى سمعنا، وآخر دونه. قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْبِلُ بِمَا يَبْغِيُونَ وَمَا لَا يُتَبْغِيُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨]

أمّا قول بعضهم إنّ الحواس لا تميّز، بل قوله عن إمكان المعرفة وصدق الحواس بأنّها احتمالية غير يقينية، وقد يكون ما نتيقنه خيالاً أو وهماً أو حتى حلم يقظة! والبصر والسمع لم يُنف عندهما اليقين في القرآن الكريم إلا في حالة وجود عوائق ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا شَكَرْتَ أَبْصَرْنَا بِلَ تَحْنُنَ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥]، فهنا كان ذهاب العقل لتعطيل قدرة البصر إمّا لسكر العقل وتخدره أو بتأثير السحر على الأعين، قال تعالى: ﴿وَنَطَّبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، والسمع هنا سمع استجابة، فكل ذم للحواس في القرآن أو قطع لها عن العلوم إنما هو لمرتبة أعلى من مرتبة

الإدراك الحسيّ العام، فكلّها حول الهدایة التوفيقية التي تكون جزاء من الله تعالى على ترك الهدایة الإرشادية بإرادة من الإنسان نفسه، والعقاب بقطعها جزاء على الإعراض عن الاهتمام بعد السمع والبصر والفهم للحجّة، فتحجّب الهدایة التوفيقية وتبقى الإرشادية.

فإلهه تعالى منح عباده الحواس ليتّفّعوا بها على قدر ما منحهم من قدرة ومجاًل يدركون فيه، وهو مشترك بين المكلفين جميعهم، ثمّ يقوى من فرد إلى آخر ومن حاسة إلى أخرى؛ غير أنّ الطاقة البشرية لا تقتصر على الحسّ دون غيره طریقاً للمعرفة؛ لأنّ ذلك يدخل في مزالق عدّة، فالله تعالى أثبت الحجّية على عباده بأنّ منحهم ثلاث طرائق وأدوات للمعرفة ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَّنِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فالقرآن لم يحمل الحواس الإنسانية ولم يشكّك فيها مثلاً فعلت بعض الفلسفات العقلية، ولم يرفعها فوق الوسائل الأخرى مثلما فعل التجربيون الحسيّون. فلامعتدال في القرآن نحو الحواس لم يدع مجالاً لمشكلة حقيقة؛ ذلك أنّ معطيات الحسّ في القرآن هي المادة الأولى التي تعمل عليها وسائل الإدراك الأخرى.

## ثانياً: السمع والبصر في القرآن الكريم

### ١ - الأذن والسمع في القرآن الكريم:

الأذن - بالضمّ - هي عضو السمع في الإنسان والحيوان، واللفظ مؤنث، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَأْذَنْ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَغْنِيَاءِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغِنُونَ﴾

﴿ [الأعراف: ١٧٩]، أمّا حاسة السمع فهي أكثر ذكراً في القرآن الكريم؛ حيث ذكرت مائة وتسعاً وثلاثين مرّة. والسمع هو الإحساس الذي به إدراك الأصوات، فهو قوّة الأذن، قد يؤدي إلى الفهم، وربما لا يوصل إليه ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْيَدُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]. وحاسة السمع لها أهمية كبيرة؛ لأنها تتلقى المعلومات بجزئياتها المتغيرة؛ لذا عُبر عن الأذن بالإفهام، وعن فعل السمع بالسمع والطاعة.

وللسمع أنواع، هي: سمع الإدراك، وسمع الفهم والعقل، وسمع الإجابة، وسمع القبول والانقياد، و(السمع) لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، والفعل الواقع بعد المفعول في موضع الحال. والسامع أعمّ لغة من المخاطب؛ إذ الحاضر هو المخاطب الذي يوجه إليه الكلام، والسامع يعمّ له ولسائر الحاضرين في المجلس. والسمع يعبر عنه بأنه قوّة الأذن والأذن أيضاً، وما وقر فيها من شيء. قال تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ فُؤُلُو الْبَيْنَ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةً ﴾ [البقرة: ٧]، ويعبر عن الفهم والطاعة بالسمع، وكلّ نفي للسمع في القرآن هو نفي للاستجابة لما سمع بالطاعة والانقياد له، وكلّ إثبات هو بمعنى الفهم من ذلك ﴿ وَإِذَا نَتَلَ عَلَيْهِمْ مَا يَأْتِنَا قَالُوا فَدَسْمِعْنَا لَوْنَشَاءَ لَقُنَّنَا ﴾ [الأنفال: ٣١].

فخصائص السمع المدوّح في القرآن الكريم هي الفهم لما يُلقى، والاستجابة للأوامر، والانتهاء عن المowanع، فإذا تختلف الفهم أو الطاعة والاستجابة كان النفي للسمع وهذا في حق المؤمنين والكافرين. فالإعراض عن الحقّ هو إعراض عن سمع، فيكون في حكم الأصم؛ لذا قال عنه تعالى:

﴿وَإِذَا نُتْلَى عَلَيْهِ أَيَّنْتَنَا وَلَكَ مُسْتَكِنَةٌ كَانَ لَمَّا يَسْمَعُهَا﴾ [لقمان: ٧]، فهو سمع لكن لم يستجب، فكان في حكم من لم يسمع؛ لأنّ الغاية من الخطاب لم تتحقق، فاستوى وجوده بعده، حال مقابلته بالرفض والعصيان ﴿وَلَن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُون﴾ [الأعراف: ١٩٨] فتعطل السمع إنما يكون لتعطل محل الإدراك، وهو القلب؛ لذا جُمعاً في الختم في عدد من الآيات، وأفرد البصر بالغشاوة والغطاء، بل صرّح بذلك في آيات ﴿وَنَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُون﴾ [١٠٠] [الأعراف: ١٠٠]؛ أي لا يسمعون ما ينفعهم للهداية، بل ما يقييم عليهم الحاجة فقط، فهم لا يفهمون ويدركون بالسمع ما قيل؛ لكن قلوبهم لا تقنع وصدورهم لا تنشر للحق، فاستوى السمع والصمم؛ لأن الاستجابة متنافية، وإن كان الإدراك للأصوات وفهم الكلام قائم فالعمل بموجبه متخلّف عنه، وهذا قطع للغاية من الخطاب بالأمر أو النهي، فالمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا ف مجرد سماع الأذن يشترك فيه البر والفاجر.

ويقسم السماع إلى سماع الإدراك: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا فُرْقَانًا عَجِيبًا﴾ [١] يهدى إلى الرشد فَأَمَّا بَيْهُ﴾ [الجن: ١]؛ وسماع الفهم: المنفي عن أهل الأعراض والغفلة: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُشْعِيْلُ الْمَوْقِيْلَ وَلَا تُشْعِيْلُ الصَّمَمَ الْذُّعَمَ﴾ [الروم: ٥٢]؛ وسماع القبول والإجابة: كما في الآية ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]؛ وسماع خاصة خاصة من المقربين هو سماع القرآن يتلّى بالاعتبارات الثلاثة، إدراكاً وفهمًا وتدبرًا وإجابة، وكل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه فهو هذا السماع، سماع كلام رب العالمين، وسماع الموعظ، وكلام الأنبياء والمرسلين.

## ٢- العين والإبصار في القرآن الكريم:

العين هي الباصرة، وتطلق على الحدقة؛ وقد تطلق العين على مجموع الغلاف وما فيه، كما يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان.

ما يهمّنا هو العمليات المعرفية؛ أي العين الجارحة كما في قوله تعالى:

﴿أَلَّا يَجْعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨] فمهمة العين في القرآن هي الرؤية،  
﴿يَرَوْنَهُمْ مُتَنَاهِمْ رَأَى كَلْفَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]، والإبصار، **﴿وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُصْرُونَ**  
بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، والمشاهدة، **﴿قَالُوا فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشَهُدُونَ**  
بِهَا﴾ [الأنبياء: ٦١]، وقد وصفت العين بأمور منها: الطمس **﴿وَلَوْ دَشَاءَ**  
**لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾** [يس: ٦٦]، والقرىء **﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا**  
**يَحْرِزُنَّ﴾** [الأحزاب: ٥١]، والمدد، **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَكَثْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾** [طه:  
١٣١] والازدراء، **﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدَّرَتِ أَعْيُنُكُمْ﴾** [هود: ٣١]، وفيض الدمع  
**﴿تَوَلَّوْ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا﴾** [التوبه: ٩٢]، والتغطية، **﴿الَّذِينَ كَانُوا**  
**أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذَكْرِي﴾** [الكهف: ١٠١]، والدوران، **﴿تَوَرُّ أَعْيُنُهُمْ كَلَّذِي يُغْشِي**  
**عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾** [الأحزاب: ١٩]، واللذة. **﴿وَلَذَّ الْأَعْيُنُ﴾** [الزخرف: ٧١].

واستعمال النظر في القرآن كان بالإرشاد إلى التأمل، فهو تقليب للبصر مع استغراق وقت؛ إذ يقاربه في المعنى الانتظار، فلا يكون النظر بسرعة بل بتمهيل؛ لأنّ الغاية من تقليب البصر وتحقيق العين الوصول إلى إدراك المنظور إليه لتحصل منه الرؤية. وقد يراد به التأمل والفحص والمعرفة

الحاصلة بعد الفحص؛ وهي الرويّة. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة. فيقال: نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه، رأيته أم لم أره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبّرته، ونظرت له: رحمته، وإليه: رأيته، وعليه: غضب عليه، ونظره انتظره. وللناظر أحوال كثيرة، وكيفيات متعددة يصعب حصرها وتفصيلها.

### ٣- المفاضلة بين السمع والبصر في القرآن الكريم:

#### أ- التفاضل بين السمع والبصر عند العلماء:

اختلاف العلماء في بيان السمع والبصر، أيهما أفضل؟ فبينما يفضل بعضهم السمع، ويحتاجون بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَوْعِدُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ شَيْئًا أَلَّا يُصْرِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢]؛ قال: فلما قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر، كان ذلك دليلاً على أن السمع أفضل. يرى آخرون أن البصر أفضل، واحتجوا بأن أفضل النعم هو النظر إلى الله تعالى، وهذا يكون بالبصر. وأن مدرك البصر أتم وأجمل، كما أن محله أحسن وأجمل وأعظم من محل السمع؛ وذلك لشرفه وفضله.

#### ب- الجمع بين السمع والبصر في القرآن الكريم:

ورد السمع والبصر في القرآن منفردین وجماعاً في ستة وثلاثين موضعاً، منها ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، فال الحديث عن الحواس كأدوات

للمعرفة كان غالباً عن السمع والبصر مجموعين، لأسباب عدّة، منها: أنها أداتان من أهم أدوات الإدراك التي يترتب عنها معرفة الله تعالى، وأنهما الطريقان الرئيسيان بين المعرفة والعقل، وأن فقدان الحاستين يُفقد العلم كله كلاماً ولغة وقراءة، وأن السمع يدرك خلال الضوء والظلمة، ومع وجود الحواجز الفاصلة بين السامع وغيره؛ إلا أن تكون كائنة، على عكس البصر لا يبصر إلا بوجود ضوء ينعكس في العين. كما أن النائم أول ما يستيقظ منه المنبه السمعي ويليه البصري. فكان أول الحواس اشتغالاً بعد النوم، وأخرها قبل النوم.

**ت- أسباب تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم:**

ما يلاحظ في القرآن الكريم أن السمع كان دائماً مقدماً على البصر في الذكر كلما اقتربنا، وهذا الترتيب كان في كتاب الإعجاز اللغوي والبلاغي؛ وهو القرآن، فلا يكون إلا عن سرّ، وهو قاعدة أفضليّة المتقدم على اللاحق، خاصة وأن هذا التقديم شمل كل الموضع التي اجتمع فيها السمع مع البصر. وهذه الملاحظة هي إحدى أدلة القائلين بأفضليّة السمع على البصر من الناحية المعرفية، وهذا يستند إلى دلائل أخرى في القرآن الكريم والواقع، هي: اقترن السمع بالعقل في غير ما آية، من غير اقتران البصر بالعقل، مثل ﴿وَقَاتُلُوا لَهُمْ كُمَا شَمَّعُوا أَوْ تَعْقِلُ مَا كُمَا فِي أَصْنَبِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، واقترن لفظ السمع بالعليم، ﴿إِنَّهُ كَانَ يُعَادِهُ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠] وأن حاسة السمع دائمة العمل من غير توقف، بخلاف البصر فتوقف بإغماض العين.

أما من زاوية معرفية خالصة فأفضليّة السمع تكون لأمور منها: أن السمع أهم في إقامة الحجّة على الخلق؛ وأن السمع ينقل المعارف الماضية

والأخبار الآتية، أمّا البصر فينقل الحاضر المعاين، وأن جهات استقبال السمع متعددة، بخلاف البصر الذي لا يكون إلا بال مقابلة. وأن حاسة السمع تشغّل ليلاً نهاراً، في الظلام والنور، أول حاسة تستجيب من النائم حاسة السمع، وإن كان مغمض العينين، وأن فاقد السمع يفقد النطق؛ لعدم القدرة على التلقين وإدراك الخارج والصفات، فيفقد خاصيّة المخاطبة.

### ث- أسباب تقديم البصر على السمع في القرآن الكريم:

ورد البصر متقدماً على السمع في مواضع كان الغالب فيها الذم والتعطيل والعقاب. ففي حالات المدح بقدم السمع، أمّا في ما عاكسها فيقدم البصر، وهذا لا ينفي أفضلية السمع بل يثبتها. ومن الموضع التي قدم فيها البصر على السمع قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَأْعِنْ لَا يُبَصِّرُونَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَأْتُوا بِأَذْنَانَ لَا يَسْمَعُونَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وما هو معلوم أن البصر أهم للحيوانات من السمع؛ وقال تعالى: ﴿مِثْلُ الْعَرِيقَيْنِ كَالْأَعْنَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالْسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤]؛ فقدمت حاسة البصر المعطلة على حاسة السمع المعطلة. وجاء تقديم البصر في موقف تعذيبهم ﴿وَخَشَرُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَّاً وَبَكْمَانِ وَصُمُّاً﴾ [الإسراء: ٩٧] وفي حالة ندم الكفار ﴿رَبَّنَا أَبْصَرَنَا وَسَمِعَنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَلِحًا إِنَّا مُؤْتَنِّرُونَ﴾ [السجدة: ١٢]؛ فالمعاينة بالبصر أقوى من الخبر المنقول، والمشاهدة آكدر.

### ثالثاً: القلب في القرآن الكريم

بعد أن تكلّمنا عن الحواس نبيّن الجانب المكمّل في التحصيل المعرفيّ كما ورد في القرآن الكريم وهو القلب، الذي ورد بمعانٍ وألفاظ كال فهواد واللبّ،

فكان في الآيات جميعها التي بَيَّنت طرائق العلم وتحصيل المعرفة بإثباتها أو نفيها ذكر وسائل المعرفة وهي القلب أو الفؤاد، ثم السمع والبصر، مثل ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَقِعَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فالقلب أداة وظيفتها التَّعْقُلُ، والأذن وظيفتها السمع، والعين وظيفتها الإبصار. وجمع بين القلب أو الفؤاد وحاسطي السمع والبصر في قرابة عشرين آية، كلّها تبيّن أنّ القلب أداة داخلية في الجسم دورها متكملاً مع الحواس الخارجية، خاصة السمع والبصر.

## ١ - مفهوم القلب في القرآن الكريم:

قال أهل اللغة في معناه: هو الفؤاد، والعقل المحسن، وخاص الصّل كـ شيء، والتقلّب الحيلة. والقلب: الذي يقلب الأمور عن علم بها. وسميت المضعة الصنوبرية قلباً، لكونها أشرف الأعضاء لما فيها من العقل، وسرعة الخواطر والتلوّن في الأحوال، ولأنها مقلوبة الخلقة، كما يشهد به علم التشريح. ويسمى عند بعض الفلاسفة: "بالنفس الناطقة، والروح الباطنة، والنفس الحيوانية المركبة، وهي النفس المدركة العالمة من الإنسان والمطالبة والمعاقبة. قال الجرجاني: "القلب مصطلح على اللطيفة الربانية بالقلب الجساني الصنوبري الشكل الموعد من الصدر، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان". أمّا القلب الصنوبري فقيل إنه سبع طبقات، هي: الصدر: محل الإسلام والوسواس والحفظ والذاكرة. والقلب: وهو محل الإيمان والتعقل والسمع وال بصيرة. والشغاف: وهو محل محبة الخلق. والفؤاد: وهو محل رؤية الحق. والسويداء: محل العلوم الدينية. ومهمجة القلب: محل تحلي الصفات.

وربة القلب: محلّ محبّة الحقّ.

ويرد القلب في القرآن على معان٣ ثلاثة: العقل وذلك في مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]؛ والثاني: الرأي والتدبر

﴿تَعْسَبُهُمْ جَيْعًا وَقُلُوبُهُمْ شَنَّى﴾ [الحشر: ١٤]، والثالث: حقيقة القلب الذي هو

في الصدر ﴿وَلَا يَكُنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَصْدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. وقد يطلق على

القلب عقلاً، مثلما أطلق على الأذن السمع، فسميت الجارحة "الأداة"

بوظيفتها، وقد تذكر الجارحة والمراد وظيفتها، لأنّه لم يورد الأدوات من

الناحية التشريحية بل من الناحية الوظيفية فقط. غير أنّ العقل هو أحد

القوى الإدراكية لا كلّها، فهناك الفكر والذاكرة والحافظة والفهم.

## ٢- المصطلحات المرادفة للقلب في القرآن الكريم:

إذا تتبع الآيات بالقرآن باحثاً عن المفاهيم المعرفية وجدت قسمين:

أدوات لها وظائف، كالحواس تذكر الأداة الجارحة، ثم تحديد وظيفتها. وقد

تذكر الوظيفة من غير أداتها، لأنّ الغاية والمراد الجانب العلمي والعملي؛ لا

الجانب المادي الجسمي. كما قد تذكر الوظيفة بذكر الأداة فقط، من غير

التصريح بعملها، كناءة عن الوظيفة؛ وهذا يجيئه السياق، وذلك لتضمنها لها،

وبيان الغاية من الأداة. فالمراد "العقل" من القلب بالسياق، وهو الذكرى وفهم

الوحى، وهذا لا يكون إلا بالقوّة العلميّة بالقلب؛ أي قوّة العقل وهي التعلّق.

ونحاول فيها يأتي جمع الأدوات التي نسب لها بعض وظائف القلب

الإدراكية، مما يفهم من ذلك أنها مرادفة له؛ لا شيء خارج عنه. وذاك لأنّ

القرآن حصر أدوات تحصيل المعرفة في ثلات لا رابع لها، وهي القلب والأذن والعين.

### أ- الفؤاد:

الفؤاد عند أهل اللغة هو الحُمَى وشدة الحرارة. والفؤاد القلب، سمي بذلك لحرارته وتوقعه. وقيل هو غشاء القلب، وقيل: باطن القلب، والقلب حبّته وسويداه. والفؤاد الرقيق تسع إمالته، والفؤاد الغليظ كالقلب القاسي لا ينفعه لشيء. وإطلاقه كان على المعنى؛ لا على الجارحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ  
السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُوكًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن عاشور: الأفتدة: جمع الفؤاد؛ وأصله القلب، ويطلق كثيراً على العقل وهو المراد هنا. غير أنّ "الفؤاد" ورد بوصفه مفهوم طاقة، أو ملكرة، وبالآخرى وظيفة معرفية إدراكية، إذ نجده يقرن مع وظيفة السمع والبصر؛ أي مع قوى الإدراك لا مع وسائلها. فقوى تحصيل المعرفة هي السمع والبصر والفؤاد، غير أنه لم ترد آية واحدة في سياق الامتنان؛ جمعت فيها الحواس مع القلب، بل كان الجمع معه في مقام الذم دائمًا؛ إما بالإنكار أو التحريض أو إغفال طرق العلم بالطبع أو الختم أو الغشاوة.

وباستقراء آيات الفؤاد في القرآن ومقارنتها مع آيات القلب نلاحظ ما يأتي: اختصاصه بالرؤيا ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [١١]، واختصاص الفؤاد بالكذب، بينما وصف القلب بالزيف والإنكار والظن والعمى والتفاق. ووصف الفؤاد بالفراغ والهواء: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيقًا إِنَّ

كَادَتْ لَنْبِدِعُ بِهِ ﴿القصص: ١٠﴾؛ وفي معنى الفراغ أقوال، غير أن كلّها تدلّ على أنّ سبب الفراغ الخوف. قال تعالى: ﴿مُهْطِعِكُمْ مُقْنِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرَنُّونَ إِلَيْهِمْ طَرْفَهُمْ وَأَقِدَّهُمْ هَوَاءُ﴾ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]. نجد أنّ المؤّاد قد وصف بالموئل والصغرى، ووصف بالتشتّت: ﴿وَكَلَّا نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَبْيَاءِ الرُّسُلِ مَا مُثِّلُ بِهِ فُؤَادُكَ﴾ [هود: ١٢٠]؛ ووصف المؤّاد والقلب معاً بالتلقلّب: ﴿وَنَقَبَتْ أَفْعَدَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً﴾ [الأనعام: ١١٠]، فمع أنّ كلّيهما وصف بالتلقلّب غير أنّ المؤّاد كان تقلباً لقوى الإدراك، أمّا القلب فكان لقوى الإرادة؛ أي إن تقلّب المؤّاد معرفي، أمّا القلب فوجданّي ومشاعري.

قوى الإدراك ثلاثة: السمع والبصر والمؤّاد، وكلّها من شأن النفس المدركة بالقلب، وهذا ما لم نجد فيه خلافاً يقوم معه، لذا قال الغزالى: أعلم أنّ محلي العلم هو القلب. نفهم من هذا أنّ القوى المدركة بالمؤّاد، وقوّة السمع وقوّة البصر المدركة بالقلب، فالأدّن ناقلة للأصوات، والعين للصور، والمؤّاد هو المدرك لها والفاهم والمفكّر.

فأول مراتب العلم هو الشعور وهو إدراك من غير إثبات، فكأنّه إدراك متزلّل: يكون قبله الإحساس وهو إدراك الشيء مكتنفاً بالعوارض الغربية واللواحق الماديّة، مع حضور المادة ونسبة خاصة بينها وبين المدرك. والإحساس للحواس الظاهرة، أمّا الإدراك فللقلب أو العقل أو اللطيفة الروحانيّة النفسيّة. وقد صرّح المحققون بأنّ القوى الجسمانيّة آلات للإحساس؛ والمدرك هو النفس. ففعل القلب المعرفي الإدراكي يبتدئ من حيث يتّهي الحسّ لذا قيل "بداية العقول نهاية المحسوسات".

## بـ- اللب:

وهو العقل الخالص من الشوائب، وقيل ما ذكا من العقل، فكل لب عقل ولا عكس. ولهذا علق الله الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الذكية؛ بأولي الألباب. واللب هو القلب الخالص، وخالف القلب، ويكتفى به عن العقل، لأنّه خالص القلب والخطاب موّجه له. والبيب العاقل، وألب به لبّاً، إذا أقام به، والملبوب: الموصوف بالعقل. فأصل اللب من ألب، وهو كاللب -بالفتح- بمعنى الملازم، وبالضم بمعنى الخالص من كل شيء. وهو قلب كل شيء وعقله.

ورد لفظ اللب في القرآن الكريم في صيغة الجمع المضاف لإسم الإشارة؛ دلالة على الاختصاص والاستحقاق؛ مثل ذاك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عَلْمٍ لِمَا عَلَمَنَا﴾ [يوسف: ٦٨]؛ أي صاحب علم، وهذا أرفع من لفظ "علم"؛ لاختصاصه بالعلم دون غيره. وفي ورود اللب بصيغة الجمع نكتة بلاغية -ذكرت في الفصل الأول- فائدتها انتفاء الثقل في النطق.

باستقراء آيات اللب في القرآن نلاحظ تخصيصه بأمور منها: منح أولى الألباب صفات خاصة بهم دون غيرهم، وأخرى شرط في انتسابهم لهذه الخاصية، منها الإيمان والهدایة، والتقوی والعلم، والتفكير في خلق الله تعالى، والتدبّر في وحيه. كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَاب﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿هُدَىٰ وَذِكْرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَاب﴾ [غافر: ٥٤]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَعْلَمُ أَلْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]. ويمثل اللب خالص القلب، بل خالص العقل، والتذكّر أعلى من الفقه، والتعقل، والرؤى، ومن التفكّر، لذا نجد في

آلية القصاص ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فكان لا بد من طرح سؤال: كيف يليق بكمال رحمته إيلام العبد الضعيف؟ لأجل دفع هذا السؤال؛ ذكر عقب بيان أحكام القصاص؛ حكمة تشرعه؛ وهي ضمان بقاء الحياة للذين يقيمون حدود الله، وهذه ما يعقلها إلا أولو الألباب؛ لإبصارهم العواقب من تجاربهم في الدنيا، وفهمهم لسلوك الناس وعادات مجتمعاتهم، ويعلمون أثر الخوف من العقاب، والردع الناتج من ذاك.

فيكون بذلك أولو الألباب هم خلاصة ذوي العقول، فهم من يستحضرون العلوم بعد التفكير والتبصر فيها وحفظها؛ فيتجلّ لهم ما لا يطّلع عليه غيرهم. وأولو الألباب هم خاصة عباد الرحمن الذين أقبلوا على طاعته، وتزوجوا بالتقوى، وأمنوا وعلموا، ثم تفكّروا وتدبروا، فخصّهم الرحمن بادرًاك أسرار التشريع، وحكم الأحكام دون غيرهم؛ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَيَاةٌ يَأْوِي إِلَى أَلَبَّبٍ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٧٩]. فهم ذوو الحكمة والرسوخ في العلم، لذا أنماط بهم خاصية التذكرة؛ لأنّهم اختصوا دون غيرهم باللب، وإذا قيل أنّ اللب هو العقل؛ فهنا إشكال وهو: إذا كان لا يصح الخطاب إلا للعقلاء فما الفائدة في قوله "أولي الألباب"؟ هنا يعلم أنّ اللب هو العقل الخالص من الشوائب، وليس كلّ صاحب عقل صاحب لب. كما أنّ الخطاب في الآية كان المراد منه التنبيه على أولي الألباب بأئمّتهم تلحّقهم لمكانتهم العلميّة تبعـة المحاسبة والرقابة، فهم أعلم الناس بمراد الله تعالى؛ فكان لا بدّ لهم أن يكونوا أسبق الناس عملاً بذلك العلم، وإعراضهم أبشع من إعراض غيرهم؛ لعظم الحجّة القائمة عليهم مقارنة بغيرهم.

## ت- الأ بصار:

وهي البصيرة، وقد وردت بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]؛ قال الراغب: يقال لقوّة القلب المدركة بصيرة، ولا يكاد يقال للجارية بصيرة، وقلما يقال بصرٌ في الحاسة إذا لم تضمه رؤية القلب. ولأنّ البصيرة كانت بمعنى قوى الإدراك نجد تفسيرها لا يتتجاوز ذلك، قال الطبرى في معنى "الأولي الأ بصار"، من له فهم وعقل. وال بصيرة وظيفتها التبصر، وهذه درجة قبل التذكرة؛ فهي نور في القلب يبصر به، فيقوم في قلبه شواهد الحق، ويرى حقيقة ما يبلغه وينجز به عن طريق الرسل، فال بصيرة ما خلّصك من الحيرة إما بایمان أو عيان. وال بصيرة خصّت بالعبرة، وخصّ اللب بالذكرة. وهي نور في القلب لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقُلُونَ بِهَا أَوْ مَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأَشْدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

## ث- الصدر:

وهو أعلى و مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم يقولون: صدر النهار والليل، و صدر الشتاء والصيف. و الصدر من الإنسان والحيوان ما دون العنق إلى فضاء الجوف، و عند الأطباء: فقص عظمي غضروفي يتضمن الآلات الرئيسية للتنفس والدورة. وقد ورد الصدر في القرآن الكريم أربعاً وأربعين مرة، نسبت له فيها أفعال وصفات يكتسبها؛ دلت على أنّ له دوراً في الجانب المعرفي، وأنّه ذو علاقة مع القلب مركز الإدراك. بل بعض الصفات التي نسبت للصدر هي من صفات القلب، فالصدر حاوٍ للقلب، والقلب

حاٍ للفؤاد، والفواد حاٍ للبٰب، "فالصدر بالنسبة إلى القلب بمنزلة بياض العين في العين، ومثل صحن الدار في الدار، ومثل الذي يحيط بمكة.. فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات كما يعيي بياض العين آفة البشر وسائر علل الرمد." وهو موضع الشهوات، وال حاجات، والأمانى، وولاية النفس الأمارة بالسوء، والوسواس، وهو موضع الإسلام، وحفظ العلم المسموع؛ من أحكام وأخبار.

ومن صفات الصدر في القرآن ما يأتي: الانسراح: ﴿وَلِكُنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]، والإسلام: ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يُشَرِّحَ صَدْرَهُ لِإِلَسْلَمِ﴾ [الأعراف: ١٢٥] والكفر: ﴿وَلِكُنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَلَيَتَهُمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٦] والضيق: ﴿وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] والحرج: ﴿كَيْنَتْ أُولَئِكَ فَلَا يَكُنُونَ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مُّنْهَ﴾ [الأعراف: ٢] وأنه حاٍ للقلب ولكل ما عُلم وللآيات وأ الأخبار، قال تعالى: ﴿وَلِكُنْ تَعْمَلُوْبُ الَّذِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، فنجد قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُبَرُّ وَمَا يُعِلُّونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. فالعلن والجهر معلوم للكل بالسمع، لكن الله استوى عنده السر والجهر ﴿وَأَيْرُوا فَتَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ [المالك: ١٣] هذا سوء عند الله لأنَّه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المالك: ١٣]، فالتحدي قائم حول ما أسرَّ لا ما جهر به؛ لأنَّه متمكن منه للكلّ.

ووصف الصدر كذلك بأنه محل الوساوس: ﴿الَّذِي يُوَسُّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] وأنه محل الحوائج: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَلَتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [غافر: ٨٠]، ووصف كذلك بالكبر والغل: ﴿إِنْ فِي

صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبِيرٌ مَا هُمْ بِتَغْيِيبِهِ ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥٦] ووصف بالابتلاء: ﴿وَلَيَتَّقَى  
 أَللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾  
 [آل عمران: ١٥٤] ووصف بمثل ذلك الصدر بالتحصيل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثَرَ مَا فِي  
 الْأَقْبُورِ ﴾<sup>١٠١</sup> وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾١٠٢﴾ [العاديات: ١٠]؛ ووصف بالرهبة: ﴿لَا تُنْهِي  
 أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾[الحشر: ١٣]؛ وبالشفاء: ﴿فَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ  
 رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾[يونس: ٥٧] وخلاصة ذلك أنَّ الصدر يحوط  
 بالقلب، والذي يدخل فيه قلماً يشعر به في حينه، وهو موضع نور الإسلام،  
 وموضع حفظ العلم المسموع؛ من أحكام وأخبار، وموضع دخول الغل،  
 والشهوات والمني، وال حاجات، وهو يضيق حرجاً أحياناً، ويتشير أحياناً  
 أخرى، وهو موضع ولاية النفس الأمارة بالسوء، ودخول الوساوس  
 وآفات الخواطر، وسمى الصدر صدرًا لأنَّه صدر القلب وأوله ومقدمته،  
 ولأنَّ منه تصدر الحاجات والوساوس والخواطر نحو القلب، وهو مستقرٌّ لها  
 والمتذبذب لها والمتفكَّر فيها.

### ٣- أعمال القلب وأحواله في القرآن الكريم:

وظائف القلب على بابين: الأول: العلوم والتصورات، وهو العمليات  
 المعرفية؛ من فكر وتدبّر وتذكّر، ومعلومات سابقة، وناتجة متحصلة منها. والثاني  
 من وظائف القلب فهو باب الإرادات والعزوم، وهذا بالتعلق والميل إلى أمور،  
 والابتعاد والتفور من أمور أخرى. وهذا الباب درجات؛ أولها الميل ثم العلاقة ثم  
 الإرادة ويرتقي في درجات التعلق حتى يصل إلى العبودية. وعن الإرادة ينتج  
 العزم، وهو قرار العمل قليلاً باستخدام الجوارح، فإن لم تعمل الجوارح كان

التمّني والتّشّهي. فإن استحكمت الإرادة صارت عزماً، ويتوّلّد عن العزم الفعل. بهذا تبيّن الفرق بين العقل وهو باب التصورات والعلوم، وبين العاطفة وهي باب الإرادات والعزوم وما يشملها من تمّنٍ وشهوات وأهواء.

في القرآن صفات كثيرة ذكرت للقلب؛ من أفعال يقوم بها، وخصائص تجعل منه عالماً قائماً بذاته، واتسعت معانيه وتعددت جوانبه، وكلها صور من العقل، أو العاطفة والأحساس والمشاعر الوجدانية، وأحياناً تجمع الجانبين العقلي والعاطفي ويزيد عليهما عمقاً وبعداً آخر.

#### - باب الإدراك:

وهذا يشمل التصورات والمفهومات، والقابلية للمعرفة والعلم، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية والعلوم المستفادة من التجارب، والتمييز والحفظ والتذكر والإنتاج للمعلومات.

#### - باب الإرادة:

وفي الطيّاع؛ من شهوات ورغبات ومعنويات ومويلات، وهي قائمة على الطلب والترك؛ الحبّ والبغض، والقرب والتنفرة، وما وضع في الطيّاع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحبّلات. والإرادات والعزوم هي ما يحصل بعد الخواطر والتفكير، ويكون بعدها اليقين والإيمان والاعتقاد والطمأنينة.

وفي القرآن وردت صفات للقلب خاصة به، منها ما كانت منه، ومنها ما كانت واقعة عليه. بعض الصفات تكون من أفعاله كالخوف والوجل، وأخرى يتعرض لها كالإيقاف والربط والتمحیص له، وقدف الرعب فيه.

هناك صفات إدراكيّة معرفية: وهي كثيرة جداً، منها: الهدایة، والفقه، والزیغ، والعقل، والعمى، والتذیر، والإنکار، والعلم، والظن، وصفات إرادية معنوية وعملية، منها: الغلطة، والسلامة، والإنابة، والإثم، والاطمئنان، والطعم، والتقوی، والتقلب، والاشمئざء، والسكينة، والرأفة، والوجف، والصغو، والقسوة، والكسب، والتعمد، والطهر، والحب، والغلف، والغل، والشرب، والحسرة، والوجل، والتالف، والإباء، والغيظ، والنفاق، والريبة، واللھو، والإخبات، والرعب، واللين، والحمية، والخشوع. وهناك صفات مقتربة بالقلب الواقع عليه وهي أفعال الله في القلوب: منها: الطبع، والإنزال، والختم، والحوال، والربط، والإلقاء، والسلوك، والإफال، والتأليف، والتمحیص، والتزيین، والتطهیر، والتفطیع، والصرف، والشد، والقذف، والكتابة، والران.

ويمكن تمییز الوظائف بتقسيمها إلى قوتین رئیستان: الأولى هي القوّة العلميّة: وهي قوّة الإدراك، والتمییز، وقبول العلم، وتخزینه وحفظه واستذکاره، وترتیبه والاستنباط منه. والثانية للقلب فھی القوّة العمليّة: وهي قوّة الإرادة والعزم والحب والإیمان، وهذه تمثل أعمال القلب وما يکسب بها من حسنان أو سیئات، وأحواله الوجданیّة من ألم وحسرة ومرض وبغض وغل، ومن صحة وفرح وحب، وهذه الأمور ناتجة عن العلائق والخواطر والطبع التي فطر عليها.

ولا بدّ لحياة الإنسان من أمرین، أحدهما: معرفة ما هو المحبوب المطلوب؛ الذي يتّفّع به ويلتذ بادراکه. والثاني: معین دافع له عنه، فهذه

أربعة أشياء: أمر هو محبوب مطلوب الوجود. وأمر مكره مطلوب العدم. والوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب. والوسيلة إلى دفع المكره. فتكون الإرادة خاضعة لما سبقها من شهوات، وطبع جبل الإنسان عليها، وإدراكات كانت حاصلة بالتصور المنقول من الحس، ثم يترقى التصور؛ من الحس إلى الشعور إلى الإدراك، حتى يصل إلى العقل وهو القوة الحاكمة؛ التي تفصل بين الشهوات والطبع والإرادات، فإذاً أن تقرر المنع والحبس؛ أو أن توافق الإرادات، فيكون العزم، فيصدر الأمر للأعضاء بالتنفيذ، فإن توفرت القدرة تمكّن الإنسان من تحقيق مراده، فال فعل الإنساني قائم على ركائز ثلاثة هي: الإرادة، والإدراك، والقدرة. وبصيغة منطقية: ماذا يفعل؟ وكيف يفعل؟ وهل يمكن الفعل؟

#### ٤ - أهمية القلب معرفياً في القرآن الكريم:

خلق الله القلب وجعله محلاً لمعرفته وإرادته، فهو "عرش المثل الأعلى الذي هو معرفته ومحبته وإرادته"، وللقلب علاقـة من ملـاذ الدـنيـا، وطبع جـبـلـ عـلـيـهـاـ، كـمـاـ لـهـ إـرـادـةـ وـعـلـومـ، وـمـبـدـأـ كـلـ عـلـمـ وـعـمـلـ فـيـهـ؛ـ هـوـ الـأـفـكـارـ،ـ فـإـنـهـ تـوـجـبـ التـصـوـرـاتـ،ـ وـتـدـعـوـ التـصـوـرـاتـ إـلـىـ إـرـادـاتـ،ـ وـتـقـنـصـيـ فـإـنـهـ تـوـجـبـ التـصـوـرـاتـ،ـ وـتـدـعـوـ التـصـوـرـاتـ إـلـىـ إـرـادـاتـ،ـ وـتـقـنـصـيـ إـرـادـاتـ الـفـعـلـ،ـ وـيـوـلـدـ التـكـرـارـ الـعـادـةـ،ـ وـمـعـلـومـ أـنـ إـلـيـانـ لـاـ يـمـلـكـ وـقـفـ الـخـواـطـرـ،ـ وـلـاـ طـاقـةـ لـهـ بـإـمـاتـهـاـ،ـ فـهـيـ تـهـجـمـ هـجـومـ النـفـسـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ مـنـحـ قـوـةـ إـلـيـانـ وـالـعـقـلـ؛ـ لـيـسـتـعـيـنـ بـذـلـكـ عـلـىـ قـبـولـ أـحـسـنـهـ،ـ وـالـرـضـىـ بـهـ وـالـسـكـونـ إـلـيـهـ،ـ وـعـلـىـ دـفـعـ الـقـبـيـحـ وـكـرـاهـتـهـ وـالـنـفـرـةـ مـنـهـ.

فشرف القلب من شرف ما فيه، وما أنيط به من مسؤوليات، و"هو أعظم الأشياء الموصوفة بالسعة من جانب الحق، ومعدن الروح الحيواني المتعلّق للنفس الإنساني، ومنبع الشعب المبتهة في أقطار البدن الإنساني، بل في سائر الحيوانات التامة الخلقة، ومنه تصل الحياة والفيض إلى الأعضاء على السوية بمقتضى العدل، وله إيفاء كل ذي حق حقه".

الفصل الثاني:

## طرق اكتساب المعرفة في القرآن الكريم

تعاون في عملية اكتساب المعرفة وسائل الحس الظاهرة والباطنة، وموازين العقل الفطرية والمكتسبة، ومعرفه التي اكتسبها بنفسه أو تلقاها من غيره؛ يضاف إلى ذلك ما يوحى به الله تعالى لأنبيائه من معارف تكون يقينية. وأول طرق اكتساب المعرف هو الإدراك الحسي، فالحواس هي بمثابة منفذ تطلّ منها كل القوى المدركة، فهي الناقل لما تحسه نحو منطقة الإدراك، بعدها يتم التسجيل، ثم تبدأ العمليات الإدراكية. والإدراك هو وصول مثال حقيقة المدرك إلى المدرك. ولوصول العلم إلى النفس المدركة مراتب، فالإحساس للحواس الظاهرة، كما أن الإدراك للحس المشترك أو العقل، والحس المشترك هو الحواس الباطنة وهو الخيال والواهمة والذاكرة والتخيلة.

**أولاً: الإحساس:**

### ١ - مفهوم الإحساس:

الإحساس: أول مراحل وصول العلم إلى النفس المدركة، وهو إدراك الشيء بإحدى الحواس، وهو إدراك للشيء مكتنفاً بالعوارض، واللواحق المادية؛ ونسبة خاصة بينهما وبين المدرك. ويكون الإحساس للحواس الظاهرة، وللعقل، فهو كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم؛ من جهة التعلق بالبرهان أو الخبر.

ولدى الإحساس مجالٌ معرفيٌّ خاصٌ به؛ حيث يكون أول مرحلة تدخل فيها المعرفة إلى النفس، وأول انفعال تتأثر فيه، وهذا يعني أنه أول عنصر وجدانيٌّ، ومن ثمة كان الإحساس طريق معرفتنا بالعالم الخارجي، والحواس أبواب المعرفة. تقول شممت الشيء ولم أدرك ريحه، ف مجرد الاتصال الحسي لا يعُد إدراكاً؛ بل لا بُدَّ من انسجام العقل إليه. من ذلك قوله: ﴿وَتَرَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]؛ فالنظر تحديق العين نحو المنظور إليه، وهذا إحساس العين؛ حيث تستقبل العين صورة المرئي. ويرى المشركون النبي ﷺ رأي عين؛ ولكنهم لا يصررون بصر إدراك واعتبار وتوصيم.

فالنظر تقليل للحديقة نحو المرئي التماساً لرؤيته؛ والرؤبة من توابع النظر، ثم البصر، ثم البصيرة وهي حركة القوة المدركة لطلب العلم. لكن عملية الإحساس أي الرؤبة، لم تتعرض لآفة أو تعطيل، فالخلاف في معنى المتن قول عبر حاسة العين؛ وحمل النزاع في العملية الإدراكية، لا في عملية الإحساس. وإن لا ينفي الخطاب؛ لأنَّه موجه ليستقبل بحسنة العين. وليس ثمة ما يمكن أن يقال هذا إدراك؛ ما لم يكن ثمة حكم على المحسوس، ويشترك الحكم والعقل والحسّ في إصداره في ما يتعلق بالمحسوسات. لذا نجد أنَّ الحواس إذا عرضت في مقام ذكر أبواب العلم لا بُدَّ أن تقرن بالفؤاد أو القلب، وتعطيلها تعطيل للعقل؛ فالإحساس مرحلة أولى للمعرفة، لكن من غير إدراك، فهو أداء وظيفيٌّ غرائزويٌّ بهيميٌّ لا أكثر، ومن غير محل الإدراك؛ يكون مجرد تأثر بمثيرات خارجية والتفاعل معها غرائزياً.

## ٢- تكون الإحساس:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ﴾ [الحل: ٧٨] فيه دلالة واضحة على أنّ الإنسان خلق لا علم له بشيء من المقولات، ولا المحسوسات البَتَّة. فهي إشارة إلى مبادئ العلم الذي أنعم الله بها على الإنسان، فمبدأ التصور هو الحسّ، والعمدة فيه السمع والبصر، وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم فأهميتها معرفياً دونها. فأول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس؛ فيدرك بها أجنساً من الموجودات، فاللمس قاصر عن الألوان والأصوات، ثم يخلق البصر فيدرك به الألوان والأشكال وغير ذلك، ثم ينفتح له السمع فيسمع الأصوات، ثم يترقى في مدارك هذه الحاسة على التدرج، ثم يخلق الذوق فيدرك به تفاضل الطعام؛ وكذلك الشم وهو أكمله. ثم يخلق فيه التمييز وهو طور آخر من أطوار وجوده؛ ثم يترقى إلى طور آخر يدرك به الواجب والجائز والمستحيل؛ وأن حكم الشيء حكم مثله، ولا يجتمع الصدّ مع ضده، وإذا صدق أحد النقيضين كذب الآخر، ونحو ذلك من العلوم الضرورية، ثم يتطور إلى طور يستصح العلوم النظرية من الضرورية، ثم يترقى في مراتب الإدراك.

## ٣- دور الإحساس وقيمة المعرفة:

لا تعدّ الحواس وحدتها إلى المعرفة، فالإحساس أحد طرق تحصيل المعرفة الإنسانية؛ فدور العقل الاعتبار والقياس والتعميم؛ فلا بدّ أن يعتمد على المبادئ الحسّية، وكذلك الخبر لا بدّ له في أصله الإخبار عن قيمة حسّية،

فالإحساس باب للعقل نحو المعرفة في القرآن الكريم؛ حيث كانت العجزات الكونية مبصرة والقرآن مسموع. وتقسيم الأمور الخارجية إلى قضايا محسوسة وأخرى معقولة؛ لا تدرك إلا بالعقل غير صحيح البُّتْهَة. وما أخبرت به الرسال من الأمور الغيبية من وجود الجنة والنار والملائكة والجِنْ هي قضايا محسوسة، وكذلك ما يتنعم به أهل الجنة، ويعذب به أهل النار أمور حسيّة؛ وليس أموراً عقلية؛ صورتها الرسال على أنها حسيّة: ﴿قَالَ بَصَرْتُ إِيمَانًا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ [طه: ٩٧]. فالروح وحتى ذات الله تعالى يمكن رؤيتها بالأبصار ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَيْمَنُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فبني الإحاطة يلزم إثبات الرؤيّة، لكن لما كانت هذه الأمور وما هو في عالمنا غائباً سميت غيّاً؛ في مقابل عالم الشهادة المشاهد والمعين. والعقل يكتسب معلوماته من الواقع؛ بوسائل اتصاله بالعالم الخارجيّ، وهي الحواس التي يتربّك منها الإحساس؛ أي القوّة الكامنة في الحواس.

فالإحساس يختص بطريق الحواس بما هو خارج الإنسان، ويستوعب كل المسموعات والمرئيات والروائح والأذواق والملموسات. وهناك حسّ باطن يثبته الكثير؛ وهو ما يجد الواحد فيما من ألم ولذة وحبّ وبغض، وهذه أثبتت للقلب في القرآن الكريم. وأيات الكون الواردة في القرآن الكريم؛ الاعتبار بها لا يكون إلا بالبصر والسمع، ثمّ يلي القياس والاعتبار بعد فهم ما يراد والتفكير ثمّ التذكير. لذا كان مدار العلم على الإحساس والإدراك ﴿وَلَا تَنْقُضْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ الْأَسْمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَعَالَمُ الشَّهَادَةِ هُوَ الْمَشَاهِدُ الْمَحْسُوسُ؛ فَكَانَ هُوَ مَجَالُ الْإِحْسَاسِ فِي هَذِهِ الدِّينِ؛ بِهَا فِيهَا مِنْ آيَاتٍ مُخْلُوقَةٍ وَمُتَلَوَّةٍ. وَدُورُ الْعُقْلِ الْأَرْتِقَاءِ بِهَا وَرَدَ عَنْ طَرِيقِ الْإِحْسَاسِ لِفَهْمِهِ وَالْقِيَاسِ عَلَيْهِ، فَيَنْشَأُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ نَظَرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ خَالِصَةٌ؛ إِذْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَوَّلَ مَا خَرَجَ مِنْ رَحْمِ أَمَّهِ لِلدِّينِ فِي مِبْدَأِ الْفَطْرَةِ خَالِيًّا مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَعْلُومَاتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَقْلِمُونَ شَيْئًا﴾ [النَّحْل: ٢٨]؛ فَالنَّكْرَةُ سِيَاقٌ فِي التَّنْفِي تَفِيدُ الْعُمُومَ؛ أَيْ أَنَّ الطَّفَلَ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمَّهِ صِفَّةً بِيَضَاءِ مَعْرِفَيًّا، ثُمَّ يَخْلُقُ اللَّهُ لَهُ الْإِحْسَاسَ (الْقُوَّةِ)؛ لِيُسْتَفِيَدُ بِهَا الْمَعْرِفَةُ وَالْعِلْمُ مَعَ (الْإِدْرَاكِ). فَالْتَّصُورَاتُ وَالْتَّصْدِيقَاتُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ كَسْبِيَّةً أَوْ بَدْهِيَّةً، وَالْكَسْبِيَّةُ لَا يَمْكُنُ حُصُولُهَا إِلَّا بِوَاسِطَةِ تَرْكِيبَاتٍ بَدْهِيَّةٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ سَبْقِ الْبَدْهِيَّاتِ؛ فَكَانَتِ النَّفْسُ خَالِيَّةً مِنْ جُمِيعِ الْعِلْمَوْنَ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ؛ فَإِذَا أَبْصَرَ الطَّفَلَ شَيْئًا أَوْ سَمِعَهُ مَرَةً بَعْدَ أُخْرَى، ارْتَسَمَ فِي مُخِيلَتِهِ مَاهِيَّةً ذَلِكَ الْمَبْصُرُ أَوْ الْمَسْمُوعُ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْحَوَاسِ، فَيُصِيرُ حُصُولُ الْحَوَاسِ سَبِبًا لِحُصُولِ الْمَهَاجِرَاتِ الْمَحْسُوسَاتِ فِي النَّفْسِ وَالْعُقْلِ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَسْبِيَّةَ إِنَّمَا يَمْكُنُ اِكْتِسَابُهَا بِوَاسِطَةِ الْبَدْهِيَّةِ؛ وَحدُوثُ الْبَدْهِيَّةِ يَكُونُ عِنْدَ حَدُوثِ تَصُورٍ مَوْضِعَاتِهِ وَمَحْمُولَاتِهِ، وَحدُوثُ الْتَّصُورَاتِ إِنَّمَا كَانَ بِسَبِبِ إِعَانَةِ هَذِهِ الْحَوَاسِ عَلَى إِحْدَاثِهَا، فَظَهَرَ أَنَّ السَّبِبَ الْأَوَّلَ لِحَدُوثِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فِي النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ؛ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَعْطَانَا هَذِهِ الْحَوَاسِ، فَأَصْبَحَتْ سَبِبًا لِاِنْتِقَالِ نَفْوُسِنَا مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ قَطْ؛ إِلَى مَرَاحِلٍ مِنَ الْعِلْمِ الْمُتَفَاوِتِ بَيْنَ النَّاسِ".

## ٤ - مجال الإحساس:

تمكّنا حواسينا من الإحساس بها حولنا من أشياء، وفحصها، وتميّزها عن غيرها، بحيث يتسمى لنا تطبيق معطياتها في استعمالاتنا، على أنحاء شتى لواجهة مقتضيات هذه الحياة، ولو تغيرت حواسينا؛ لتغيرت إحساساتنا، وللتغيير مظاهر الأشياء، ونظمها الخارجية في نظرنا تغييراً تاماً. فلو كانت حاسة السمع أقوى مئة مرة لسمعنا أصواتاً هائلة ومتنوعة وضجيجاً شديداً الإزعاج، ولو كانت العين أَحَدَ لأبصرنا عوالم أكثر حولنا بل لضاقت بنا الحياة لما تحوي من مرئيات. فأهم خصائص الإحساس اتصاله بال المادة، وعالمه هو عالم الشهادة كما ورد في القرآن الكريم، وهذا إثبات لواقعية العالم الخارجي؛ مع تأكيد عدم استقلال الإحساس وحده، وإنما الحكم للقوّة المدركة وهي العقل، والعقل لا يحكم من غير أن ينقل له الإحساس. فمجال الحواس هو الإحساس بها ورد في عالم الشهادة من غير عالم الغيب، وما لا تصل إليه الحواس لا يكون له وجود في عالم الشهادة، ومحاله إنما أن يكون ذهنياً أو غبياً. وما لا يمكن الإحساس به مطلقاً؛ هو ما كان ذهنياً لا يوجد إلا بالعقل، وما قصر وجوده في العقل حصر به، فلا وجود له في غيره، وما كان غبياً فهو محسوس، إلا أن مجال الحواس في الدنيا هو الشهادة فقط. فالإحساس خادم للعقل، والخادم لا يكون بديلاً عن سيده بل معيناً له، فهو يمثل جزءاً من العمليّات المعرفية، بل بدايتها. وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ما هو كوفي من عالم الشهادة كي يعتبر الناس بما خلق الله تعالى ﴿وَقَرَأَ آثِيْكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبَصِّرُونَ﴾ [٢٨] وَمَا لَا تُبَصِّرُونَ ﴿٢٩﴾

إِنَّهُ لَقَوْلَ رَسُولٍ كَبِيرٍ ﴿٤﴾ [الحقة: ٣٨، ٣٩]، وقال: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غُطَاءَكَ فَصَرُوكَ الْيَوْمَ حَمِيدٌ﴾ [٢٢]؛ أي يوم الحساب يرى ما لم يكن يؤمن به، ويرى ما لا طاقة له برؤيته يوم الشهادة، وقال تعالى: ﴿أُولَئِنَّ يَعْرُوْفُونَ فِي مَلْكُوتِ أَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وهنا يكون النظر إما بالرؤيا، أو بسماع الأخبار والنظر إلى الآثار، وكل ذلك لفهم سنن القيام والسقوط؛ ونشأة الحضارات والأمم والقوى واندثارها.

## ثانياً: الإدراك

هو تمثّل حقيقة الشيء عند المدرِّك؛ يشاهد بها ما يدرك به، فهو كمال حاصل في النفس؛ يحدث بسببه مزيد من كشف ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعلّق بالبرهان أو الخبر، وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً. ثمّ هذه الإدراكات ليست بخروج شيء من الآلة المدركة إلى الشيء المدرَّك؛ ولا بانطباع صورة المدرَّك فيها، وإنما هي معنى يخلقه الله تعالى في تلك النفس المدركة أي "معنى قائم بالعالم".

وطور الإدراك هو طور بعد الإحساس، يتزايد ويتناقص بقدر تفاوت قدرات الناس، وأول أنطوار الإدراك التمييز وهو مراتب؛ وفيه يدرك أموراً زائدة على الإحساس، لم تكن حصلت له من قبل، ثمّ يترقّى إلى طور آخر يستنبط فيه العلوم النظرية؛ من تلك الضروريّة التي تقدم علمه بها، ثمّ يترقّى في هذا الطور من أمر إلى أمر فوقه وأغምض منه، نسبة ما قبله إليه كنسبة

الحس إلى العقل، ثم وراء ذلك كله طور آخر؛ نسبة ما قبله إليه كنسبة أطوار الإنسان إلى طور العقل أو دون هذه النسبة، فينفتح فيه عين يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور" العقل معزولة عنها كعزل الحس عن مدركات العقل، وهذا هو طور النبوة".

والإدراك على معنيين؛ الأول: وهو مرتبة من مراتب العلم؛ أي وصول مثال المعلوم إلى النفس المدركة، والمعنى الثاني: هو مطلق الإدراك أي كل عمليات وصول العلم ومراتبه. فالأول هو الإدراك المطلق وقد شرح في بداية المطلب، والثاني هو مطلق الإدراك؛ وهذا يمثل ما نعبر عنه بالقوّة العالمة أو العارفة في الإنسان. ولو وصول العلم في الإنسان مراتب فصلناها سابقاً نكرر ذكرها من الأدنى إلى الأعلى وهي: أنها الإحساس ثم على التوالي: الشعور، والإدراك، والحفظ، والتذكر، والذكر، والفهم، والفقه، والدرائية، واليقين، والذهن، والتفكير، والحدس، والذكاء، والفطنة، والكيس، والرأي، والتبين، والاستبصار، والإحاطة، والظن، ثم العقل. ويعبر عنها في مراجع كثيرة بالعمليات التفكيرية، أو الإدراك العقلي أو العقل، ونبئ إلى أن بعضهم يجعل العقل هو محل الإدراك؛ ومراتب الإدراك هي قوى العقل، وهذا خلل في الاصطلاح خاصة في حال دراسة نظرية المعرفة. فمن المعلوم عند أهل الاختصاص في المعرفة أن العقل قوّة إدراكيّة و المراتب الأخرى قوى إدراكيّة مثله؛ فليس هو محل لها، فإذا كان هو محل لها فأين محله؟ خاصة مع إقرارهم بأنه صفة قائمة بعين، وليس قائمة بنفسها.

## ١ - محل الإدراك:

صرّح كثير من العلماء والفقهاء والباحثين أنَّ الحواس آلات لإدراك الجزئيات، أما "المدرك فهو النفس". وهذا مبنيٌ على تقسيم الإنسان من حيث الخلق إلى مادة وروح، فالمادة قطعاً هي ما يركب الأعضاء كلّها، أما الإدراك فهو خاصٌ بالنفس والروح، بدليل أنَّ الجثث لا تدرك شيئاً. وعبر عن محل الإدراك كثير من العلماء، منهم أبو حامد الغزالى "باللطيفة الروحانية" التي لا يعلم بحقيقةتها أحد غيره تعالى، وهي جزء من عالم الغيب، دورها تلقي العلوم وحفظها والنظر فيها للاستنبط منها، فإذا تتبعنا آيات القرآن وجدنا أنَّ المحلَّ الذي وصف بالإدراك ونسبت له عمليات إدراكيَّة هو (القلب)، "ووفق هذا المعنى فإنَّ القلب في نظر القرآن أداة من أدوات المعرفة، حيث يعتمد على مخاطبة العقل في معظم رسالاته، فقلب كل شيء خالصه، وهو أعظم شيء موصوف بالسعة وهو معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني، ويسميه بعضهم بالنفس الناطقة والروح الباطن، والقلب هو محل اللطيفة الروحانية المدركة.

فالقلب هو محل العلم والعقل والفكر والإدراك، أما كون ما يحصل في النفس "علم" فلا إشكال، فعندنا هنا محلَّ العلم هو القلب، وهو الموضوع المعلوم. وانتقال مثال أو صورة أو حقيقة الموضوع المعلوم إلى محلَّ العلم يكون في الماديات بالإحساس، لكنَّ إدراك حقيقته أو صورته بما يتم؛ أي ما هي القوَّة المدركة في القلب هل هي العقل؟ لم يرد قط في القرآن بصيغة المصدر، بل بصيغة الفعل مما يثبت أنَّه عرض؛ أي صفة قائمة بذات وهي

جوهره، وهذه الذات هي القلب. ووصف القلب بأنّه يعقل ويتدبر ويتفكر وينظر ويتصدر ويسمع، فهل كلّ هذه قوى إدراكية أم عمليات لقوى أخرى؟ عندنا مثلاً قوّة عملية التذكّر الذاكرة، وعندها العقل وهو القوّة العاقلة والعملية هي التعلّق.

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لا نجد أوصاف القلب الإدراكية إلا بصيغ الفعل، فإن قلنا بما جرت عليه العادة: إنّ العقل هو قوّة الإدراك الكامنة بالقلب؛ أي هو العاقل المفكّر المتدبّر، فهل الذاكرة والحافظة والذكاء من العقل؟ أم هي قوى أخرى خارجة عنه؛ لا منه؟

لكي نفهم المسألة نرجع لتعريف "العلم" الذي أقررنا بأنّ محله "القلب" -وهنا لا نفرق بين العلم والمعرفة والإدراك؛ إذ المراد مطلق ذلك كله- يطلق على ثلاثة معانٍ بالاشتراك. أولها: يطلق على نفس الإدراك. وثانيها: على الملكة المسماة بالعقل في الحقيقة. وهذا باعتبار أنّه سبب للإدراك، فيكون من إطلاق السبب على المسبّب. وثالثها: على نفس المعلومات. أمّا تعريف العقل فكان: القوّة المهيأة، والملكة الحافظة والمستحضرة للمعلومات. فهو بمعنى قوّة خاصة لها علميات خاصة، تتكامل مع غيرها لكن تفارقها. وبمعنى يطلق على جميع النشاطات الإدراكية والفكريّة.

## ٢- مفهوم القوّة المدركة:

ورد في القرآن الكريم أنّ القوّة المدركة هي القلب؛ أي اللطيفة الروحانية، ومن عملياتها التعلّق والتدبّر والتفكير والنظر، وكلّها موجودة في

القلب الجسميّ. لذا نجد العلماء يعرّفون العقل بأنّه: القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويُطلق على العلم الذي يستفيده الإنسان عن طريق العقل "عقل".

فالقرآن ذكر فعل العقل بصيغة "تعقلون، يعقلون، نعقل"، ولا بدّ للفعل من فاعل وهو محلّ التعقل، وقد نصّ على أنّه القلب؛ فكان القلب هو المتعقل والعاقل والمفكّر والناظر والبصير. وهذه كلّها قوى الإدراك والعلم، ولهذه القوى أفعال إدراكيّة؛ سمّيت بحسب طرائق تحصيل العلم في النفس، فنجد أنّ تعريف الفكر هو: قوّة مطروقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة. فالقوّة المدركة واحدة ولها حركات أو أفعال، وبحسب حركاته يتسمّى الفعل؛ وذلك مرتب على العلاقة بين المعلوم؛ وما يتّج عنه؛ وطرائق البحث فيه. فالعلم يحصل بعد تردد وانتظار وفكرة، لأنّ العلم يحصل بعد فرك للمعلومات وبصيرة، لأنّها يقين لدرجة الإبصار والمعاينة؛ أي تبصر ما غاب عن الحواس، سمّيت إدراكاً لأنّها تلحق بالمطلوب وتدركه؛ أي تصل إليه. ومن خلال الاطلاع على الكثير من المراجع؛ تواردت مصطلحات معرفية حاولنا ضبطها لفهم العمليّات المعرفية، فقد أطلق على القلب بأنّ فيه لطيفة نور وقوّة وغريزة وملكة وهيئة واستعداد وطاقة وقدرة.

ولكي تتضح الصورة لا بدّ من تحديد المصطلحات أكثر، وذلك لشدة التداخل المعجميّ بينها، غير أنّ لكل واحد استعمالاً يتميّز بمراعاة صفات ومعانٍ زائدة عن غيرها، ولأنّ بعضها قد يُبيّن قبلًا، فسنحاول جمعها وبيان بعض الفروق: قولهم القلب مع إرادة الجانب الروحانيّ فيه، غالب من عرفه لم يخرج عن كونه هو المدرك. فالقلب اللطيفة الروحانية العالمة المدركة، هي

النفس المدركة والروح العاملة وهي الفؤاد واللب والحجر والنهاي والبصرة. وهذا كله يمثل محل مطلق الإدراك، ول محل الإدراك أسماء أخرى وهي الذهن والنفس، فيكون القلب هو الذهن وهو النفس بمعنى واحد، إلا أنّ النفس سميت بذلك لكونها متصرفة أي فاعلة، والذهن لكونه مستعداً للإدراك. أمّا العقل فعرف على أنه قوّة متهيّنة لقبول العلم، وللعلم المستفاد بتلك القوّة. والفهم: هو هيئة تتحقّق بها معانٍ الخطاب. فالحاصل أنّ هناك معلوماً يتصل به بالحواس إن كان خارجياً، وبقوى إدراكيّة إن كان داخلياً؛ وهي قوى استرجاع ما كان محفوظاً ومحفظاً، ثمّ أفعال تستنبط مما هو مخزن، وأخرى تعني وتسنّد، وهي تلي الإحساس مثل الشعور والإدراك والفهم. بعدها يكون التخزين، وبعدها الفحص والبحث للإنتاج، فتنشأ علوم زائدة عما نقل عبر الحواس من أخبار أو إحساس مباشر. وبعدها تطبيق تلك العلوم وضبطها، وهذه خلاصة وصول العلم كما بيننا في مراتب العلم.

هناك "محل" للعلم والمعرفة: له قابلية للإدراك واستيعاب العلوم والمعلومات، وهذه القابلية هي استعداده وتهيّه لذلك فسمي المحل (ذهناً). وهذا المحل هو الوسيلة والأداة والآلة ومحلّ الفاعل، ولها متعلق بالجراحة وهي القلب بطبقاته من فؤاد ولب وصدر. والمحل فيه "قوّة": وهي الملكة والغريزة، وهي المتهيّنة للفعل والعمل والنشاط والحركة، تصدر عنها صفات ذاتية فعندها (فاعل)، و(مفعول)، والعلاقة بينها حال وقوعها تسمى (فعل)، وكيف يقع (ال فعل) من (الفاعل) على (المفعول به) يلزم قوّة. وهي كامنة في (الفاعل) المستعد للفعل ولكن لا يوجد فعله بعد. و"القوّة": هي كون الشيء

مستعداً لأن يوجد أو لا يوجد، هذه القوّة هي العقل والفكر الفهم والنظر والفضلية. و"ال فعل"؛ كون الشيء خارجاً من الاستعداد إلى الوجود. قال الجرجاني عن العقل: هو قوّة للنفس الناطقة، والقوّة العاقلة غير النفس الناطقة، والفاعل في التحقيق هو النفس. وقيل سمّيت النفس عقلاً لكونها مدركة، وذهناً لكونها مستعدة للإدراك. فالنفس هي عقل باعتبار "ال فعل"، وهي ذهن باعتبار "القوّة"؛ أي القابلية الصادر منها ذلك الفعل.

في معجم دقائق اللغة: استعداد النفس لاكتساب العلم يسمى (ذهناً)، وقوّة ذلك الاستعداد تسمى (فطنة). (والحافظة) هي القوّة التي تحفظ ما تدركه القوّة الوهميّة من المعاني، و(الذاكرة) هي القوّة التي تستحضر المعاني التي وعتها (الحافظة). وفي تفسير ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠١] قال أحد المفسّرين: يراد بالقلوب هنا القوى الداخلية في الإنسان، المخلوقة للفهم وللحفظ وللتذكرة، بتخزين صور الأشياء وقضايا المعرفة كلّياتها وجزئياتها، ولتخيل صور ومركبات غير مشهودة، للإبداع والابتكار، ولإدراك المعاني والبحث عن حقائق الأشياء.

وفي هذه القوى الداخلية المعرفية والإدراكيّة موازین فكريّة؛ مؤهله بالتكوين الرباني؛ الذي فطر الله عليه للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، ولقياس الأشباه والنظائر، والحكم على الغائب منها بمثل المشهود منها، وللاعتبار والاستدلال، والفهم والموازنة والحكم، حتى لا تسقط الإرادة فريسة الأهواء والشهوات. فهذه "القوّة" هي غريزة لتصدور صفات ذاتية منها، وهي الملكة لاستحكامها؛ وإن لم تستحكم بعض القوى كانت عبارة عن

"حالة"، وبهذه القوّة طاقة وقدرة على النشاط والحركة والعمل والفعل. فالعقل قوّة فعلها التعقّل، وبعد حصول التعقّل يقال "عقل"، وهذه "هيئه" للعقل، فلا يوصف بها إلا بعد حدوث المثال بالنفس. فالمدرِك هو القلب الذي فيه يحلّ مثال حقائق الأشياء، ويتمثل المدرَك في حقائق الأشياء، والإدراك هو حصول المثال في المحلّ، فوصول مثال المدرَك إلى القلب يسمّى إدراكاً، وقد كانت الحقيقة موجودة، والقلب موجوداً، ولم يكن الإدراك حاصلاً، لأنَّ الإدراك وصول الحقيقة إلى القلب. ونسمّي هذا الحصول أو الوصول "الهيئه".

نخلص إلى جمع ما سلف عندنا حول الإدراك "الجارحة" "الآلله"؛ وهي القلب بمعناه المادي. ثم "المحلّ" (اللطيفة الربانية المدركة) وهو بالقلب، ثم "قابلية المحلّ" (الذهن) وهي استعداد النفس القادرة المدركة، ثم "القوّة" لذلك الاستعداد، ثم "الفعل" (التعقّل، التفكّر)، وهو نشاطات العقل، والعمليّات الإدراكيّة، ومراتب وصول العلم، وحالة وصول العلم تسمّى "هيئه" (عاقل، مفكّر) وهي تحقق العلم وبالنفس، فالفاعل هو النفس وبالذات (القلب)، والقابلية للفعل (الذهن)، والقوّة على الفعل (العقل)، والفعل (التعقّل)، والمفعول به (المعقول)، والهيئه (العاقل).

### ٣- العمليّات الإدراكيّة في القرآن الكريم:

نبحث هنا في قوى الإدراك وأفعالها، مع بيان الفروق في ما بينها في القرآن الكريم، ولأنَّ ما ورد فيه كان بصيغة الفعل فقط؛ فالبحث سيكون في

الأفعال؛ أي النشاطات الإدراكية، أو أعمال القلب الإدراكية. أو لها التعقل: وهو وظيفة وفعل لقوّة هي (العقل)، ولفظ "العقل" ليس له وجود في القرآن، وإنما يوجد ما تصرف منه نحو "يعقلون، وتعقلون"، كقوله تعالى ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَا تَعْلَمُوا قَدْ بَيَّنَتِ لَكُمْ الْآيَتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، وقد ورد من مادّته بصيغة الفعل في تسعة وأربعين موضعًا من القرآن الكريم، وأكثر ما ورد "أفلا تعقلون" في ثلاثة عشر موضعًا، بمعنى أليس لكم ذهن تفطئون به لقبائح أفعالكم وأقوالكم.

والعقل مصدر، وإن كان سبيوبيه يعده صفة؛ لأنّ المصدر لا يأتي على وزن مفعول. وسمّي العقل عقلاً لأنّه يعقل صاحبه عن التورّط في المهالك؛ أي يحبسه. ونتيجة لذكر القلب في القرآن بوصفه اسم جنس مفرداً ومجموعاً، بخلاف العقل الذي ورد مفرداً مشتقاً من اسم جنس، استخلص بعض الباحثين أنّه لا يوجد شيء محسّس في جسم الإنسان لذات اسمها (العقل)، أمّا القلب فإنّ هناك شيئاً لذات اسمها (القلب)؛ وهو تلك المضخة القائمة في الصدر، الأمر الذي يدعونا للفصل بين كل من جملة تلك المعاني (العقل) و(القلب)، لنصل إلى أنّ القلب من الألفاظ المشتركة؛ ومن جملة معانيها (العقل). والخطاب موّجه إليه لتقوم به الحجّة، فلا يعرف بحال من الأحوال إلا بأفعاله، والله يبيّن لعباده ما يعقلوه بقلوبهم. ويقال العقل للهيئة، والقوّة الكامن في النفس بالقلب، ولنور القلب وبصيرته، يبدأ طريقه من حيث يتّهي طريق الإحساس، وهو المعنى بقولهم غريبة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامنة الآلات، وبه يكون التمييز والإدراك والتأمّل والتفكير.

والتعقل فهو تفعّل من العقل، وقد ورد بصيغة هي: تعقلون، ويعقلون، وعقلوه، ونعقل، على النحو الآتي: عقلوه: ﴿أَفَنَظَمُуْنَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وتعقلون ويعقلون: في ستة وأربعين موضعًا، ﴿أَتَأْمَرُوْنَ اَلْنَاسَ بِإِلَيْرٍ وَتَنْسَوْنَ اَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْلُوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿صُمٌّ بِكُمْ عُمٌّ فَهُمْ لَا يَقْتُلُوْنَ﴾ [البقرة: ١٧١]. ونعقل: ﴿وَقَاتُوا لَوْكًا نَسْعَ اَنْتَلُ مَا كَانُوا فِي اَحْصَنِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. ويعقلها: ﴿وَتَذَكَّرُ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُوْنَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وباستقراء مواضع "التعقل" نلاحظ ما يأتي: وروده بصيغة (أولاً يعقلون)؛ (أولاً تعقلون) ثلاث عشرة مرة، وهي أسلوب استفهمام استنكاريّ، حيث ترد كلما خالف الناس واقعهم وناقضوا أنفسهم، والاستفهام للتوبیخ، بمعنى أليس لكم ذهن عاقل؟ فتفطئون به لأفعالكم، وتفهمون به الخطاب، وتعلمون بما أمرتم، وتنتهون بما منعتم؛ أي: أليس لكم ذهن فتفطئون لقبح أفعالكم وأقوالكم، مثاله ﴿أَتَحَدُثُوْنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُمْ بِهِ، عِنْدَ رَيْكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ [البقرة: ٧٦]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آتَيْنَا اَنْتَقَوْا اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وروده بصيغة (علّكم تعقلون) ثمان مرات، وهي تفيد الفعل؛ أي بمعنى لتعقلوا ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ اِيَّتِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ [٢٤٢]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ [١] [يوسف: ٢]. ووردت هذه الصيغة دائمًا بعد لفظ (بيان)، أو تبيين من الله تعالى لأحكامه

وحدوده. مثال لذلك في آية البقرة سبقها ﴿يَسْأَلُوكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمُنَيْسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُوكَ عَنِ الْيَتَمِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ثم أحكام الحيض والطلاق؛ بعدها ﴿وَلَمْ يَطَّلَقْتَ مَتَّعْ بِالْعُوْفِ حَقًا عَلَى الْمُنَيْسِ﴾ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ إِيمَانِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤١ - ٢٤٢]؛ أي يبيّن حدوده وأحكامه؛ كيما يُعرف المقصود؛ ويعمل بالمطلوب.

والمراد بالتعقل في جميع الموضع معنيان هما: عقل الخطاب؛ أي استيعابه بعد بيانه، والانتعال به؛ أي حبس النفس على أوامر الخطاب ونواهيه. فكان التمييز والمنع، والتمييز بالبيان الذي جعله الله تعالى في آياته، والامتناع هو المطلوب، والإنسان مخير فيه، فإن لم ينعقل فلا عقل له؛ أي أنه لا يميز النافع من الضار، والخير من الشر.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَنَظَّمُهُؤُنَّ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَّا أَلَّهُ شَمَ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]؛ هنا كان الخطاب ثم ساءه ثم عقله ثم تحريفه عن علم، فأثبت لهم التعقل قبل العمل بالخطاب؛ بل وبعد تحريفه، لكن علّقه بالخطاب فقط؛ فلم يثبت لهم مطلق التعقل، (عقلوه)؛ أي فهموه، ووعوا المقصود، وأدركوا المطلوب منهم، ثم عصوا عن قصد وتعمد، فلم يوصفو بأنهم عقلاً مدحًّا، بل وصفوا بأنّ لهم القدرة على عقل الخطاب، مع عدم الانتعال به؛ أي عدم الالتزام، لذا انتفى عنهم وصف "العقلاء" لاقتضاء العلم للعمل دائمًا في الكريم.

ونفي العقل عن الكفار والعصاة ليس نفيًّا للقوة العقلية؛ لأنّها مناط التكليف، بل نفي للعمل بمقتضى ما تعقله من علم وصلاح، ونفي لكمال

العقل. بل إن كل موضع نفي فيه العقل؛ فالمراد العقل بمعنى العلم المستفاد بالقوّة المدركة ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُّهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ وكل موضع رفع فيه التكليف فالمراد القوّة المدركة وهي العقل. فالعقل على ثلاثة معان: أولها القوّة المتهيّة لقبول العلم؛ وهي ما يفارق بها غيره من الحيوان. وثانيها: العلم المستفاد من تلك القوّة، أو ما وضع في الفطرة والطبع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيّلات. وثالثها القوّة الغريزيّة، المانعة والخابسة للنفس عن اتباع كل شهواتها ورغباتها، فهي المتحكّمة بالمنع أو الإذن.

وكل موضع ذمّ فيه العقل لوقوعه في خطيئة؛ فإنّما الذمّ للقوّة الغريزيّة المانعة؛ فالعقل علم وعمل، والعلم القوّة المتهيّة للعلم، والمستفاد من تلك القوّة، وما فطر عليه العقل، أمّا العمل فهو القوّة الغريزيّة التي تمنعه عن الشر والقبائح والباطل، وتسمح بالخير والحقّ والصلاح. فأثبت الله تعالى لكلّ الناس العقل، ونفاه عن الكفار، ونفاه عن العصاة، وعن الجهال؛ وهذا يقع على أحد معانى العقل كل واحد بحسب السياق. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُّهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٢]؛ فأثبتت العقل للعلماء دون غيرهم، فالتعقل هنا بمعنى الفهم والتدبّر للأمثال، مع تطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب.

في آيات الصيام ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، بعدها كان تفصيل مسائل الصيام، ثمّ ختم ذلك كله بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ أَيَّتِيهِ لِلنَّاسِ﴾

**لَعَاهُمْ يَتَّقُونَ** ﴿١٨٧﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالغاية من فرض الصيام حصول التقوى، وبيان أحكامه لتحقيق الغرض بتمامه وكماله، فالبيان للحق من دواعي فهمه وزيادة في حجّيته وإعانته عليه. وكذلك فإنه يقيم الحجّة عليهم؛ بأن يتّقوا العقاب حال المخالففة، فكان بيان الحق وتفصيله للعمل على اتقاء الأخطاء والمعاصي والشرّ الناجم عنها.

بعد الآية كان السياق كالتالي **﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هُنَّ مَوَاقِعُ اللِّنَاسِ وَالْحَجَّ﴾** [البقرة: ١٨٩] ثم مسائل الجهاد والحجّ بعد ذلك **﴿يَسْأَلُوكُمْ مَاذَا يُنفِقُونَ** ﴿٢١٥﴾ [البقرة: ٢١٥]، ثم **﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الشَّهْرِ الْعَظِيمِ﴾** [البقرة: ٢١٧]، بعدها **﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَنِيرِ﴾** [البقرة: ٢١٩]، ثم ختمت بقوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفَكُرُونَ** ﴿٢٢٠﴾ **﴾فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** [البقرة: ٢١٩]؛ أي بيان الدلالات على أحقيّة الحقّ، ومحضلات العلم النافع، والفرقان بين الخير والشرّ، والصدق والكذب، والحقّ والباطل، وكل ذلك **﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَنفَكُرُونَ﴾** [البقرة: ٢١٩]؛ أي تستعملون فكركم في فرك هذه الأمور، والبحث فيها بحركة وجولان للقوة الإدراكية؛ من المطالب إلى المبادئ، ورجوعها من المبادئ إلى المطالب، والغاية من ذلك إدراك الأسرار، وتحصيل علم زائد عن العلم الحاصل من فهم الخطاب أولاً. بعدها **﴿وَيَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْيَتَمَّ﴾** [البقرة: ٢٢٠]، ختمت الإجابة **﴿وَبَيْنَ ءَايَتِيهِ لِلنَّاسِ لَعَاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [البقرة: ٢٢١]؛ أي يستحضرون ما أمروا به، فيعملوا اتقاء للعقاب، ثم يتذكّرون اتقاء لأحكام الله، ثم يبيّن لهم كي يتذكّروا ما علموه أولاً. بعدها **﴿وَيَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْمَحِيطِ﴾** [البقرة: ٢٢٢]، بعد الإجابة كان

تفصيل أحكام الطلاق ثم ختمت ﴿وَتَنَكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>٢٣</sup> [البقرة: ٢٣٠]، فجعل الله بيان حدوده خاصاً بأهل العلم بأحكامه، لأنّه يحب من يتعلّم حدوده، ومن يعلمها هو من يفهم وجه الحكمة منها، وهذا حاصله زيادة علم، وهداية من الله تعالى بعد التذكرة. بعدها أحكام المطلقة والأرملة، ثم ختمت ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ مَا يَتَّبِعُهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾<sup>٢٤</sup> [البقرة: ٢٤٢]؛ أي عقل حدوده بفهمها، ومعرفة المقصود، والعمل بمقتضاه.

فالترتيب في مستويات من كان غرض التبيين للآيات موجهاً لهم كان كالتالي: المتّقون، المتّفكرون، المتذكرون، العالمون ثم العاقلون، مثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي أَسْمَائِنَ وَالْأَرْضِ لَذِكْرٌ لِّلْقَوْمِينَ ﴾<sup>٢٥</sup> [وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يُبْثِنُ مِنْ دَأْبٍ إِنَّ لَقَوْمَهُ يُبْقِيُونَ ﴾<sup>٢٦</sup> وَلَعِنَافِ الْأَيَلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنَّ اللَّهَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَلَمَّا يَهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَسَرَّيْفِ أَرْبَيعِ إِنَّ لَقَوْمَهُ يَقْبِلُونَ ﴾<sup>٢٧</sup> [الجاثية: ٣ - ٥]، بعدها ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَمَّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لَذِكْرٌ لَقَوْمَ يَنْفَعُونَ ﴾<sup>٢٨</sup> [الجاثية: ١٢]؛ وهذا هو مبدأ الحجاج؛ أي الكون سخر ليتفكر به فيؤمن بذلك الإنسان. قال السعدي: قسم تعالى الناس بالنسبة إلى انتفاعهم بأياته إلى قسمين: قسم يستدلّون بها ويتفكرون بها ويتقنون، وهم "المؤمنون" بالله إيماناً وصل إلى درجة "اليقين"، فركي منهم العقول، وازدادت معارفهم، وقسم يستكبرون، ويسمعون آيات الله ثم يعرضون.

فالتعلّق في القرآن الكريم هو أعلى درجات وصول العلم، لأنّ بعده العمل؛ وهو مقترن به، فالنفس أو القلب تصل إليها الخواطر والأحساس والشعور، ثم يكون الفكر بتقليل المعلومات والنظر فيها وتأمّلها، بعدها

يكون فهمها وفقه المراد، ثم عقلها بأن تخبس في النفس المدركة وتنتقل إلى الإرادة لتعقلها عن العصيان وتلزمها بالطاعة، قال ابن تيمية: "العلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصوّر المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوّراً"، والعقل في القرآن الكريم لا يرد ممدوحاً؛ إلا في مقام العمل بعد العلم، وإلا مجرد العلم من غير القيام بمقتضاه يعد نقصاً في العقل. والغاية من العلم ليس الترف المعرفي بل التطبيق العملي. فكان كلما أمر وبين الله آياته وصف عباده حسب درجة الاستفادة من البيان؛ وكان أعلىها عقل ما بيّنه، وذلك باستيعابه وتمييزه، ثم عقل النفس حسب مقتضى البيان؛ فتمنع عن مخالفة الأوامر؛ وتمنع عن ارتكاب النواهي.

كلما ذكر الله تعالى التعقل بصيغة ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ كان العقل إما: لحدود الله تعالى وأحكامه؛ بوعيها والعمل بمقتضاهما، أو لِمَنْتَهِ وما سخر لعباده من أمور مختلفة ومتعددة. فكان لا بدًّ من مقابلة الخير النازل من الله تعالى؛ بمنع النفس عن العصيان، وإزامها بالطاعة لمن يرزقها ويجسّن إليها. فكل سياقاته ورد فيها ذكر مسخرات الأرض والسماء، من طعام، وحيوان، ووسائل نقل ومزروعات، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ أَيَّلَ وَالْهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّكُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَنْتَهِ لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [١٢]. أمّا إذا ذكر التفكّر فيوجه نحو الحركة والاختلاف والتنوع، بينما يذكر العقل في مقام الامتنان على العاقل؛ ليُلزم طاعة من سخر له ما في الأرض لخدمته. وبين التعقل وغيره فروق؛ تلاحظ في سياق الآيات التي تتبع، غالباً يبدأ بالإيمان،

ثُمَّ السَّمَاعُ، ثُمَّ التَّقْوِيَّةُ ثُمَّ التَّفْكِيرُ ثُمَّ التَّذَكْرُ ثُمَّ الْعِلْمُ ثُمَّ التَّعْقِلُ.

وظيفة التعقل - كما يبين القرآن - هو القياس والتعيم، لذا كان ضرب الأمثال للعقلاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِعَيْنِهِ كَذَلِكَ يُعَيِّنُ اللَّهُ الْمَوْقِنَ وَإِرْبِكُمْ إِاَيْتَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]؛ والتعقل دوره لاحق بعد الاتصال بالواقع الذي يتم عبر الحواس، فإذا تعطل الإحساس تعطل التعقل قال تعالى: ﴿صُمْ بِكُمْ عُمْ﴾ [البقرة: ١٨]؛ تعطل لكل طرق الإحساس فكانت النتيجة ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. أما التفكير فهو: تفعّل من الفكر؛ وهو كل ما وقع في خلد الإنسان وقلبه، فالاسم الفكير وال فكرة، والمصدر الفكر- بالفتح -، والفعل التفكير؛ وهو تفعّل الفكر مع تأمل. وقيل هو تردد القلب في الشيء حتى يستقر؛ أي قوّة مهياً للعلم، تؤدي إلى الوقوف على المعاني المقتضية للسكون؛ فهي جولة القوة المدركة بحسب النظر، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال فكر إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب؛ فهو تصرّف للقلب بالنظر في الدلائل، فيما يمكن أن يحصل له صورة فيه. ولم يرد لفظ المصدر منه في القرآن، بل ما تصرّف من أفعاله في ثمانية عشر موضعًا. فالتفكير وظيفة للجهة المدركة في الإنسان، بالتركيز على التفكير في أمور لتحصيل المعرفة، ولكنه يتميز بالدقة، ويحتاج إلى التدرج في استنتاج العلم، ويحتاج إلى الحواس واليقظة في الفطرة للعلم الضروري، ويحتاج كذلك إلى التذكرة، فهو عملية عقلية بحثة تستلزم البحث والدرس والتقصي. ولا يكون الفكر إلا إذا استحكمت اليقظة؛ فتوّجّب الفكر بتحقيق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له؛ أي التماس العقل المطلوب بالتفتيش

عليه. قال ابن القيم: الفكر فكرتان: فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة؛ وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة. فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة: فكرة التمييز بين الحق والباطل، وبين الثابت والمنفي. والتي تتعلق بالطلب والإرادة: هي الفكرة التي تميز بين النفع والضار. ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع، فيسلكها، والطريق إلى ما يضرّها فيتركها. فهذه ستة أقسام لا سابع لها، هي مجال أفكار العقلاء.

فالتفكير هو طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم؛ من أمر هو حاصل منها: هذه هي حقيقته، فإن لم يكن ثمة مواد تكون موارد للفكر؛ استحال الفكر، لأنّ الفكر بغير متعلق متفكّر فيه محال، وتلك المواد هي الأمور الحاصلة، ولو كان المطلوب بها حاصلاً عنده لم يتفكّر فيه. فإذا عُرف ذلك؛ فينتقل المتفكّر من المقدمات والمبادئ التي عنده؛ إلى المطلوب الذي يريده، فإذا ظفر به وتحصّل له تذكّر به، وأبصر موقع الفعل والترك وما ينبغي إثارة وما ينبغي اجتنابه، والتذكّر هو مقصد التفكّر وثمرته.

وجاء الأمر في التفكّر في كتاب الله بصيغ مختلفة وهي: يتفكّرون، تفكّرون، تفكّروا، يتفكّروا وفكّر. باستقراء الآيات التي ورد فيها تلك الصيغ نلاحظ ما يأتي: جاءت الدعوى إلى التفكّر في آيات الله الكونية في عدّة مواضع منها ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ أَسْمَائِهِ وَأَرْضِهِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وجاءت الدعوى إلى التفكّر في حال النبي ﷺ ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يُصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، وفي الأنفس ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]، وفي من مضى ﴿فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [١٧٦] [١٧٦].

وفي الأمثال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَصِّرُهَا لِلَّتَّا يَسْعَى لَعَاهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] وجاءت بالدعوى إلى ضرورة التثبت والاستفادة من الآيات البينية لمعرفة العواقب وفهم النتائج والتمييز بين النافع والضار. وتدعوا أغلبها إلى التفكير في ميدان الأنفس والأفاق؛ أي الآيات الكونية؛ وتشمل أسرار الأنفس، والسنن الاجتماعية، وتاريخ الأمم وقصصهم، مثال ذلك ﴿وَمَنْ ءَايَتْهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَشْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ لَقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الروم: ٢١] فهي آية لمن يتfun بهما، ويتفكر فيما ينشأ بين الزوجين من علاقة لا تكون مع غيرهما.

فالتدبر: وهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل، مثل التأمل وهو استعمال الفكر مع تمهل. فالتدبر في الأمر: أن تنظر إلى ما يؤول إليه في عاقبته. وقد ورد التدبر في القرآن الكريم بصيغة الفعل "يتدبرون" يدبّروا، كلها التدبر في الآيات المتلوة؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفَعَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَبَرَّوْا الْقَوْلَ أَمْ جَاهَهُمْ مَا لَرَأَيْتَ عَابَاءَهُمُ الْأَذَلُّونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿كَتَبَ أَنْزَلَنَّهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَدْبِرُوا بِإِيمَانِهِ وَلِتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابُ﴾ [ص: ٢٩]. قال الزمخشري: تدبر الأمر تأمله، والنظر في أدباره؛ وما يؤول إليه في عاقبته، ومتناهه، ثم استعمل في كل الإنسان؛ ولكنه تفكير عميق مع ما يتبعه من تعقب لأدبار الأمور ونتائجها، وثرته التذكرة وبلغ مرتبة أولي الألباب؛ بذلك يكون التدبر درجة أعلى من التفكير وأدنى من التذكرة.

والتفقه: من الفقه وهو الفهم بالعلم والحق في الصنعة اللغظية؛ والبيان. وهو العلم بمقتضى الكلام مع تأمله؛ لذا أطلق على فهم الخطاب الشرعي "الوحي"؛ ومعرفة مقتضاه عن تأمل (علم الفقه). قال ابن دريد: رجل فقيه: عالم، وكل عالم بشيء فهو فقيه، وغلب الفقه على علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، وتخصص بعلم الفروع في الشريعة. وقد ورد في القرآن الفعل لا المصدر، وكانت دلالاته على أنه أخص من الفهم ومن العلم ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَلَمْ هُوَ لِأَقْوَمٌ لَا يَكُونُ يَفْعَلُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؛ فهو توصل إلى علم غائب بعلم شاهد. قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَصَلَّنَا أَلْيَاتٍ لِّأَقْوَمٍ لَّيَفْعَلُونَ﴾ [الأعراف: ٩٨].

والتفقه أعلى من الفهم، لأن الفهم شرط في قيام الحجّة غير أن الفقه ليس شرطاً، فكان عدم فقه الكفار والمعاندين كلام أنيابه ليس دليلاً على سقوط التكليف عنهم ﴿قَالُوا يَسْتَعْيِثُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، فقوم شعيب فهموا خطاب نبيهم عليه السلام بدليل قوله لهم له قبل ذلك ﴿قَالُوا يَسْتَعْيِثُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمِنُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ إِيمَانُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [٨٧]، فقولهم ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾؛ أي لا نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة. فهم لم يقتنعوا بوجه الحجّة، ولم ينفذوا بفكيرهم إلى علة صحة ما يقول؛ مع فهمهم كلامه وقوّة حجته، وذلك كان على وجه التضجر من نصائحه ومواعظه، وعدم فهمهم؛ لبغضهم لما يقول ونفرتهم عنه". وكان الحاجز النفسي مانعاً للانتقال من درجة الفهم إلى درجة الفقه؛ أي الوقوف على المعنى الخفي

المتعلق به الحكم، بتعقل وعثور يعقب الإحساس والشعور.

ورد فعل التفقة على تصاريف وهي: تفهون، نفعه، يفهوا، يفهون، يفهوا، يتفهوا، باستقراء الآيات نلاحظ: أن التفقة يكون للكلام والقول والحديث ﴿وَاحْلُمْ عُقْدَةً مَنْ لَسَافِيٌّ يَفْهَمُونَ قَوْلِيٌّ﴾ [٢٧ - ٢٨]، ﴿فَالْهَوْلَاءُ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ حَدِيشًا﴾ [٧٨]، والتفقة من أعمال القلب ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْهَمُونَ إِيمَانَهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ونتيجة الطبع على قلب الكافر والمعاند هي عدم الفقه ﴿وَطَبِيعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ﴾ [٨٧]؛ فشخص القرآن الطبع بعدم التفقة. ومثله الأكنة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكَنَّا أَنْ يَفْهَمُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، و﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكَنَّا أَنْ يَفْهَمُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وفي الكهف ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكَنَّا أَنْ يَفْهَمُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧]؛ والأكنة هي الأغطية.

ووظيفة التفقة أعمق من الفهم والإدراك كما في قوله تعالى: ﴿تُسَيِّحُ لَهُ الْمَسَوَّتَ السَّبِيعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ بِهِمْ﴾ [٤٤]. وقد ورد التفقة على أنه وظيفة تحصيل؛ أكثر منها وظيفة نظر وتفكير؛ أي هو هيئة حاصلة للإنسان بعد نشاط فكري، وشخص بالدين في القرآن الكريم ﴿فَلَوْلَا نَقَرَ مِنْ كُلِّ رِفْقٍ وَّنَهِمْ طَائِفَةٌ لَّيَسْتَفَهُوا فِي الدِّينِ﴾ [١٢٢]؛ فالتفقة هنا التخصص في تعلم الدين. وهنا لا فرق بين الفقهين الأكبر والأصغر، قال السعدي: "وفي هذه الآية دليل وإرشاد لفائدة مهمة، وهي أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من

مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفّر وقته عليها، ويجهد فيها، ولا يلتفت لغيرها لتقوم مصالحهم وتتمّ منافعهم. قال الغزالي: "كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال.. وكان لفظ الفقيه لا يطلق قديماً إلا على من كانت لديه ملكة تساعدها عليها فطرته ومارسته، فيستطيع بها أن يستنبط الأحكام الشرعية في الأمور العملية من أدلة الشريعة وأمارات الأحكام، فكان لفظ الفقيه يساوي لفظ المجتهد، ثمّ على كل من اشتغل في الفقه؛ وحفظ الفروع".

أما التبصر فهو من البصيرة؛ وهي فطنة تمنع الإنسان من الغفلة، وبصر المتعدي بالباء يؤدي معنى عليم. فالبصيرة هي قوّة مدركة في القلب وجعها بصائر. فالبصيرة نور يقذفه الله في القلب؛ يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل؛ كأنه يشاهده رأي العين: فيتحقق انتفاعه بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم؛ وهذا معنى قول بعض العارفين: "البصيرة" تتحقق الانتفاع بالشيء والتضرر به. وقال بعضهم: "البصيرة ما خلاصت من الحيرة إما ببيان؛ وإما بعيان. وهي على ثلاثة درجات: الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة يصدر عن عين لا يُخاف عواقبها، فترى من حقه أن تؤديه يقيناً؛ وتغضب له غيره. والثانية: أن تشهد في هداية الحق وإضلاله إصابة العدل، وفي تلون أقسامه رعاية البر، وتعالى في جذبه حبل الوصل. والثالثة: بصيرة تفجر المعرفة، وتثبت الإشارة، وتثبت الفراسة. وهذه تفجر بها ينابيع المعرف من القلب، ولم يقل "تفجر العلم"؛ لأن المعرفة أخص من العلم عند القوم، ونسبتها نسبة الروح إلى العلم، فهي روح العلم ولبه.

والبصيرة تكون للآيات المشاهدة ﴿أَفَلَا يُنْظِرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْهَمُهُ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَيَّسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ قُوْجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَلَقَيْنَا فِيهَا رَوْسَى وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَعْجٍ بَهِيجٌ ﴿٧﴾ بَيْصَرَةٌ وَذَكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُثِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨]؛ فالتبصرة آلة البصر، والعبد إذا أتاب بقلبه إلى ربه؛ أبصر موقع الآيات، ثم يبصر القلب الحق بقواه الإدراكية، كما في قوله تعالى: ﴿مَدَ جَاءَكُمْ بَصَارِي مِنْ زَرَّتُكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فِي نَفْسِهِ﴾ [الأعراف: ١٠٤]، والعبرة لا تكون إلا من يبصر محلها؛ ﴿لَوْا إِنْ فِي ذَلِكَ لَعْزَةٌ لِلْأَوَّلِيِّ الْأَبَصَرِ﴾ [آل عمران: ١٣]؛ فأولو الألباب نصيهم التذكر، وأولو الأبصار نصيهم الاعتبار ﴿فَاعْتِرُوا يَكْأُلُوا الْأَبَصَرِ﴾ [الحشر: ٢].

والنظر: نظر في الأمر بالبصيرة والقلب على سبيل التفكير؛ والإحاطة به حفظاً، وإظهاراً لصوابه؛ بالمناظرة والرأي والحسن. وهو كفوة إدراكية؛ هو ترتيب أمور معلومة؛ على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلم. فقيل: النظر عبارة عن حركة القلب لطلب علم من علم. وفي مراتب وصول العلم إلى النفس نجد: الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب، والإفهام إيصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع.

والتفكير: حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب. والنظر: ملاحظة المعلومات الواقعية في ضمن تلك الحركة، فالنظر إقبال على الشيء بالبصر، وعلى الأمر بالقلب؛ والرؤية إدراك المرئي، وإمهال النظر تأملً ورويًّا. وأكثر ما جاء من مادته في القرآن كان عن البصر أو البصيرة، لأنها من مداخل التفكير، والنظر بالبصر المراد منه الملاحظة بالعين والتفكير بالقلب، فليس الأمر بالنظر في القرآن لتسليمة الأعين بل لتذكير القلب

وتفكره. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة وغالب، وفي البصيرة أكثر عند العلماء.

وما جاء في القرآن الكريم كان في الغالب حض على إعمال الفكر في مواطن كثيرة وبصيغ مختلفة؛ منها: نظر: جاء بصيغة الماضي في قوله تعالى ﴿تَنْظُرُ﴾ [المدثر: ٢١]؛ ونظر، بصيغة المضارع في قوله: ﴿فَإِلَّا سَنَنْظُرُ أَصَدَقُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِ﴾ [النمل: ٢٧]، جيء به لدلالة التثبت من الخبر قبل إصدار الحكم. وجاء بلفظ: فلينظر، بصيغة المضارع المقترب بلام الأمر، في قوله تعالى: ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، وفي كيفية الخلق ﴿فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢١] آنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبَّاً ﴿ثُمَّ سَقَنَا الْأَرْضَ شَقَّاً﴾ [٢٢] فَأَبْيَنَا فِيهَا حَيَاً [٢٣]﴾ [عبس: ٢٤-٢٧]. وبصيغة انظر: في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَنْكُسْتَهُ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنْجَمَلَكَ إِيمَكَ لِتَنَاسِّيْ وَانْظُرْ إِلَى الْعَظَمَاءِ كَيْفَ تُثِيرُهَا ثُمَّ تَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ومثله (انظروا). وينظروا: بصيغة المضارع، في الحض على التأمل والتفكير في المخلوقات، وأيات الله الكونية، قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلْكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وفي آيات الأنفس من أحوال الأمم الحالية العاتية في الدنيا؛ وما كانوا عليه من القوة والسلطان، ثم ما أصابهم من العذاب في الدنيا لعصيائهم؛ وما يلحقهم من العذاب في الآخرة ﴿أَوْلَمْ يَبْيَسُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ فُؤَادًا وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِمَا دُنُوْهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقِي﴾ [٢١] [غافر: ٢١].

والرأي: قال ابن القيم: تفرق العرب بين مصادر فعل الرؤية بحسب محلها... "فالرؤيا" في النوم... و"الرؤية" في الإبصار، والرأي لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين. ولم يأتِ الرأي بمعنى الإبصار؛ إلا حال اقترانه بقرينة دالة على ذلك ﴿فَعَةٌ تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآخَرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مَثَيِّهِمْ رَأَى  
الْعَيْنَ﴾ [آل عمران: ۱۳].

ورأى إذا عُدِي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، والرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن. وقال بعضهم: الرأي هو إحالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها إنتاج المطلوب. وقد يقال للقضية المستنيرة من الرأي رأي، ويقال لكل قضية فرضها فارض رأي أيضاً. وهو أعلى درجة من الفكر وأدنى من الاستبصار.

جاء الرأي في القرآن الكريم بصيغة الأفراد والجمع في حال المخاطبة والغيبة، وبيانه كالتالي: (تر): وهي صيغة خاصة في القرآن، خاطب بها الله تعالى نبيه في مواضع عدّة، وهي تشمل كل من تبعه من أمهاته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ الَّذِي  
كَحَّاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِيعِهِ أَنَّ إِنَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ﴾ [البقرة: ۲۸۵]، بمعنى ألم تخبر، وبلفظ: (ير): جاءت بصيغة الغائب؛ تنبئها للتأمل في ما حول الإنسان من آيات مرئية تستشعره وتثيره للتفكير فيها، ليعتبر بها يرى ﴿أَوْلَئِكَ إِنَّهُنَّ أَنَّا  
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ۷۷]. (بيرو) (بيرون): كلّها للحضور على إعمال الفكر في آيات الآفاق والأنسوف، من أجرام سماوية وآفاق أرضية، والقياس بها يرى ويعاين على الغائب؛ فكلّها أمثال وصور جعلت ليعي الإنسان أنّ ما غاب عنه حقيقة مثل ما هو معain عندـه. قال ابن القيم:

الرأي في الأصل مصدر رأى الشيء يراه رأياً، ثمّ غلب استعماله على المرئي نفسه، من باب استعمال المصدر في المفعول، كاهوى في الأصل مصدر هوية يهواه هوى؛ ثمّ استعمل في الشيء الذي يهوى، فيقال: هذا هوى فلان. وتفرق العرب بين مصادر فعل (الرؤية) بحسب محلّها، فتقول: رأى كذا في اليوم رؤيا، ورآه في اليقظة رؤية، ورأى كذا - لما يعلم بالقلب ولا يرى بالعين - رأياً، ولكنّهم خصّوه بما يراه القلب بعد فكر وتأمّل وطلب لمعرفة وجه الصواب؛ مما تعارض فيه الأمارات. فلا يقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه؛ مما يحسّ به: إنه رأى. ولا يقال أيضاً للأمر العقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تعارض فيه الأمارت أنه رأى، وإن احتاج إلى فكر وتأمّل كدقائق الحساب ونحوها.

والرأي ثلاث أقسام: رأى باطل بلا ريب، ورأى صحيح بلا ريب، والثالث هو موضع الاشتباه: التذكّر والذكر: الذكر في معناه العام الحفظ للشيء، ومنه الشيء يجري على اللسان، ويكون الذكر باللسان والقلب، ومن معانيه الصيت والثناء وكتاب الدين، والقرآن لشرفه. فالذكر هيئه للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أنّ الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر اعتباراً باستحضاره؛ أكان بالتدبر أم بالنطق ألم بالحديث على هيئه الحكاية. ويقال لحضور الشيء في القلب أو القول ذكر باللسان؛ وكلّ واحد منها ضربان؛ ذكر عن نسيان، وذكر عن إدامة حفظ لا عن نسيان. وسمّي العلم تذكراً لقوّة الدلائل وظهورها؛ كأنّ ذلك العلم كان حاصلاً؛ وإن بعد حين بما يستعمله من التدبّر والنظر. "فالحافظة" هي

القوّة التي تحفظ ما تدركه القوّة الوهميّة من المعاني، وـ"الذاكرة" هي القوّة التي تستحضر المعاني التي وَعَنْها الحافظة وتتذكّرها.

ويأتي الذكر في عدّة تصاريف، على ستة عشر وجهاً في التفسير، وذلك لضرورة تخصيص الدلالة تأدّيةً للمعنى المراد، ولكن كلّ هذه الوجوه فيها استحضار وتدبّر، فقد جاء الذكر دالاً على الطاعة والعرفة، والقرآن، والبيان، والخير، والذكر باللسان وبالقلب، والوحى، والعلم، والحفظ والدراسة. والتذكرة ما يتذكّر به الشيء؛ وهو أعمّ من الدلالة والأماراة كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَنْتَعًا لِّلْمُقْوَينَ﴾ [الواقعة: ٧٣]. فالذكر وظيفة إدراكيّة لتحصيل المعرفة، ولكنه يكون باسترجاع المعاني سواء منها: التذكرة للمعنى الفطريّة، أو المعلومات السابقة التي تقرّ بها الفطر جيّعاً، ويتناها الناس في غمرة التحدّي والإعراض والانحراف؛ أو التذكرة للمعاني من خلال النظر في الآيات الكونية والمتلوة، والسفن الاجتماعية، أو من النظر باسترجاع المعاني، وأخذ العبرة من قصص الماضين. فهو نشاط إدراكي ما بعد التفكّر والتدبّر، ولا يكون إلا للخلاص وأولي العقول الزاكية.

ويتبين أنّ التذكرة ورد بصيغة عدّة باستقراء آيات القرآن، وفي سياقات متنوّعة وهي: فقد يرد مع أداتي الحض (أفالاً) و(فلولاً)؛ في سياق الاستفهام الإنكاري للتوبیخ كقوله تعالى: ﴿مَثُلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْأَبْصَرِ وَالسَّمِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَرْكُونَ﴾ [هود: ٢٤]. وإذا ورد اللفظ مسبوقاً بـ"العلّكم" أو "العلّهم"؛ فهو للتحقيق وبيان العلة، كما في قوله تعالى: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا إِيمَانِيْتَ بِإِنْتَ لَعَلَّكُمْ نَذَرْكُونَ﴾ [النور: ١]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ

صَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَاهُمْ يَنْذَكِرُونَ ﴿٢٧﴾ [الزمر: ٢٧]. وقد يسبق التذكير البيان والتفصيل ﴿وَلَقَدْ صَرَفْتَهُ عَنْهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿٥٠﴾ [الفرقان: ٥٠]، ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَلَنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٦].

والذكر خاص بأولي الألباب دون غيرهم ﴿وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٣٣﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ﴿إِنَّمَا يَنْذَكِرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد: ١٩]، فالذكر فعل اللب وهو خالص العقل. ويكون في آيات الله الكونية والمتعلقة ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَنَا رَوَجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ [الذاريات: ٤٩]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ اللَّهَ أَوَّلَمْ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ [الواقعة: ٦٢]. وفي الآيات المتعلقة ﴿رَكِبْ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكٌ لِيَذَرِرُوا إِيَّاهُمْ وَلَيَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿٦﴾ [ص: ٢٩]. وكل مذكور هو متفكر أو متدبّر ضمننا، ولا يلزم أن يكون كلّ متفكر أو متدبّر متذكراً؛ لحصر التذكير بأولي الألباب فقط دون غيرهم. فالذكر قرين الإنابة ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾ ﴿١٢﴾ [غاف: ١٣]، ﴿بَيْصَرَةً وَذَكَرَ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ﴿٨﴾ [ق: ٨]. والذكر مع التفكّر يشمران أنواعاً من المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان. ولا يزال العارف يعود بتفكيره على تذكّره، وبتفكيره على تفكّره، حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتّاح العليم، قال الحسن البصري: "ما زال أهل العلم يعودون بالذكر على التفكّر، وبالتفكير على التذكّر، ويناطقون القلوب حتى نطقت."

والذكر تفعّل من الذكر، وهو ضدّ النسيان أي حضور صورة المذكور العلمية في القلب، واختير له بناء التفعّل، لحصوله بعد مهلة وتدّرج، كالتبصر والفهم والتعلم. فاختصّ التذكير بأولي الألباب؛ وهم من آتاهم

الله تعالى الحكمة، واختص بأهل الإنابة، كما سبق التذكّر التفكّر والتبصر في الآيات المشهودة؛ والتدبّر لكلام الله تعالى، فيكتسب العبد المنيب التائب إلى الله تعالى صفاء البصيرة، فيصير موقع العبر في الآيات المخلوقة والمتلولة، لأنّ التبصرة آلة البصيرة، والتذكرة آلة التذكّر، فيترتّب عن التفكّر والتدبّر التبصرة، ويترتّب عنها التذكّر؛ فتحصل المداية، فتزيل الإنابة عنه الغفلة فيبصر؛ وتوجّب البصيرة حضور الصور الدلالية بالقلب؛ فتزول عنه الغفلة فيتذكّر. قال تعالى: ﴿أَتَيْعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْيَعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلَاهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. المراد بالتذكّر الأثر النفسيّ والسلوكيّ؛ الذي يشيره أو يحدّثه التذكّر لقضية ما من قضايا المعرفة. والمعرفة المراده هنا هي المعرفة الدينية؛ التي أوحى الله بها إلى رسوله، وهو ما جاء بيانه في صدر الآية. والتذكّر هنا هو استحضار المعلومات من الذاكرة، باستخراجها من مخازن المعرفة وإحضارها إلى ساحة التصور الحاضر. والناس عند حصولهم على المعرفة بطرائقها الفكرية أو التجريبية أو الخبرية، قسمان: القسم الأول تمر عليه الفكرة، فلا يعني بها ولا يكتثر لها، ويدفعها تمر عابرة من غير أن يهتم بنقلها إلى مخازن الذاكرة في نفسه، بسبب إهماله وعدم اهتمامه. وهذا القسم من الناس مسؤول عن إهماله وتقصيره ومؤاخذ عليه.

أما القسم الثاني فيحافظ على المعرفة، ويخزنها بنفسه، وأصحاب هذا القسم صنفان: الصف الأول يستدعي الأول المعلومات من مخازن الذاكرة إلى ساحة التصور الحاضر عند المناسبة التي تقتضيها، وهذا هو التذكّر؛ والصنف الثاني يهمل هذه المخازن؛ حتى تكون في زوايا المتروكات

والمهملات أو نوادر الاستدعاء أو في غياب النسيان.

فاشتغال النفس بما أمرها الله تعالى من تكاليف، وتقيد النفس بأوامر الله تعالى ونواهيه، لا بد أن يسبقه عمل القلب وفعله؛ وضمناً هنالك تفكّر وتدبر وإيمان قبلها، والمداومة على الطاعة إنما هي للمداوم على التذكرة، فهو محرك القلب؛ والقلب سيد الأعضاء ورئيسها، وصلاحه صلاح لها لزاماً، فكلما كان المدرك أكثر حضوراً في النفس بالتذكرة؛ كان أكثر تأثيراً فيها وأشدّ في تحريكها نحو الفعل. فمن شغل ذهنه بالآخرة وما يحقق السعادة الأبديّة؛ كانت جوانب نفسه كلّها مستشاره لتحقيق مطالب الآخرة، والسعى إلى إصلاح أعمال النفس ونواياها، حتى تصفي نفوسهم من كلّ غاية غير الآخر وطريق الوصول إليها. وهذا حال الأنبياء، وهو ما خاطب به الله تعالى آخر أنبيائه محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿وَذَكْرُ عِدَّتَا إِلَيْهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَئِمَّةِ وَالْأَبْصَدِرِ ١٥ إِنَّا أَخَذْنَاهُمْ بِخَالصَّةِ ذِكْرَى الدَّارِ ١٦ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ١٧﴾ [ص: ٤٥، ٤٧] فالخلصة الخالصة من الشوائب التي اصطفاهم الله بها، وجعلهم بها من المصطفين الأخيار؛ هي أنّ ساحة تذكّرهم دوماً هي الدار الآخرة، وكلّ ما يوصلهم لها من أعمال في الدنيا. فكلّ حركاتهم ونواياهم موجهة لغاية واحدة، وكلّ أعمالهم للقربى من الله تعالى، حتى بنو مهم وقيامهم.

إنما يكون التذكرة النافع الموجّه للإدارة من المؤمنين المتقين الحكماء، وهم أولو الألباب، فخلاصة الفكر التذكرة، وخلاصة أهل الفكر أولي الألباب، وخلاصة العقل اللب، وخلاصة العقلاء أولي الألباب، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوفِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْكُرُ

#### ٤- مجال الإدراك العقلي في القرآن الكريم:

تبعاً لدور القوة المدركة في تحصيل المعرفة؛ نجد أن التفكير والنظر أهم ما يميز الكينونة الإنسانية المدركة؛ يتعامل مع الكون الذي يعيش فيه، وهو مزود بالحواس التي تفتح له آفاق المعرفة لعالم الشهادة، والتفكير وهو يتقدم إلى معرفة ما في الكون من محسوسات؛ لا يكتفي بالإدراك الظاهري لها؛ وإنما يحكم بوجودها ونهايتها، فتحصل المعرفة بالقوة الإدراكية ونشاطاتها فتعتمد على الحواس، وما يبني من تراكم معرفي، وقوانين تصبح بدھيّة، لفهم ما هو معاین وإدارکه؛ والقياس عليه لإدراك وجود ما لا يعاين في الحال، وهذا ما يصطلاح عليه قرآنياً بمجال الشهادة والغيب. فعالـم الشهادة عالم فسيح للتفكير؛ من خلال ما يتميز به من معرفة ضروريّة، وقوانين منظمة لما تسعفه به الحواس، فكـل ما في العالم مجال للتفكير؛ من سموات وما بها من طبقات وكواكب ونجوم، ومن أراضي وما بها من جبال وسهول وبحار وأنهار، والإنسان هو عالم مصغر، فكـل هذا ميدان للتفكير، وهو مسخر لخدمة الإنسان، ومسخر لفهمه والتفكير فيه ﴿أَلَّا ترَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

ووجه الإنسان للتدبـر في آيات الله المتلـوة، وهي مصدر معرفة عالم الغـيب، وفهمـه مع ضيـط الفـكر، بأن لا يقتـحم إلا ما قـدر عليه، لـذا وجـهـ الإنسان نحو ما ينفعـه، وما هو أـهل للبحثـ فيه، أمـا ما لا طـاقة لـهـ بهـ؛ فقد بيـنـ لهـ ما يـقدر عـقلـهـ علىـ استـيعـابـهـ، وحـجـبـ عنـهـ ما لاـ يؤـثـرـ عـلمـهـ فيـ المـطلـوبـ منهـ،

ولا يضرّ الجهل به بالمهمة التي خلق لأجلها. فعلم الغيب كقضية في مجال الإدراك من حيث المبدأ؛ يعترف بها العقل والفطرة، أمّا تفصيل هذا العالم فليس له طاقة ولا قدرة ولا وسيلة غير الوحي، بينما سخر له ما يمكنه من التسليم بوجوده. وجاء ليعرض بعض تفصياته من غير الخوض في "الكيفيّات" أو محاولة البحث في الماهيات؛ لأنّ القدرات الإدراكيّة في الدنيا غير مؤهّلة لذلك، بل لا حاجة لها بها.

فخصائص العقل: القياس والاعتبار والتعميم والضرورة، وكلّها تبني إمّا على ما تنقله الحواس أو ما تراكم من معارف ونتائج عما نقل تتابعاً عن الحواس. فعدم تحديد المجال الذي يرتاده العقل ويبحث فيه؛ هو أكبر خطأ منهجيّ يرتكبه الباحث في اعتماده على هذه القوّة المعرفية، وتحديد المجال الذي ينبغي أن يعمل فيه العقل؛ متوقف على النظر في حدود طاقته وإمكاناته؛ حتى لا يخوض في بحث يخرج عن إطار طاقته ويفوق إمكاناته.

فطاقة العقل وقدرته الذهنية محدودة، ولا يستطيع أن يتعقّل جميع الأشياء، أو يبحث في جميع القضايا، وكذلك إمكاناته ووسائله محدودة، إذ لا تستوعب قوّتاً السمع والبصر مثلاً جميع المجموعات والمرئيات، فعملهما يبقى محدوداً في إطار المسموع والمشهود، والعقل يحكم في القضايا التي يتصورها تصوّراً محدوداً في إطار المسموع والمشهود، ويحكم في القضايا التي يتصورها تصوّراً تماماً، إذ الحكم على الشيء هو فرع عن تصوّره، وأمّا القضايا التي لم يتصورها البّة، أو كان تصوّره لها ناقصاً، فلا يجوز له الحكم عليها لا بالنفي ولا بالإيجاب.

فأهّم ما يحد من قيمة الحجاج العقليّ؛ هو قدرته الكبيرة على إقامة الأدلة لما يعتقد حقاً وصواباً "إذ لا يعجزه أن يجد الحجج المفحمة المقنعة؛ لإثبات وجهة نظره، وإن لم تكن صحيحة في الأمر نفسه، فهو خصيم شديد العدواة والجدال، مبين لأوجه الخلاف والمعارضة ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ أَكْثَرَ شَنِئٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

فلا غرو أن تتفاوت المعارف العقلية بين الناس؛ لاختلاف القدرات الذهنية والإرادات الباعثة على اكتساب المعرف، فمن المعلومات ما هو مشترك بين عامة الناس وهي قليلة؛ ويرجع غالبيها إلى الحس المشترك أو الحس العام، ومنها ما يكون مشتركاً بين فئات معينة، ومنها ما يختص بأشخاص معينين. وتنقسم هذه المعلومات إلى بدھيّة ونظريّة، ويفتقرب النظري إلى البدھيّ، ولا يكون البدھيّ من غير إعانة الحواس، كما يستقر على التسلیم نتيجة التكرار و ثبات الحكم دوماً، أي أن تسلیم العقل أن "أ" هو "أ"؛ لن يكون إلا بعد تكرار تلقیه لمثال "أ" دائمًا هو "أ"؛ فيسلیم أن "أ" هو " دائمًا وأبداً، فيصبح [بدھياً] و مسلماً به دائمًا وأبداً، مما يقتضي قانوناً ثابتاً هو " ببدأ المھوّة".

"وكون العلم بدھيّاً أو نظريّاً، هو من الأمور النسبية الإضافية، مثل كون القضية يقينية أو ظنية، إذ قد يتیقن زید ما يظنه عمرو، وقد يبدي زیداً من المعانی ما لا يعرفه غيره إلا بالنظريّ، وقد يكون حسياً لزید من العلوم؛ ما هو خبیر عند عمرو، وإن كان كثير من الناس يحسب أن كون العلم المعین ضروريّاً أو كسيّاً أو [بدھياً] أو نظريّاً؛ هو من الأمور الالازمة له

بحيث يشترك في ذلك جميع الناس، وهذا غلط عظيم، وهو مخالف للواقع، فإنّ من رأى الأمور الموجودة في مكانه وزمانه؛ كانت عنده من الحسيّات المشاهدات، وهي عند من علمها بالتواتر من الأخبار المتواترة، وقد يكون بعض الناس إنّما علمها بخبر ظنيّ؛ فتكون عنده من باب الظنّيات، فإنّ لم يسمعها فهي عنده من باب المجهولات، وكذلك العقليّات؛ فإنّ الناس متفاوتون في الإدراك، وللبعض من العلم [البدهيّ] عنده والضروريّ ما ينفيه غيره أو يشك فيه.

فليس هناك قضايا أوليّة عند كل أحد، أو مشهورة عند كل أحد، وإنّما ذلك أمر نسبيّ بحسب أحوال الناس وقوّة التصور، فإذا كان تصور الشيء تماماً كان يقينيّاً؛ وإذا كان ناقصاً اعتبر مظنوناً.

فنسيّة العقول أحد أكبر الأدلة في تحديد قدرات العقل، وأنّ له مجالاً لا يخرج عنه؛ إذ إنّه عالم الشهادة المخلوق، فلا يدرك العقل إلا ما تنقله الحواس؛ إمّا من الكون المشهود أو من الوحي. وما كان وجوده ذهنيّاً محضاً فلا وجود له بالخارج. وافتراضات العقل مبنية على أساس أنه لا بدّ أن يكون محسوساً.



### الفصل الثالث:

## مصادر المعرفة في القرآن الكريم

يعد موضوع مصادر المعرفة حجر البناء لأي نسق معرفي، إذ منه تُستقى الأدلة والمعارف، وله اتصال مباشر في فكر الأمة الإسلامية وتوجهها الحضاريّ، من أجل إعادة بناء ما هدم، وترميم ما اهترأ، وإبداع ما يساير العصر انطلاقاً من الأصول الإسلامية؛ نحو الريادة وفق منهج رباني.

غير أنّ مفهوم المصدر يشوبه بعض الغموض في تحديده، وفيه آراء عدّة وتصورات مختلفة.

### أولاًً: مفهوم المصدر المعرفي

إذا تبعنا طرح مصطلح "مصادر المعرفة" في الكثير من البحوث؛ نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله اللغويّ، وتدخلًا مع مفاهيم أخرى، مما يقع في إشكالات فكرية للمدقق، وتصورات خاطئة للمطالع، ومن هنا ينبغي أن نفصل في البحث بين الأصل والمصدر، فالاصل هو الخالق لها ولأسبابها، والمصدر هو علة حدوثها، فالله تعالى أبدع الكون على نظام متناسق، ولا يكون التناقض من غير ثبات، والثبات لبُ القانون، والقوانين مما يسر الله للإنسان إدراكتها؛ بل أرشده للبحث عنها، وهي من العالم المباشر الظاهر، وبنى الشّرع الأحكام بين الناس على الظاهر، فيكون التطرق إلى الأسباب المشهودة من العالم المدرك؛ لا إلى الأسباب المغيبة التي تلي عالم الشهادة؛ فالإيمان بالله تعالى يقود إلى تلميس سنن الله في خلقه، ولا تبدل

لستّه تعالى في الآفاق والأنفس، فما وعد جلّ وعلا بأن يُري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم؛ إلا وقد مكّنهم من رؤيتها، ولا تستقيم الرؤية من غير فهم العلل والأسباب، وكلُّ يدرك شيئاً من ذلك بقدر ما أُوقي من علم وقدرة وإرادة.

## ١ - المفهوم الدلالي:

يشكّل موضوع المصادر أهميّة خاصة بالنسبة إلى التربية (المعرفية) الإسلاميّة، لأنَّه يتّصل ببناء فكر الأمة، وتوجّهها الحضاريّ من أجل إعادة بنائها أفراداً وجماعات، لانطلاقها من الجذور الأصليّة والاتجاهات والقيم التي كان لها كبير الأثر في تاريخنا.

إن مصطلح "مصادر المعرفة" في المفهوم الفلسفـي؛ ليس هو المراد بطرائقها عندنا في تصوّرنا الدقيق، ذلك أنَّ مصدر الشيء أصله، وأصل المعرفة عندنا رباني ﴿عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. وإن استعملنا لأدوات المعرفة من عقل وحسّ إنّها هو بإقدار الله عزّ وجلّ وتمكينه، وإذا تتبّعنا مصطلح "مصدر المعرفة" في كثير من البحوث نجد اختلافاً بل اضطراباً في استعماله، حيث جعله بعض الباحثين وسيلة الوصول إلى المعرفة، وقد تبيّن أنّها الأداة وهي الحواس والقلب. وجعله آخرون منبع المعرفة وثمرته من الأصل، فقد تكونت مصطلحات وهي: "أداة المعرفة"؛ وهي الجوارح من حواس وقلب، و"محل الإدراك" وهو القلب، و"محل الإحساس" وهي الحواس، و"القوّة المدركة" الكامنة بال محلّ، و" فعل القوّة المدركة" وهو نشاطها وعمليّاتها الإدراكيّة، و"الميئـة" وهي حصول الإدراك

داخل النفس المدركة. ويطلق على المعلومات الكامنة في النفس (التراكم المعرفي): عقلاً، وعلى عملية استرجاعها والاستباط منها: عقلاً، وعملية تحصيلها أو عدمها: عقلاً. فالإشكال هو: هل المصدر هو المُحَصّل للمعرفة، أم عملية التحصيل، أم المُحَصّل منه؟

والحاصل: أن العلوم تكتسب بواسطة العلوم البدھيّة، وحدوث البدھيّات بتصوّر موضوعاتها ومحمولاتها، وكانت التصورات بإعانة الحواس على جزئياتها، فظهر أن السبب الأول لحدوث المعرف في العقل هو هذه الحواس. فالحاصل لدينا: نفس خالية من المعارف، وأدوات ناقلة للمعارف، فتتم عملية النقل بين وسطين، هما العالم الداخلي (النفس المدركة)؛ والعالم الخارجي؛ وهو كل ما خرج عن محل الإدراك (القلب)، فلا يكون الاتصال بالعالم الخارجي إلا بالحواس، التي تنقل ما يصبح بدھيًّا إذا تكرر؛ لأن صورته وماهيتها لم تتغير؛ فيجزم الذهن بشباهه أو نفيه، ويصنع هذا الجزم القانون (قانون العقل)، وبيني لنا تراكم القوانين البدھيّات والمسلمات؛ وهي العلم الضروري الذي نكتسب منه العلوم النظرية الكسبيّة الحاصلة لاحقاً.

ولا بد أن يصدر عن المصدر شيء نحو مُتلقٍ، فإذا قلنا مصدر العلم؛ فسيصدر عنه (علوم)، نحو مُتلقٍ له القابلية على استقباله؛ وهو محل العلم (المتعلم)، وحال تمكنه منه يكون (عالماً به)، فهنا الحواس ناقلة بإجماع العقلاء؛ فلا تكون مصدراً للمعارف لأنها خالية أصالة منها. فالمصدر هو العالم الخارجي؛ وهو المنبه والمؤثر والباعث للصور والأصوات والمؤثرات التي

تلتقاها وتستقبلها الحواس ثم تصل بها إلى مركز الإدراك. ويدخل المثال مادة أولية إلى القلب " محل الإدراك" ، وهو كمصنع به نشاطات إدراكية عدّة، تتضاعد وتتفاوت من فرد إلى آخر، فكلّ عقل يخرج من تلك المعرفة الأولية معارف عدّة حسب قدراته مؤهّلاته. فيكون المصدر الأصلي (العالم الخارجي)، والمصدر التابع هو (الذاكرة أو الذاكرة)، فيستحضر العقل ما تراكم في الذاكرة من معارف ومعلومات؛ وبيني عليها لينشاً معلومات و المعارف أخرى، بعدها تخزن هذه المعرفات لتكون (مادة أولية) لمعرف وعلوم أخرى بعدها. ومن معاني العقل أنه قرة التمييز، وأنه المعلومات المخزنة؛ لذا نجد الغزال يقول: "العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه" فهذا على اعتباره مرادفاً للقلب؛ وإنّ ما في القلب من علوم يسمى عقلاً، حيث قال في معاني العقل الأربع: "قد يطلق ويراد ما بمحل الإدراك أي المدرك (العلوم)".

فالحواس نواقل للمعارف كما بين الرazi وغيره، ولا بد للمستقبل من ناقل ومصدر، ولا بد أن يكون الناقل بين أمرين؛ من وإلى، فإذا كان المتّقى هو القلب (محل العلم) أو العقل، و(الناقل) إلى محل العلم هو الحواس؛ فالجانب الآخر الذي تتصل به الحواس لزاماً هو (المصدر) المُتلقى عنه عبرها. ومصدر المعرفة هو الحاوي لحقيقة الأشياء أو ماهيتها أو مثاليها؛ أي هو الأشياء عينها؛ أي مصدر المعرفة هو (الموضوع المدرك)؛ فعندها نفس مدركة، وعملية إدراكية، وموضوع مدرك. النفس المدركة هي " محل العلم" القلب، والعلمية الإدراكية هي "العقل" ، والإدراك حصول العلم، والموضوع المدرك هو العالم الخارجي؛ أو ما في الذاكرة والذاكرة مما نقل عن

العالم الخارجيّ أصلًاً، وتطور ونشأت عنه معارف وصور قد لا يكون لها وجود بالعالم الخارجيّ. وإذا رجعنا إلى كتب التفسير والأصول والفقه واللغة نجد أنّ التعامل مع مصطلح "مصدر" بالدّلالة نفسها التي يبيّناها؛ حتى عند علماء الكلام حال تصنيفهم للعقل آنه من مصادر المعرفة وإيرادهم مصطلح "المعرفة العقلية" على أنه مصدر، يريدون مصدرًا تابعًا؛ أي التراكم المعرفي بالحافظة.

## ٢- تصنیف المصادر:

المعرفة في النظام المعرفي القرآني لها مصدراً متكاملاً هما: الوحي (الآيات المتلوّة، وسنة الأنبياء، والرؤيا، والإلهام، والحدس)، والكون (الآيات المخلوقة، الآفاق، الأنفس، أخبار التاريخ والحاضر). وطرائق اكتساب المعرفة من كليهما هي العقل والإحساس، والعقل (قُوَّة إدراكية)، يتوصّل بها إلى المعرفة والعلم من الوحي والكون. ويمثّل الوحي دائرة المعارف الإسلامية، أمّا الكون فإنه يمثّل المعجم والمخبر الذي يحتوي على مفردات هذه الدائرة، وقد أمر الله بالقراءة، وجعل التكليف مناطاً بوجود العقل وبلوغه مرحلة التمييز وتعقل الخطاب. ولم يعيّن المقرؤء ليشمل كل ما يقدر عليه الإنسان؛ مع التزام المنهج الرباني في توجيه ما يقرؤه، فكان له الكتاب المسطور (الوحي)، والكتاب المنظور (الكون). قال تعالى:

﴿سَرِّيْهُمْ ءَيَّتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحُقُّ﴾ [فصلت: ٥٢]. فالرؤية هنا رؤية قلبية؛ أي عملية إدراكية، والآيات لُغَة هي العلامات الدالّة الواضحة؛ أي هي حقيقة الأشياء، والأشياء هنا هي "الآفاق

والأنفس"، فعلامات الآفاق والأنفس آياتها وحقائقها؛ وهي المعلومات المأخوذة منها، و"التبين" هو حصول العلم بالنفس؛ بوصول العلم إلى محمله القلب، ويبلغ العلم هنا درجة اليقين "الحق"؛ وهو أعلى من الحقيقة؛ لكونه دوماً الخير والصلاح والصدق.

فمصدر الحق أو مصدر بيته هو آيات الآفاق والأنفس؛ أي العلم النابع من الكون، فالكون مصدر للمعرفة والعلم الذي يجاجج الله تعالى به عباده. وتَّصل الحواس بجهة واحدة؛ وهي الكون، وتنقل ما تلقاه إلى العقل ليتبين ويستوعب فيميز الحق من الباطل، و"الآيات" هنا هي العلامات الأوضح في الدلالة؛ فهي المعلوم الخالي من اللبس والإشكال.

فالوحى خطاب إلهي لقوانين العقل وبدهياته المفطورة عليها، ولا تصادمه علومه النظرية. فإن عجز عن فهم حجية الوحى، أحيل إلى مرحلة ما قبل البدھيّ وهي الإحساس. ويمثل الكونُ والوحى مصدريْن أصليان للمعرفة، ثم يليهما مصادر تابعة هي ناتجة عنهما، مثل (الترانيم المعرفيّة)؛ إما الداخلي بالذاكرة، أو الخارجي (العلوم المدونة والأخبار المتداولة). فيكون الأول بالذكر، والثاني بالتلقين إما بالقراءة أو السمع، وأصلهما المصدر الأصلي.

ويمكن دمج المصادر التابعة ضمن عالم الأنفس، غير أن الفصل يكون أجود في بيان الوسائل والطرائق والمصادر؛ إذ إنّ الأمر بالنظر إلى الأنفس هو من جهة دلالتها المعرفية والعلمية بكونها مصدراً؛ أي موضوعاً للدراسة والتأمل. وفي المصادر التابعة حصيلة معرفية متراكمة من المصادر الأصلية،

لكن لا وجود لها بالمصدرين الأساسيين بصورتها بالمصدر التابع، فمن الأمور الناتجة في الذهن ما لا وجود له بالأنفس ولا بالأفاق، كما لا وجود لها بالوحي، وهنا الأنفس بمفهوم الجسم والروح. فالعقل والنفس مشتركان في الدلالة على شيء واحد هو اللطيفة المدركة بالإنسان، فيرجع بذلك المصدر العقلي إلى مصدر الأنفس؛ أي الكون. فقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَحَدُرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]؛ فالله هو العالم، والمعلوم هو ما في الأنفس من اعتقادات وإرادات؛ أي من إدراكات، فكانت النفس هي الموضوع الذي أخذ منه العلم؛ أي هي مصدر العلم الذي يعلمه الله تعالى، ويحاكم به الناس، وهذا في الآية تحذير بأنّ الله يعلم كما نعلم نحن ما بأنفسنا. وقوله: ﴿سَرِّيهِمْ إِبَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ قد يكون ما يحصل من علوم داخل النفس، وهي القوانين العقلية والمبادئ الأولى الفطرية، وهي بذلك حجة على الاستدلال؛ آية بيّنة، مبيّنة له أنّ ما جاء من عند الله حقّ، فيكون ذلك حجة عليه، وقد يكون الجهل عذرًا؛ فكان العلم لكي لا يكون للناس حجة على الله، فالمصدر المعرفي الذي سيرى فيه الإنسان آيات الله هو المعارف الكامنة فيه.

**ثانياً: الكون (المخلوقات) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم**

يمثل الكون الموضوع الأكثر ذكرًا في القرآن، بالإرشاد إليه لتلقي المعرفة، وإعمال العمليات الإدراكية فيه؛ ليستقي منه ما يهتمي به لصالح المعاش وخير المعاد.

## ١ - مفهوم الكون مصدرًا للمعرفة:

الكون المشهود يجمع بين قسمين، اصطلاح سماهما القرآن الكريم بالآفاق والأنفس؛ إذ ما العالم المشاهد الواقع تحت الإحساس، وتصل إليه الحواس، قال تعالى: ﴿سَرِّيْهُمْ ءَابَتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْحُقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فالكون عالم الشهادة أي هو كل أمر نستطيع أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسية، أو هو الوجود المادي الواقع تحت الإدراك الحسي للإنسان، ومن خصائصه أنه معقول الذات وقابل للوجود الإنساني إذا توفرت أسباب الشهود، وكذلك الأمور التي لا نصل إليها بالحس من عالم الجن والشياطين والجنة والنار والملائكة هي كذلك أمور محسوسة، لكن لا قدرة للحواس على الوصول إليها الآن، لوجود المانع وال الحاجز. لكننا نصل إليها في الآخرة، بل حتى في الدنيا فقد رأى الأنبياء الملائكة مثلاً، والاصطلاح القرآني البديل لصطلاح عالم المعقولات والمحسوسات هو "الغيب والشهادة"، فما غاب عن الحواس في العالم الخارجي هو غيبي، وما وصلت إليه هو مشهود، وهذا هو الكون بشقيه الآفاق والأنفس.

والعلاقة بين المجالين بارزة من حيث كثرة جمعهما في القرآن الكريم كما في ﴿مَا أَنْشَدَهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَخَذِّلَ الْمُظْلَمِينَ عَضْدًا﴾ [الكهف: ٥١]، ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْمُتَّمَّنُ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَابَتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]، والأمثلة كثيرة، فمجال الإدراك؛ أي المصدر الذي تستقى منه الآيات، والعلامات والمعارف والمعلومات، هو الكون

بصورة الأفافية والنفسية. والعلم في أحد الأقوال في اشتقاقه أنه من العلامة؛ وهي أحد معاني آية، التي يبيّنها الله تعالى لعباده كي يعقلوا ويتفكّروا ليؤمنوا بأنّه الله لا إله إلا هو. وقد وردت الآية في القرآن على معنيين لا ثالث لها، الآيات المتلوّة وهي كلام الله وقرآنه ﴿مَا نَسْخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا تَأْتِ بِحَتِيرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والآيات المخلوقة؛ وهي الكون بما فيه، وهي الأكثر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِنَا آيَةً﴾ [البقرة: ١١٨]. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْرَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [٦٥] [النحل: ٦٥]. فالامر الذي يتعقل ويتفكر ويسمع ويذكر ويؤمن به هو الآيات؛ التي كان تفصيلها سابق للسياق؛ وكلّها من الكون بقسميه الأفافي والنفسي.

ولما كانت السنن الإلهية هي فعل الله تعالى في الكون والإنسان والحياة، فإنّ القرآن تناولها بفاضة، وتحدّث عن الحياة والموت وحكمه الله في ذلك، وتحدّث عن ستّته في خلق الإنسان ومعاشه، وغير ذلك كثير من مظاهر سنن الله في الكون والإنسان والحياة. قال تعالى: ﴿سَأُوْرِكُمْ بِإِيمَنِي فَلَا سَتَعْجِلُونِ﴾ [٣٧] [الأنبياء: ٣٧]؛ هي الآيات المعجزة التي تطالعنا في صفحة الكون والحياة، والله وعد بأنه سيبين لنا آيات وهي مستقبلية بالنسبة إلى كلّ من لم يرها بعد، وهي على نوعين: أسرار الأفق، وأسرار الإنسان روحًا وجسداً، فالحقّ المبين بالآيات الأفافية والنفسية هو صدق القرآن وما حوى.

وعملية التفكير حرّكية حيث تقتضي التنقل بين المصدر والقوة المدركة؛ لاستنباط العلم، وذلك شرط قيام العمran والتمكين في الأرض، فأسماؤها تدلّ على أصناف أربعة في النظام المعرفي في القرآن، وهي: الظواهر الإنسانية

النفسية والاجتماعية، والظواهر الكونية الآفاقية، والأقوام والأمم، والبهائم والمحشرات والنبات.

## ٢- الآفاق:

الآفاق آحاده أفق، وهو الناحية من نواحي الأرض، وكذلك آفاق السماء نواحيفها وأطرافها. وفي تفسيرها قولان: الأول: أنّ المراد الآيات الفلكيّة والكونيّة، وآيات الليل والنهار، وآيات الأضواء والإظلال والظلمات، وعالم العناصر الأربع، والمواليد الثلاثة، وقد أكثر الله منها في القرآن، والله يطلعهم على تلك العجائب زماناً بعد زمان. والقول الثاني: إنّها الفتوحات. وفي فتح القدير: قال ابن زيد **﴿في الآفاق﴾** [فصلت: ٥٣] آيات السماء.. وقال قتادة والضحاك: "وَقَاعُ اللَّهِ فِي الْأَمْمِ.." وقال عطاء: **﴿فِي الآفاق﴾** يعني أقطار السموات والأرض، من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار وغير ذلك. وقال ابن عباس: **﴿فِي الآفاق﴾** منازل الأمم الخالية، وقال قتادة: وَقَاعُ اللَّهِ فِي الْأَمْمِ الخالية.

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان هي طريقة عقلية صحيحة وشرعية دلّ القرآن عليها، وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً من نطفة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول؛ بل يعلمه الناس، سواء أخبر به أم لم يخبر، والآيات نوعان في دلالة الأنفس ودلالة الآفاق.

فالآيات علامات يحصل منها بيان في القلب؛ أي هي حقائق الأشياء، وحصول البيان في النفس المدركة (العقل)؛ هو حصول للعلم، فالآية دليل على مدلول هو الكون، والمدلول هو مصدر الدليل، فهو مصدر حصول البيان في العقل؛ أي حصول العلم، فالمتأمل في آيات الآفاق في القرآن؛ يرى فيها الختم ببيان الحكمة من الخلق، والتنبيه لتلك المخلوقات، وتارة أخرى لا تذكر الحكمة من ذلك، وذاك لأمور منها: التشویق لتابعة القراءة، ومنها قياس الحكم على غيره، ومنها إثارة الذهن لاكتشاف الحكمة والربط بين الأحداث ومسبياتها، ومنها للابتلاء والاختبار في قوّة التمييز واليقين والإيمان، فمن ينibe يكون أكثر إبصاراً للعلل والحكم. قال تعالى: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾ [الرعد: ٢]، وفيه قوله: الأول: أَنَّه تَعَالَى بَيْنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى إِلَهِيَّتِهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.. والثاني: أَنَّ الدَّلَائِلَ الدَّالَّةَ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ قَسْمَانِ: أحدهما: الموجودات الباقية الدائمة كالأفلاك والشمس والقمر والكواكب.. والثاني: الموجودات الحادثة الصغيرة، وهي الموت بعد الحياة، والفقر بعد الغنى، والهرم بعد الصحة، وكون الأحمق في أهنا العيش؛ والعاقل الذكي في أشد الأحوال.. فيُفَصِّلُ الآيات إشارة إلى أَنَّه يحدث بعضها عقيب بعض على سبيل التمييز والتفضيل. ثم قال بعدها في ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

والكون مصدر لعلاقتنا بربوبية الله، والوحى مصدر علاقتنا بألوهيته؛ أي أَنَّا نستدَلُ بالكون على وجود الخالق القادر ربّ، ونستدَلُ بالوحى على كيفية وصحة عبادتنا له، فالكون مصدر علم لتوحيد أفعال ربّ، والوحى مصدر علم لتوحيد أفعالنا نحو الإله. وإن العلم الحاصل من ميدان الآفاق،

هو معلومات ومعارف متناقلة؛ عبر الألسن أو الكتب أو الصور اصطلاح عليها بالأخبار، ولا تدرك إلا بالسمع والبصر. فاتصال الإنسان بالأفاق لا يكون إلا بالحواس، وهي الناقلة لما في العالم الخارجي إلى العقل؛ العالم الداخلي لكل فرد، وما تنقله الحواس أمران: إحساس وإنذار. فالإحساس هو المعلومات التي يباشرها كل فرد بنفسه نحو الأشياء؛ لإدراك ماهيتها أو حقائقها أو صورها، بعدها تخزن هذه داخل الذاكرة؛ بعد أن تشکل في الذهن بعض القوانين والمبادئ والبدويات الضرورية وال المسلمات.

فالنتيجة أن الطرق طريقيان لا ثالثاً، والمصادر مصدر واحد من عالم الشهادة أصليّ، ومصدر تابع، وهو نوعان: داخليّ (عقل كل فرد)، وخارجيّ (عقول كل الأفراد)، والنوعان تراكم معرفي عن المصدر الأصلي (الكون).

### ٣- الأنفس:

جاء ذكرها بعد الحديث عن الأفاق، وهي جزء من الكون بكوتها مصدرًا للمعرفة، فعالم الأنفس يمثل الشق الآخر من عالم الشهادة؛ بوصفه يتناول الإنسان روحًا وجسداً، بل لا تطلق النفس لغة إلا إذا خالطت الروح الجسد، وإن انفصلت سميت روحًا. وجعلت النفس هنا مصدرًا للعلم، قال تعالى: ﴿فَتَأْنِي هُم﴾؛ أي إن آياته وأدلة على صدق القرآن، وأنه مصدر هداية؛ ستكون موجودة في الأنفس، والنفس هي نفسها دليل ومصدر هداية، قال عنها: "حتى يتبيّن لهم"؛ فالبيان سيحصل في الأنفس، فيحمله الله أعلم - أن يكون حصول البيان في النفوس - أي حصول العلم - هو نفسه من آيات الله تعالى في الأنفس، بل هو أعظم؛ لوجهيـن: الأول أنّ وقوع

العلم في النفس آية وحججة على من علم، فوَعْدَ الله بالبيان أجل؛ بحصول "ملكة العلم" داخل النفس، والثاني أَنَّ في قوله تعالى "في الآفاق" أي ما تحوي؛ وما تحويه آثار البشر وعمرانهم وهم بذواتهم، فتصبح الأنفس (البشر) من الآفاق كائنات حيَّة نامية؛ وأفعلاً مبدعة للخير ومبتدعة للشُر، وقد وردت النفس في القرآن، ونسب لها كل أفعال الإنسان وطبعاته وأحواله وإدراكاته، غير أَنَّ بحثنا ليس في النفس وما فيها؛ إنما في كونها مصدراً للعلم، لذا سنتصر على إيراد الآيات التي أحيل العقل فيه للتأمل في النفس تصرِيحاً، وإن كان كل ذكر للنفس فإنما تذكر وتنبيه لما فيها من آيات وقدرات، من ذلك ﴿بِكُلِّ الْإِنْسَنِ عَلَىٰ تَقْبِيهِ، بَصِيرَةٌ﴾ [القيمة: ١٤]. وقال: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْفَنْجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الروم: ٨]؛ التفكير لم يرد إلا في الكون وأياته؛ من سموات وأراضين وما فيهما، فكان أحد مصادر التفكير التي يجول فيها الإدراك (الأنفس)، والآخر (الآفاق). فأحيل الفكر في القرآن كله إلى المخلوقات من آفاق وأنفس، وأحياناً الوحي. ولم يحل إلى غير هذا قط، فكان لزاماً أَنَّها مصادر الفكر؛ أي هي التي يتفكَّر فيها ويفرق مسائلها ليعقلها.

كما نبه إلى النظر إلى خلق الإنسان، وأطوار تطوره، والنعم المنوحة له، وقواه التي استطاع بها السير والإعمار في الأرض، وذكر أحواله وسلوكياته؛ من إيمان وكفر وجحود وإقرار وجدال، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَدْكُرُ أَلْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئاً﴾ [مريم: ٦٧]. وقال: ﴿أَوَلَنْ يَرَ أَلْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَاصِيمٌ مُّتَيِّنٌ﴾ [يس: ٧٧].

وورد لفظ الأنفس وحده مائتين وخمس وتسعين مرة بصيغه من غير الموضع التي يتكلم فيها عن خلق الإنسان وصفاتهم وعددها ثلاثة وثمانين مرة، وكذلك ما قص الله تعالى عن أحوال الأمم، وإنزال البركات والعقوبات عليهم، فتاریخ الإنسان هو أفعاله وأفكاره؛ وما قدم من حضارة وعمران وعلوم. فهنا تكون أحوال الأنفس وأفعالها وعلومها مصدرًا للمعرفة خاصًّا لعملية الإدراك. ومن تبعنا للمصادر حصل أنَّ المصدر يفارق الميدان، فالمصدر هو ما يستقى منه العلم، أمَّا الميدان فهو مجال العلم؛ أي مجال الحواس والعقل الذي يمكنها العمل فيه. وأكثر توضيحاً، المصدر مصدران: خالق وملحوظ، والميدان ميدانان: ميدان الشهادة، وميدان الغيب، والميدان هنا هو (المجال) القابل للإدراك. فالمخلوق مصدر من نوعين آفاق وأنفس، والأنفس علوم وأفعال. ويشمل المخلوق ميدان الشهادة والغيب، فما تصل إليه الحواس هو ميدان الشهادة، وهو الموجود في العالم الخارجي المحسوس، وما غاب عن الحواس هو ميدان الغيب؛ فلا تصل إليه الحواس ولكنَّه محسوس، وما لا تصل الحواس إلى (أصله)؛ لا يمكن للعقل إدراكه لأنَّها منفذه الوحيدة للعلم والقياس والتعميم. وتصنيف المصادر هو تصنيف للعلوم، لأنَّ العلوم تستقى من مصادرها، ولها اعتبارات في تقسيمهما، وأحد هذه الاعتبارات مصادرها أو طرائقها أو سائلها. وأكثر التصانيف اشتهراراً واعترافاً من العلماء؛ هو تصنيفها إلى علوم عقلية وعلوم نقلية: فالعلوم العقلية: ما تقتضي بها غريزة العقل، ولا توجد بتقليد أو سماع. والعلوم النقلية أو الدينية أو الشرعية أو الوحيَّة أو السمعيَّة، وهي مأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء، بتعلم الكتاب وفهم معانيها

بعد السماع. فيقينها بثبات اليقين في صدق نسبتها إلى الأصل؛ وهو الله تعالى، ثم تصبح مصدراً للمعرفة؛ أي أصلاً وعياراً لعلم، وهو المستفاد منها، فالتقليد في نقلها؛ أمّا فهمها فهو يقسمها إلى عقلية وضرورية ومكتسبة.

فرجع كل ذلك إلى أنّ مصدر العلم هو الكون المخلوق، و مجاله وهو عالم الشهادة. فالعقل في أحد معانيه العلم بالأمور الدنيوية والأخروية، والحقائق العقلية، وهذه الأمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأنّ الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، هذا حكم منه على كل شخص؛ ومعلوم أنه لم يدرك بواسطة الحس إلا بعض الأشخاص، فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه بالحس، وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر.

وبعد، فإنّ النفس تنفعل وتتفاعل، وتعتمد النفس في هذه الحالة وفي جميع صورها على وظائف الجسم الحيّ ومن هذه الوظائف؟؛ وظائف الحواس، فتدرك الحواس بالاتجاه إلى الواقع المباشرة، ولكن لا مندوحة عن الدليل وإقامة البرهان.

**ثالثاً: الله تعالى (الخالق) مصدراً للمعرفة في القرآن الكريم**  
الكون أهم المصادر التي يأخذ الإنسان المعرفة منها؛ فيستدلّ منه وبه على خالقه؛ كي يُقرّ بربوبية خالق الكون، فيكون ذلك إلزاماً باللوهبيّة سبحانه. فإن كان الكون مصدر الإقرار بالربوبية، فما مصدر الإلزام

بـالـأـلـوـهـيـةـ؟ أـيـ إـذـاـ آـمـنـ النـاسـ بـأـنـ هـذـاـ الكـوـنـ خـالـقـ؟ مـنـ تـفـكـرـهـمـ فـيـ الـكـوـنـ  
ذـاتـهـ، فـأـتـىـ لـهـ مـعـرـفـةـ مـاـ يـرـيدـهـ وـيـرـضـاهـ اللـهـ مـنـهـمـ؟ وـمـعـرـفـةـ مـاـ لـاـ يـرـضـاهـ؟ وـمـاـ  
هـوـ مـصـدـرـ الإـلـزـامـ بـالـأـلـوـهـيـةـ؟ أـيـ إـذـاـ أـقـرـ النـاسـ بـأـنـ اللـهـ هـوـ الـخـالـقـ الرـازـقـ  
الـقـادـرـ السـيـدـ الـمـلـكـ الرـبـ هـذـاـ الكـوـنـ مـنـ تـفـكـرـهـمـ فـيـ الـكـوـنـ ذـاتـهـ، فـكـيـفـ  
يـعـلـمـونـ طـرـيقـةـ عـبـادـةـ اللـهـ؟ وـكـيـفـ يـدـرـكـونـ مـاـ يـرـضـيـ رـبـهـمـ وـخـالـقـهـمـ عـلـيـهـمـ؟  
وـمـاـ يـحـلـ غـضـبـهـ وـعـقـابـهـ عـلـيـهـمـ؛ وـلـاـ يـرـضـاهـ مـنـهـمـ؟

لـاـ بـدـ مـنـ مـصـدـرـ آخرـ يـكـوـنـ مـنـ تـوـجـهـ لـهـ الـعـبـادـةـ وـالـتـوـحـيدـ؛ وـهـوـ اللـهـ  
تعـالـىـ، وـيـلـغـ اللـهـ هـذـاـ الـعـلـمـ بـكـلـامـهـ؛ وـهـوـ الـوـحـيـ عـبـرـ مـلـائـكـتـهـ وـرـسـلـهـ  
وـأـنـبـاءـهـ، فـلـاـ تـصـلـ الـعـقـولـ إـلـىـ عـالـمـ الـغـيـبـ، وـعـلـىـ رـأـسـهـ ذـاتـ اللـهـ تعـالـىـ بـأـسـمـائـهـ  
وـصـفـاتـهـ وـأـفـعـالـهـ، فـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ وـاسـطـةـ إـلـىـ مـصـدـرـ الـعـلـمـ (الـلـهـ تعـالـىـ)؛ وـهـيـ  
الـرـسـلـ مـنـ أـنـبـاءـ وـمـلـائـكـةـ؛ لـنـقـلـ مـاـ هـوـ غـائـبـ عـنـ الـخـواـسـ إـلـىـ مـجـالـ الشـهـادـةـ،  
كـيـمـاـ تـصـلـ إـلـيـهـ فـيـدـرـكـهـ الـعـقـلـ بـعـدـ ذـاكـ وـيـتـدـبـرـهـ. فـإـنـ النـظـرـ فـيـ آـيـاتـ اللـهـ؛  
وـالـاسـتـدـلـالـ بـهـاـ عـلـىـ وـجـودـ سـبـحـانـهـ، هـوـ الذـيـ جـاءـ بـهـ الـقـرـآنـ وـبـيـتـهـ الرـسـلـ،  
فـيـسـتـدـلـ اللـهـ فـيـ كـتـابـهـ كـثـيرـاـ بـخـلـقـهـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ، وـبـمـاـ يـحـدـثـهـ فـيـ الـعـالـمـ مـنـ  
الـسـحـابـ وـالـمـطـرـ، وـالـنـبـاتـ وـالـحـيـوانـ، وـحـرـكـةـ الـكـواـكـبـ، وـاـخـتـلـافـ الـلـيلـ  
وـالـنـهـارـ؛ باـعـتـيـارـهـاـ آـيـةـ عـلـيـهـ، وـكـلـ شـيـءـ لـهـ فـيـهـ آـيـةـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ الـوـاحـدـ.. وـأـبـرـزـ  
دـلـلـ عـلـىـ كـوـنـ الـمـخـلـوقـاتـ آـيـةـ دـالـلـةـ عـلـيـهـ هـوـ اـفـقـارـهـ إـلـيـهـ.

## ١ - كـيـفـ نـفـهـمـ أـنـ الـخـالـقـ مـصـدـرـ الـعـرـفـةـ:

وـالـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـةـ الـخـاصـلـةـ مـنـ الـمـخـلـوقـاتـ قـابـلـةـ لـلـإـدـرـاكـ مـنـ كـلـ  
الـعـقـولـ، مـعـ تـفـاوـتـ درـجـاتـ الإـدـرـاكـ فـيـ مـاـ حـوـلـ الـإـنـسـانـ، "وـالـتـيـ يـظـهـرـ فـيـهاـ

افعال الإنسان بما حوله في عالم الشهادة، وما لهذا العالم من تأثير في تشكيل المعرفة لدى الإنسان، والإنسان في هذين النوعين من المعرفة -الحسية والعقلية- يتعامل مع الكون؛ مما هو داخل مجال حواسه وعقله، وكله ثقة بهذين الطريقين، بما رزقه الله تعالى من ضمان بأن جعلهما طريقين للمعرفة، وميّزه بالفكرة حصيلة للفعل الإيجابي للحواس والعقل؛ في تعامله مع المحسوسات والمعقولات، وربما هيأ له ميادين لهذا الفكر، ومن ثم فإن المعرفة لا تنحصر في معرفة عالم الشهادة؛ بما أوتي الإنسان فيها من طرائق المعرفة من حسّ وعقل، وإنما تنتد هذه المعرفة لتضم إلى عالم الغيب؛ والذي يطلبه العقل الإنساني ويسلّم بوجوده، ولكنّ هذا العقل بما أوتي من فعالية من خلال طبيعته وتكوينه، ولا يستطيع من خلال تعامله في عالم الشهادة أن يقدم شيئاً تفصيلاً للمعرفة في عالم الغيب".

ولا بد للطريق إلى الغيب من مبدأً ومتنه، ولا بد أن يكون مبدأً غيبياً، ولا بد أن يكون متنه مشهوداً ليتم التواصل معه، فكان المبدأ ربانياً، وهو كلام الله تعالى -صفته الذاتية الشبوتية- يصل إلى المرسل إليه؛ عبر الملائكة (عالم الغيب)، وتأخذ الأنبياء عن الملائكة؛ بعد أن يصطفها الله من بين البشر؛ بخاصية الاتصال بعالم الغيب (النبوة)، وترتقي حواس وعقول الأنبياء لذلك؛ وهم من (عالم الشهادة)، ثم ينقل الأنبياء تلك العلوم (الغيبية)، إلى عقول الناس عبر (السماع)؛ أي الحواس وهذا من (الشهادة). وكون الطريق هذا ثابتاً أصلاً يحتاج إلى أدلة؛ وكون (الرسول) متصلًاً بعالم الغيب يحتاج إلى أدلة؛ وكون (علم الرسول) (علمًا غيبياً) متصلًاً بعالم الغيب

يحتاج إلى أدلة، والعصمة من الخطأ؛ أي (اليقين) في هذا المصدر يحتاج إلى أدلة؛ والأخذ من المصدر الثاني بعد الكون (المخلوق)، واستقاء العلم منه لا يكون إلا عبر كلام الله تعالى الذي يبيّن ويهدي ويمنح العلم اللازم لعباده، كي يتحققوا الغاية من خلق (الكون).

والوحى قسمان: عام؛ وهو الكلام العام فيشمل الأنواع الثلاثة، وخاص وهو الإلقاء في الروع. فالعام "يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وذلك أضرب"، والخاص أحد أضرب العام: إلقاء في الروع، قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِيْ حَجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِيْهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكْيَمٌ﴾ [الشورى: ٥١]؛ ويكون على أحد هذه الأوجه: إما أن يكلمه الله وحياً بأن يلقى الوحي في قلبه من غير إرسال ملك ولا مخاطبته منه. أو أن يكلمه لكن ﴿مِنْ وَرَائِيْ حَجَابٍ﴾ أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، كجبريل أو غيره من الملائكة ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِيْهِ﴾ أي بإذن ربها لا بمجرد هواء." بعد الآية قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْجَنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وهو هذا القرآن.

## ٢- مفهوم الوحي:

### أ- المعنى اللغوي للوحي:

الوحي يدلّ على معانٍ منها: الإشارة والإيماء والكتابة والسرعة والصوت، والإلقاء في الروع إهاماً؛ وبراعة وبشدة، ليقى أثره في النفس. وأصله: إعلام في خفاء، وله صور عدّة، وتنتمي كلّها في خفاء، فهو الإشارة السريعة. ولتضمنه السرعة قيل أمرٌ وحيٌ للكلام على سبيل الرمز.

## بـ- المعنى الاصطلاحي للوحي:

الوحي في الاصطلاح معناه أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهدایة والعلم، بطريقة خفیة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواع شتى، فمنه: ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [١٦٤] النساء: ١٦٤، ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجهه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً، ولا يجد فيه شكًا، ومنه ما يكون مناماً صادقاً كفلق الصبح في تبلّجه وسطوعه، ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، ووحي القرآن كلّه من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي.

## تـ- المعنى الشرعي (القرآن):

جاء لفظ الوحي وما تصرف منه في القرآن في ثانية وسبعين موضعًا. ونجد بالاستقراء استعمال لفظ الوحي دلالة على الإعلام الخفي السريع. والوحي كاسم معناه الكتاب، ومصدره "وحي"، و فعل "أوحى" مصدر إيحاء، غير أنّ للوحي وجوهًا دلالية؛ يتطلّبها السياق في القرآن على نحو مخصوص. فالنبيّة المأخذوذة من النبأ، بمعنى الخبر، وهو وصول خبر الله تعالى بطريق الوحي؛ إلى من اختاره من عباده لتلقى ذلك. وللنبيّ سبعة أوّلجه، وهي: الإرسال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحَ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [النساء: ١٦٣]، والإشارة: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ أَنْ سَيِّمُوا بُكْرَةً وَأَوْشِيَّاً ﴾ [١١] مريم: ١١، والإلهام: ﴿وَأَوْحَيَ رَبُّكَ إِلَى الْقَلْبِ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا أُمَّ مُوسَى﴾ [القصص: ٧]، والأمر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَجْبَارَهَا ﴾ [٤] يأن

رَبِّكَ أَتَوْنَ لَهَا ﴿٥﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]. والكلام المباشر ﴿فَأَتَوْجَعَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْجَعَ﴾ [النجم: ١٠]. والإعلام: بالإلقاء في الروع؛ وهو خاص بالأنساب ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]. والوسوسة: ﴿يُوْحِي بِعَصْبُهُمْ إِلَى بَعْضِ رُحْبَرَ الْقَوْلِ غَرْوَرًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. فمن معاني الوحي العامة أنه الإعلام الخفي السريع؛ الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفي عن غيره، ومنه الإلهام الغريزي كالوحي إلى النحل، وإلهام الخواطر بما يلقى الله في روع الإنسان السليم الفطرة؛ كالوحي إلى أم موسى، ومنه وحي الناس لبعضهم البعض، ووحي الشياطين ويسمى بالوسوسة. والرؤيا والحدس والإلهام والتحديث والفراسة كلها صور للوحي، تتفاوت حسب وقوعها، غير أن النبوة خاصة بالوحي الخاص بأضربه الثلاثة. وقد وردت كلمة "الوحي" في ستة مواضع، كلها في العهد المكي، وهذا يبيّن أثر هذه القضية، واعتبارها أساس ما يدور عليه العهد المكي، من صراع في قضايا يتميّز بها هذا الدين الجديد..

### ٣- ضرورة الوحي:

إذا قلنا بضرورة الوحي، فيعني ضرورة وجود صلة بين الشهادة والغيب، وضرورة معرفتنا لكلام الخالق، وذاك متمثل في النبوة والرسالة والوحي والشرع والكتب. فالوحي قضية رئيسة لتصنيف الناس إلى مسلم ومؤمن، وكافر ومشرك ومنافق. وما يتعلق بهذا التصنيف من معاملات، وتعامل بين الناس فيما بينهم وبين كل صنف وبين خالقهم. وهو قضية مهمّة لتوجيه المنهج، ومعرفة الطريق الغيبيّ.

والخلاف بين المشركين في كُلِّ العصور؛ لم يكن في مَنْ الخالق، أو عظمته وصفاته، بل في ضرورة اتخاذ وحِيٍّ مصدرًا للعلم، ومنهاجًا للحياة، بالتحاكم إِلَيْهِ في كُلِّ نواحي الحياة؛ صغيرها وكبیرها؛ أي هل هذا مصدر للحق أَمْ معه غَيْرُه، ﴿فُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَإِلَهٌ مَنْ يَدْعُوا لِخَلْقَهُ ثُمَّ يُعِيْدُهُ قُلْ اللَّهُ يَكْبِدُهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ فَإِنَّ تُوْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]؛ فحصل في جميع العصور أنَّ الإنسان اتَّخذَ مصدريْن للعلم والمعرفة؛ الأول ماديٌّ (الكون)؛ والثاني روحانيٌّ له صور عدَّة؛ من روحانِيَّات الصالحين إلى روحانِيَّة الكواكب، واتَّخذَ للروحانيِّ الغيبيًّا أشْكالًا، وهي رموز مشهودة كي يكون المصدر (محسوساً) من أصنام وأوثان وأرباب وألهة، وهذا دليل تارِيخيٌّ وفطريٌّ، بأنَّه لم يخلُ عصر لإِنسانٍ من اتخاذ آلهة بشَّتى أنواع العبودات، وهذا حاجته النفسية الفطرية، وهي غريزة فيه، يحتاج إلى إشباعها وتلبية حاجاتها، ولو في أبسط صورها بأن يعبد هواه؛ ويتَّخذه إلَهًا هو في ذاته، وهو لاءُهم من جعلوا العقول مستغنِيَّة عن علوم الوحي ﴿أَرَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَنَهُ أَفَإِنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقد كان الصراع ومحَلُّ النزاع عبر العصور في الحاجة إلى الوحي؛ بكونه مصدرًا للعلم (الهداية إلى الحق)، وكونه الوحيد الهادي إلى الحق؛ أي هو مصدر الغيب وحده، ثم انتقل الخلاف إلى إثبات عصمة النبي، وربانية القرآن؛ أي أنه وحيٌ من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام، وهذه مرحلة بعد الاعتراف بضرورة الوحي؛ بكونه مصدرًا وحيدًا للمعرفة والعلم ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْفُرْقَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَتَقْصِيرَ الْكِتَبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ ﴿٣٧﴾ [يونس: ٣٧]. فإن أقر بذلك؛ كان لا بد أن يقام دليل على انفراد الخالق بكونه مصدراً لذلك العلم وحده، والدليل مبني على دليل الافتقار له أصلاً؛ في الخلق لأدوات المعرفة وقوتها؛ وخلق مصدر المعرفة المادي (الكون)، مع يقين الإنسان أن قدراته لا تصل إلى المصدر (الخالق)؛ يلزمها بالإقرار بطريق آخر غير الحواس؛ لكنه قابل للحسّ؛ وهو الوحي، ولا يدرك الوحي إلا بالنبوة، وهي ما يمكن للحواس أن تصل إليه، فالنبوة قوّة إدراكية تمثل طوراً فوراً فوق العقل، فهي واسطة بين ما هو إلهي وما هو بشريٌّ، وهي الناقلة للكلام الإلهي والعلم الرباني من مصدره (الخالق) إلى القوّة الإدراكية البشرية (المخلوقة).

واعتماد النبوة طريراً للمصدر الرباني، هو كون الطريق الأول من الحواس لا يمكنه الوصول إلى ذلك المصدر إلا بواسطة وهي (النبوة)، وقد كان الاستدلال على صحة وicity المصدر الرباني، وجود الوحي والنبوة في القرآن دائمًا من ميدان الشهادة، ومجال الآفاق والأنفس، وبدهيّ ومسلم أن العقل لا يملك نوافل يتصل بها بعالم الغيب، ولا هو قادر في الخوض في ذلك المجال، فلزمه نوافل غير الحواس، لكن تصل إليها الحواس، وهي (الخبر، والسماع، والسمع، والنقل). "فالنبوة إحدى الضروريات التي تؤيدّها العقول، ويثبتها الواقع الاستقرائي للمجتمعات الإنسانية، وذلك من خلال إجماع البشرية على عظمة هؤلاء الأنبياء، وما تميّزت به دعوتهم من التوحيد، وتوضيح العلاقة بين الخالق والمخلوق."

من هنا فإن الغاية من الوحي والنبوة في نصوص كثيرة، إنما مفصلة أو مجملة: وهي البشارة والندارة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا وَكَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. وإخراج الناس من ظلمات الجهل والغواية والضلال إلى نور المداية ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَيَتَبَّعُ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ لِتُنْهِيَ الْأَنْسَارَ مِنَ الظُّلْمِ إِلَى النُّورِ إِلَّا دُنْدُنَ رَبِّهِمْ﴾ [ابراهيم: ١]. والفصل في الخلاف، ﴿وَمَا أَنْزَلَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْنَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]؛ وتأتي أهمية الوحي بوجه عام لبيان علاقة العباد بربهم، وكيف وينتسبونه بالعبادة والطاعة كما يريد، وكيف يتعاملون فيما بينهم ومع غيرهم.

#### ٤- طريق الوحي:

ما هو معلوم أن الوحي لا ينزل إلا علىنبي، فالنبوة هي الطريق إلى معرفة الوحي الصادر عن الله تعالى، وذلك بأن يصطفي الله من يشاء من عباده نبياً ينزل إليه وحيه ويبلغه كلامه، ليكون واسطة بينه وبين خلقه في التبليغ. وهي ربانية واختيار إلهي. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِكَايَا إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [غافر: ٧٨]، فثبتت النبوة قائم بدليل التواتر في كل العصور من لدن آدم عليه السلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَ أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَةَ عَلَى الْعَلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ وقد خص الله تعالى الأنبياء بمعجزات موجهاً لهم هم أولاً، كي يوقنوا أنهم أنبياء، وأن الوحي ينزل عليهم دون غيرهم. فإذا أيدنا ذلك جهروا بنبوتهم وبلغوا ما أمروا، وأعلنوا أن لهم اتصالاً بالوحي. فتكون المعجزات دليلاً للنبي، ثم دليلاً لغيره، بأن ما يجده في نفسه من علم إنما هو وحي ألقى إليه، قال تعالى عن قصة موسى: ﴿وَمَا تَلَكَ

يَسِينَكَ يَنْمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَائِيْ أَتَوْكَئُ عَلَيْهَا وَاهْشِ هَا عَلَى غَنَمِي وَلَيْ فِيهَا  
 مَثَارِبَ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَقْهَاهَا يَنْمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَقْهَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ حَذَّهَا  
 وَلَا تَحْفَ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأَوَّلَ ﴿٢١﴾ وَاصْبُمْ يَدَكَ إِلَى جَانِلَكَ تَخْرُجْ بِيَصَاءَ مِنْ غَيْرِ  
 سُوءَ ءَايَةَ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِتُرِيكَ مِنْ ءَاتَيْنَا الْكَبَرَ ﴿٢٣﴾ [طه: ١٧-٢٣]؛ فَالآيات  
 الْمَعْجَزَاتِ كَانَتْ مَوْجَهَةً لَهُوَ لِتُرِيكَ؛ كَيْ يَتَيقَنَ مِنْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّ الْكَلَامَ  
 الَّذِي يَسْمَعُهُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى. ثُمَّ قَالَ عَنْهُ: «وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ  
 وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ٥٣]؛ وَهَذَا حَصُولُ الْعِلْمِ الضرُورِيِّ الْيَقِينِيِّ؛  
 الَّذِي لَا يَمْكُنُ لِلْبَشَرِ الْحَصُولُ عَلَيْهِ بِقَدْرِهِمْ، مِنْ اطْلَاعِ الْغَيْبِ الْمَاضِيِّ مِنْ  
 غَيْرِ دراسة، وَلَا خَبْرٌ مَتَوَاتِرٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا شَهْوَدٌ لِذَلِكَ الْمَاضِيِّ.

وَيَمْتَازُ النَّبِيُّ مَعَ كُونِهِ بَشَرًا، أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ مَصْطَفِيٌّ مُخْتَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى  
 لِإِبْلَاغِ الْوَحْيِ، يَتَكَلَّمُ بِلِغَةِ قَوْمِهِ، وَيَبْثِتُ نِبْوَتَهُ بِمَعْجَزَاتٍ يَقِرُّونَ بِأَنَّهَا لَيْسَ  
 مِنْ فَعْلِ الْبَشَرِ، لِتَكُونَ دَلِيلًا عَلَى نِبْوَتِهِ وَعَصْمَتِهِ، فَهُنَا يَبْثِتُ لِلطَّرِيقِ (النَّبِيِّ)  
 الْمَصْدِرِيَّةِ، وَعَصْمَتِهِ (الْيَقِينِ)، وَصَلْتِهِ بِالْمَصْدِرِ (الْوَحْيِ)، وَقَدْرَاتِهِ الْإِدْرَاكِيَّةِ  
 الْخَاصَّةِ، التِّي هِيَ فَوْقَ طُورِ عُقُولِ الْبَشَرِ الْعَادِيَّةِ (الْتَّبَوَّةِ).

وَالنَّاسُ مُنْقَسِّمُونَ بَعْدَ عَرْضِ النَّبِيِّ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْوَحْيِ وَإِعْلَانِهِ بِنِبْوَتِهِ،  
 فَمِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ بِوْجُودِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَوَاتِرِهِمْ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ وَلَا يُؤْمِنْ  
 بِوْجُودِ النِّبَوَةِ، فَهُوَ بِحَاجَةٍ لِلَّدَلِيلِينَ عَلَى مَرَتَبَتِينِ: الْأَوَّلِيُّ: إِثْبَاتُ إِمْكَانِ النِّبَوَةِ،  
 وَنَزْوَلِ الْوَحْيِ، وَضَرُورَتِهِ وَأَهْمَيَّتِهِ. وَالثَّانِيَّةُ: إِثْبَاتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُبَلَّغٌ بِالْوَحْيِ مِنْ  
 مَصْدِرِهِ. وَهَذَا الْقَسْمَانِ أَصْنَافٌ؛ فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْكَافِرُ مِنْهُمْ أَهْلُ  
 الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكُ وَالْمُلْحَدُ وَالْمَنَافِقُ. وَيُرِسَلُ النَّبِيُّ بِأَيَّتِينِ؛ مَتَلَوَّهُ وَمَخْلُوقَةُ،

فال الأولى هي الوحي والكتاب والحكمة والفرقان والسلطان المبين، والثانية هي خوارق من إحياء الموتى، وشفاء من لا يبراً أصل، وعلامات كثيرة لا يقدر عليها غيرهم لإذن الله تعالى لهم وحدهم، والاصطلاح على الآيات باسم "المعجزات".

## ٥ - كيفية الوحي:

لا تعلم كيفية الوحي إلا بالنص الثابت عمن أوحى إليه، وقد ورد لفظ الوحي ثانٍ وبسبعين مرة؛ بتصاريفه في القرآن الكريم، ﴿إِنَّا سَلَّقْنَا عَيْنَكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمول: ٥]، وعبر عنه بالكتاب، والذكر، والفرقان، وأسماء الكتب، والآيات، والسور. وذكرت كيفيات الوحي في القرآن الكريم مفصّلة في آيات عدّة، وذكرت مجتمعة في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْهِ أَنْ يُكْلِمَ اللَّهَ إِلَّا وَجِئَ أَوْ مِنْ وَرَائِيْهِ حَجَابٌ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِأَذْنِنَهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١] وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحَ وَآلَ نَوْحٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فالوحي قسيم التكليم العام، وفي قوله: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّيْمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أمّا كيفيات الوحي، فهو: الكيفية الأولى: الوحي الخاصّ، وهو إعلام في خفاء بـالقاء الكلام في الروح؛ أي يقذف العلم في قلب النبي؛ فيجده عن غير جهد، ولا نشاط فكريّ، بل يكون حصولاً ضروريّاً، ويشعر بأنه طارئ بعد أن لم يكن، فيكون بيته له على أنه يتلقى من مصدر خارجيّ عن نفسه؛ وعن قدراته العقلية. والكيفية الثانية: أن يكلّم الله تعالى النبيّ من وراء حجاب مباشرة من غير وساطة، ويسمع النبيّ كلام الله تعالى من غير أن يراه، قال تعالى لموسى: ﴿لَوْلَيْ أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِينَ بِرِسَالَتِي

وَبِكَلْمَيٌ﴾ [الأعراف: ١٤٤] والكيفية الثالثة: أو يرسل رسولًا كجبريل عليه السلام، فيوحى الملك إلى الرسول من البشر بأمر الله، وهذه الصورة هي غالب ما أنزل من القرآن على النبي ﷺ ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْدَهُ يُوَحِّي ﴾ ﴿عَلَّمَهُ شَرِيدُ الْقَوْيِ﴾ [النجم: ٤، ٥].

## ٦ - مجال النبوة:

يختلف مجال النبوة عن مجال الشهادة، فالحواس تصل إلى ما هو في مجالها، ولا تصل إلى مجال الغيب، فالإيحاء غيبٍ وما يوحى به "الوحى" هو مشهود مسموع ومفروء، والوحى وسط بين مجال الغيب وما فيه؛ وبين مجال الشهادة، غير أنَّ الموحى به ليس كل ما في مجال الغيب، بل جزء منه، فهو من عالم الغيب، ومتوجَّه إلى عالم الشهادة، وغايته هداية الإنسان في الأرض ل العبودية لله تعالى، وب مجال المعرفة التي ينزل بها الوحي، إنما هو نوعها و مجالها و عالم الشهادة و عالم الغيب. فالعقيدة والعبادة ليستا من نتاج العقول البشرية، بل لا بدَّ لها من نصوص وحيٍ تبيَّن أنَّ هذا واجب وجائز وهذا ليس بجائز. وب مجال الوحي يشمل العلاقات الاجتماعية والأسرية بين الأفراد والمجتمعات، وعلاقة الراعي بالرعاية، والدول مع بعضها، والشعوب مع غيرها.

فالوحى جاء ليشمل كلَّ نواحي مجال الشهادة، فكان التكامل بين ما هو غيبيٌ وما هو مشهود. فمن الغيب مجال أذن به الله تعالى؛ فأطلع عليه ملائكته فقط، وآخر أطلع عليه ملائكته ورسله فقط، وآخر اطلع عليه الناس عبر الرسل، وب مجال هو مفاتيح الغيب اختص بها تعالى ولا يطلع عليها أحد. والوحى هو جزء من مجال الغيب في المصدر الإلهي، والكون بوصفه

مصدراً للمعرفة مجالاته مشهودة ومغيبة، و المجالات الغيب فيه نسبية وإضافية. أمّا الحالـ بكونه مصدراً للمعرفة فمن مجالاته ما هو مشهود لملائكته، ومنها ما هو مشهود لرسـله، ومنها ما يصل بالخبر للناس، والباقي إما غـب نسبي يطلع عليه من يشاء وقت ما شاء، أو غـب مطلق لا يطلع عليه أحد إلا هو. وروعـي هذا التقسيـ في الدنيا والآخرـ، فكان الأولى تقسيـ المصادر إلى مصدر مخلوق ومصدر خالق. ومن هنا ينبغي أن يعلم أنـ الوحيـ هو (موضوع مـركـ)؛ أيـ يفهم ويـدرس ويـتـبـرـ فيهـ؛ ليـستـبـطـ منهـ، وأنـ أـجلـ الأـدـلـةـ العـقـلـيـةـ وأـكـمـلـهـاـ وأـفـضـلـهـاـ مـأـخـوذـ عنـ الرـسـولـ، فـإـنـ منـ الناسـ منـ يـذـهـلـ عـنـ هـذـاـ وـيـقـدـحـ فـيـ الدـلـائـلـ العـقـلـيـةـ مـطـلـقاـ؛ لـأـنـهـ صـارـ فـيـ ذـهـنـهـ أـنـهـاـ هيـ الـكـلامـ الـمـبـدـعـ.

## ٧- خصائص الوحي المعرفية

### أ- ربانـيـةـ المـصـدرـ:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعًا مِنَ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا إِكْرَارٌ إِنَّ أَنِي أَبْيَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩]، فالعلم المـوـحـيـ بهـ مـحـفـوظـ منـ التـحـريـفـ وـالتـبـدـيلـ، مـؤـتـمـنـ الطـرـيقـ لـيـصلـ إـلـىـ النـاسـ، وـقـدـ تـكـفـلـ اللهـ تـعـالـىـ بـعـصـمـةـ رـسـلـهـ، وـالـنـصـ المـوـحـيـ مـقـدـسـ، وـهـذـاـ يـعـطـيـ التـأـكـيدـ عـلـىـ رـبـانـيـةـ المـصـدرـ، وـيـكـسـبـهـ مـرـكـزـ الثـقـةـ وـمـحـورـ الـيـقـيـنـ؛ فـيـكـونـ مـعيـارـاـ لـغـيرـهـ فـيـ الـخـطـأـ وـالـصـوـابـ، وـالـكـذـبـ وـالـصـدـقـ، وـالـحـقـ وـالـبـاطـلـ، وـلـاـ تـلـغـيـ هـذـهـ المـصـدرـيـةـ الـفـكـرـ الـبـشـرـيـ، بلـ تـكـسـبـهـ ثـقـةـ وـيـقـيـنـاـ أـكـثـرـ فـيـ وـضـعـ مـعيـارـ لـتـقـوـيمـ أـفـكـارـهـ، وـعـقـائـدـهـ وـمـاـ أـخـذـهـ عـنـ عـالـمـ الشـهـادـةـ، وـتـمـنـحـهـ دـورـ الـفـهـمـ الـمـأـخـوذـ مـنـ

المصدر الرباني وجعله قاعدة للتحاكم، لأنه يتلقي موازينه ومقرراته من هذا التصور ذاته، فهو الميزان الذي يرجع إليه بكافة ما يعني له من قيم وتصورات في مجرى حياته الواقعية.

### بـ- المجال الغيبي:

هناك جوانب لا يدركها العقل، ولا تصل إليها الحواس ويختفي بنقلها الوحي، كالذات الإلهية وأسمائها وصفاتها وأفعالها ﴿لَيَسْ كُثُرُهُمْ شَوْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والمشيئة الإلهية ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، ﴿وَعِنْهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ففي الآية إرشاد إلى توجيه الطاقة الفكرية إلى المجالات القابلة للإدراك، كي تتحقق العمارة والخلافة، والتمكين في الأرض، وتبتعد عنّا لا طاقة لها به، ولا طائل من وراء الخوض فيه، وفي هذا توفير للجهد وعدم إهدار للوقت في بحوث لا نهاية.

### تـ- الكمال والخلود:

المعرفة في الإسلام شاملة لكلّ ما اختلف فيه الذين أنزل عليهم الكتاب، فنزل الوحي بالحق الكامل ﴿ذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ تَرَكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِيقَةِ﴾ [البقرة: ١٧٦]، هداية للناس ﴿هَذَا بَصَرَتِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠]؛ ولا يكون الجواب عن هذا كاملاً إلا في الوحي ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰهِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وهداية الوحي خالدة، وشاملة لكلّ زمان ومكان؛ لأنّه من عند من يعلم ويحيط بكلّ شيء مكاناً وزماناً ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْأَطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك: ١٤] فهي شاملة لحقائق الألوهية والربوبية، والكون المخلوق،

ولحقائق الإنسان... وهي شاملة للكينونة الإنسانية بكلّ ما فيها، ولما وراء هذه الكينونة الإنسانية، وشاملة كذلك لمبدأ خلقه ومتناهه، وشاملة لتفسير الوجود والمعرفة والقيم.

### ثـ- التوازن والثبات:

العلم المتلقى من الوحي صادر عن الله تعالى في أصله، لذاك هو متزّه عن التأثير بالعوارض، فأصوله ثابتة تساير المتغيرات، وهذا الثبات يكسبه التوازن في إصدار الأحكام، والمصدرية للدين والحق، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّيَّنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا يَرَئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْهَا عَنِ الْحَقِّ أَهْوَاءُهُمْ وَلَا تَنْهَى عَنِ الْحَقِّ أَهْوَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو الْعِظَمَاتِ إِنَّ اللَّهَ مَرِجِعُكُمْ جَمِيعًا فِي يَوْمٍ كُلُّكُمْ فِيهِ تَخْلِقُونَ﴾ [المائدah: ٤٨] فهو معيار ثابت غير مضطرب ولا متغير، ولا يتقلب ولا يرجع إلى أهواء الناس؛ لأنّها لا قرار لها، وما لا مستقر له لا يقعد عليه. غير أنّ الأصول وهي العقائد ثابتة، لكن ما بعد نزول القرآن فكلّها أمّة واحدة تشملها شريعة وعقيدة واحدة؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّنِي بِهِ، نُؤْمِنُ وَأَلْدَى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا إِلَيْهِ إِنَّهُمْ وَمُؤْمِنٌ وَعِسْقٌ أَنْ أَفِيمُ الَّذِينَ وَلَا نَنْفَرُوهُ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

### جـ- العملية والإيجابية:

يزوّد الوحي الإنسان بمعرفة موضوعية ذات حقائق بالوجود وصور الخلافة فيه والسير في الأرض، وكلّ علم انتفى عنه العمل فهو مذموم في الوحي، فسوّي بين وجود وسائل المعرفة وعدمها حال لم يبادر صاحبها إلى

العمل بمقتضى العلم الحاصل معه، قال تعالى عَمَّنْ ترکوا العمل بما علموا ﴿وَقَاتُوا لَوْكًا شَعْرًا أَوْ نَعْقُلَ مَا شَعَرَ فِي أَحَبِّي أَسْعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]؛ فنفيهم للتعقل والسماع هو نفي للاستجابة لمقتضى العلم الحاصل من الوحي. ويرشد الوحي إلى الكون بوصفه مصدراً للمعرفة، و يجعله محور استخلافِ الوحي منهاجه: ﴿وَمَنْ أَحَسَنْ قَوْلًا مَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَنْلَحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فالمنهج الرباني يرفع الإنسان من حال الترف الفكرى إلى العمل الإيجابى القلبى، ليتحقق التوازن والشمولية المعرفية الإدراكية للإنسان، لأنها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]؛ ومخالفة فطرة الله هي علة كل اضطراب فكري أو نفسى أو عملى.

#### ـ خصوصية الطريق:

فالوحي علم لأحاديث الناس الذين اصطفاهم الله تعالى وعصّمهم وهياهم لحمل الرسالة، وليس للعامة، والخصوصية هنا في الطريق والموضوع المدرك، أمّا الخطاب فهو للناس كافة، فهم لا يصلون إلى مصدر الوحي، ولا ترتقي عقولهم إلى إدراكه عن الملائكة، أو عن الله تعالى لعلوه، لكن تصل إلى الخطاب النبوى؛ فتأخذ العقول العلم الموحى به من سمع كلام الأنبياء؛ فالإحياء خاص، والنبوة خاصة والتوكيل عام ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَهْدًا ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَقْرَنَى مِنْ رَسُولِ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

#### ـ خصوصية الغاية:

القرآن الكريم ذكر مفهومين يوضحان أنّ الغاية الرئيسية: هي معرفة الله والتقرب إليه، ثم إقامة العدل والقسط في المجتمع البشري. فالوحي

أنزل ليُعرف بالمصدر الإلهيّ، ويعرف بطرائق إقامة العدل، والقسط في كل شيء، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبَيْنَاتِ وَأَنَزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَأَمْرَيْنَا لِيَقُولُوا النَّاسُ إِلَّا فِي الْفِسْطِيلِ﴾ [الحديد: ٢٥].



صدر حديثاً

# الروح الحيدل

ومضامينه في الفكر والحياة

الدكتور إسماعيل راجي الفاروقى

ترجمة

الدكتور السيد محمد السيد عمر



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

صدر حديثاً

# الهياكل الحضارة الإسلامية و إعادة بنائها

الجذور الثقافية والتربيوية

بقلم

أ.م.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

صدر حديثاً

# إعادة اكتشاف الصلاة

## مختصر إدارة الصلاة



المعهد العالمي للتراث الإسلامي

صدر حديثاً

مختصر

# الإجتهداد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر

دراسة في الأسس المرجعية والمنهجية

## الإجتهداد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر

سعيد شبار

المؤهد العالمي للتراث الإسلامي



١٤٥٦-١٤١٤هـ  
1931AH - 1991AC

المعهد العالمي للتراث الإسلامي



## هذا الكتاب

تحدد مكانة أية أمة من الأمم بالدائرة الحضارية التي تتنسب إليها، وبالنظام العام الذي ينبع عن هذه الدائرة، ويتمثل في أنظمة فرعية أهمها نظام الاعتقاد، ونظام المعرفة، ونظام القيم. وقد ابتكرت الأمة الإسلامية في هذا الزمان بصور من الفوقي الفكرية التي رافقها خلل في نظامها المعرفي، ظهر في اختلاط الدلالات الأساسية للألفاظ والمفاهيم المعرفية ومصادرها وأدواتها. فالمفهوم الواضح ينطوي على معانٍ جلية، وقيم واضحة تعين في ربط ذلك المفهوم مع المفاهيم الأخرى، بصورة تسهم في تقدم المعرفة وتيسير سبل البحث وتوظيف نتائجه في البناء الثقافي والحضاري للأمة.

وهذا الكتاب جهد مقدر، صنف فيه المؤلف المفاهيم القرآنية في خمس مجموعات متقاربة معرفياً هي: المعرفة، والعلم، والوحى، والعقل، والحس. ثم عرض كل مفهوم من المفاهيم التابعة لكل مجموعة في دراسة معجمية واستعملية وتأويلية، وذلك ضمن المرجعية القرآنية العامة، مما يعد خطوة مهمة في سبيل إنشاء معجم للمفاهيم المعرفية القرآنية. وأكد الكتاب أهمية التعامل مع المفاهيم القرآنية وفق قواعد محددة، تتضمن ملاحظة الخصوصية الحضارية واللغوية للمفهوم وتحليل بنائه، وتتبع تشكيله وتطوره الدلالي.



## الدكتور عبد الكريم بليل



من مواليد تغنيف ولاية معسکر، الجزائر عام ١٩٨٢ م. حاصل على دكتوراه علوم في قسم العقيدة ومقارنة الأديان، بكلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية عام ٢٠١٣ م. وعلى الماجستير في العقيدة ومقارنة الأديان من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عام ٢٠٠٩ م. وعلى الليسانس في العقيدة ومقارنة الأديان؛ من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عام ٢٠٠٤ م. له العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في مجلتي: المعيار، وإسلامية المعرفة، منها: «أسلمة المعرفة إعادة صياغة مصطلح»، وكتاب بالاشتراك بعنوان "دودة القرءان". وله أكثر من مائة وعشرون مقالاً نشرت في موقع «الألوكة الشرعية»، "شبكة الضياء للمؤتمرات"، وأكثر من عشرة مواقع أخرى. البريد الإلكتروني: [bellil.krimo@yahoo.fr](mailto:bellil.krimo@yahoo.fr).

